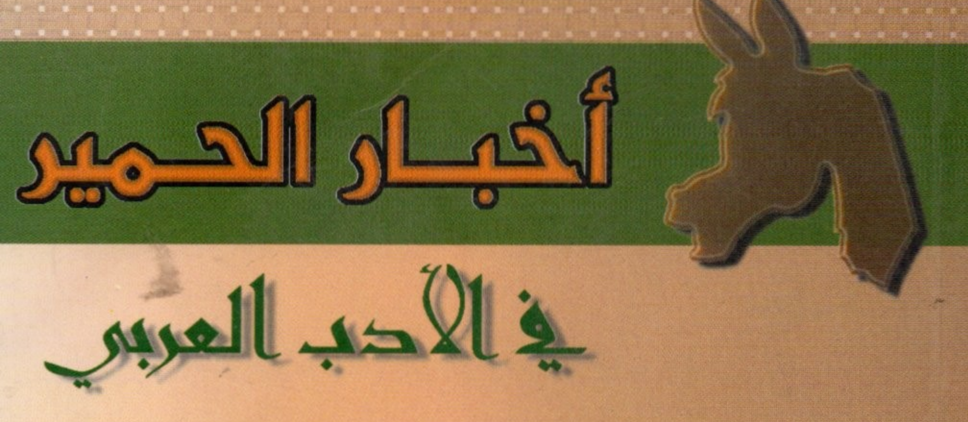


أخبار الحمير

في الأدب العربي

بسّام عبد الوهّاب الجابي

الجفّان والجابي للطباعة والنشر

دار ابن حزم

أخبار الحمير

في الأدب العربي



بسّام عبد الوهّاب الجابي

دار ابن حزم





الحمد لله ربِّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سَيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخبار الحمير في الأدب العربي

التعريف بالحمار :

الحِمارُ (بالكَسْر) : النهَّاق ، حَيْوانٌ داجن من فصيلة الخَيْلِيَّات ، من ذوات الأَرْبَع ، أهْليّاً كان أو وَحْشِيّاً ، جمعُهُ : أحْمِرَةٌ ، وحُمُرٌ (بضمّتين) وحُمْر (بضمّ فسكون) وحَمِيرٌ على وزن (أمير) وحُمورٌ (بالضم) وحُمُرَاتٌ (بضمتين) جمع الجميع (كطُرُقات) وتصغيره حُمَيِّر (بضم ففتح وكسر الياء المشدَّدة)[١] .

كنيَتُهُ : أبو صابر ؛ وأبو زِيادٍ[٢]، قال الشاعر :

---

(١) « حياة الحيوان » ٢٣٨/١ ، و٢٥٣ ، و« المخصَّص » ، ٢٠٥/٦/٢ و٤٣/٨/٢ ـ ٥٠ ، و« لسان العرب » ، و« تاج العروس » ، و« أقرب الموارد » ، وغيرها من المعاجم .

(٢) وبمناسبة ذكر كُنى الحمار ، أَذْكُرُ ملاحظةً دَعاني لها أَن أحد العاملين على إخراج هذا الكتاب يكنى والدُهُ بكنيةٍ من هذه الكنى ، ووجدتُ مناسِباً أن أَذْكُر مناسبَةَ وسَبَبَ تكنية الحمار بهذه الكُنَى ، وأن أتكلَّم عن الكُنَى بشكل عام .

فأصلُ الكنية من الكناية ، وهو أن تتكلَّمَ بالشيء وتريد به غيره ، ويقول ابن الأثير في كتابه «المرصَّع» : إنما جيء بالكنية لاحترام المكنىٰ بها وإكرامه وتعظيمه كيلا يُصرّح في الخطاب باسمه .

والمشكلة هنا ، أن الحمار يذكر كَعَلَمٍ للبلادة والعناد ؛ فكيف يمكن الالتفات إلى صفاته الحسنة والمحمودة؟ =

زيــادٌ لَسْــتُ أدْرِي مَــنْ أبُــوهُ
وَلَكِــنَّ الحِمَــارَ أبُــو زِيَــادِ

واسم الأنثى : أتان ، والجمع أُتُن (بضمتين) ، وربَّما قالوا : حِمارة ، وكنيتها : أمُّ محمود ، وأمُّ تَوْلَب والتَوْلبُ : الجَحْش ، وأمُّ جَحْش ، وأمُّ نافع ، وأمُّ وَهب ، وأمُّ الهِنْبِر ، وهي : الهِنْبِرَة ؛ والهِنْبِر كخِنْصِر : الجَحْش ، وهي بهاءٍ .

وَهُوَ حيوان قَنُوعٌ نافِعٌ يَحْمِلُ ويَجُرُّ ، هادِىءٌ ، صَبُور ، وبَطيءٌ في سَيْرِهِ ، جبان في خُلُقِهِ ، وحَرُونٌ إذا ٱشْتَدَّ به الأذىٰ ، قامَتُهُ مُتَوَسِّطَة ، شكله مستطيل ، ظهره قويّ ، رأسُهُ متناسب مع جسمه ، أذناه كبيرتان مستطيلتان ، عنقه عريض ، جلده سميك ، وَبَرُهُ خشن ، قوائِمُهُ قوية تنتهي بحوافر ضيقة الصحن صلبة .

والحمَّار : راكب الحِمَارِ ، ومن يبيعُ الحُمُرِ ، أو يعمل عليها .

= على كلٍّ، إني أذكر هذه الكُنى للعلم والمعرفة، وكي يحرص الإنسان على أن يكون اسْمُ بِكْرِهِ الذي يُكْنى به اسماً لا يَكْرَهُ أَنْ يُكْنَىٰ بِهِ. وكُنْتُ قد نَشَرْتُ ملحقاً لكتاب: «تحفة المودود بأحكام المولود» لابنِ قيم الجوزية، عِدَّةَ نُصوصٍ تفيد في إرشاد الناس إلى الطريقة المثلى في انتقاء الأسماء والكنى ومعاني الكثير من الأسماء والكنى.

وتسمَّى جماعَةُ الحمير : النُخَّة ، تُثَلَّث ؛ والسُجَّة ، والكُسْعَة : الحمير والبقر العوامل لأنّها تُكسَعُ ، أي : يُضْرَبُ دُبُرُها باليد أو بصدر القدم ؛ أو بالعصا إذا سيقت ؛ والعانة الأَتَان والقطيع من حمير الوحش ، جمعها : عُون ، بالضم .

وَلَيْسَ في الحيوان ما يَنْزُو على غَيْرِ جِنْسِهِ وَيُلْقَحُ إلا الحمارُ وَالفَرَسُ ، وَهوَ يَنْزُو إذا تَمَّ لَه ثلاثون شهراً .

وَمِنْهُ نَوْعٌ يصْلُحُ لِحَمْلِ الأثقال ، وَنَوْعٌ لَيِّنُ الأَعْطافِ سَرِيعُ العَدْوِ ، يَسْبقُ بَراذِينَ الخَيْلِ .

وَمِنْ عَجيبِ أمْرِه أنَّه إذا شَمَّ رائحةَ الأسد رَمَى نَفْسَهُ عَلَيهِ مِن شِدَّةِ الخَوْفِ ، يُريدُ بذلك الفرارَ مِنْهُ . قَال أبو تمّام حَبِيبُ بن أوس الطّائيّ يُخاطِبُ عبد الصَّمد بن المُعَدّل ، وقد هجاه :

أَقْدَمْتَ وَيْحَكَ مِنْ هَجْوِي عَلَىٰ خَطَرِ
وَالْعَيْرُ يَقْدُمُ مِنْ خَوْفٍ عَلَىٰ الأَسَدِ

وَيُوصَفُ بالهِدَايَةِ إلى سُلوك الطُّرُقات التي مَشَى فِيها ولو مَرّةً واحدَةً ، وَبِحِدَّةِ السَّمْعِ ؛ وَلِلنَّاسِ في مَدْحِهِ وَذَمِّه أقوالٌ مُتَبايِنَةٌ بحسْب الأغراض .

حَمْلُ الحُمُر :

وسَقَت الأتان : حملت ، فإذا مكثت سبعة أيام بعد نَتَاجِها ، واسْتَحَقَّتْ أَنْ تُضْرَبَ وهو خير أوقات الحَمْل عليها ، فهي فَرِيش ، والجمع : فَرَائِش .

ويقال لها عند أوّل حملها : جَامِع ، فإذا أَلْمعَتِ الأتانُ واستبان الحَمْلُ وصار في ضرعها لُمَع من سواد ، فهي : مُلْمِع ومُلْمِعة ، أي : رفعت ذنبها ليُعْلَم أنها قد لَقِحَتْ .

من أسماء الحُمُر ونعوتها :

الأتان : الحمارةُ الأنثى خاصة .

الأَخْدَرِيُّ : الحمار الوحشي ، ومن حمر العراق من نسل حمار يقال له : الأخْدَر .

الأَدْلَص وَالأَدْلَصِيّ : حمارٌ نَبَت له شَعْرٌ جَديدٌ .

الأَعَزُّ : الحمار السَّمينُ الصَّدْرِ والعُنُقِ .

الأَشْخَمُ : الحمار الأَدْغَمُ ، أي : الأسود الأنف .

البُهْصُلُ : الحمارُ الغَلِيظ .

اَلتَّابُ : الحمار قد دَبَرَ ظَهْرُهُ ، أَيْ : تَقَرَّحَ .

التِّلْوُ : الجَحْشُ الذي يتلُو أمَّه ، والجمع أتْلاء . والأنثى : تِلْوَة .

التَّوْلَبُ : الجَحْشُ الذي استكمل الحَوْل ، والجمع : توالب . وَٱتّلاب الحِمَارُ : أقامَ صَدْرهُ ورأسَهُ .

الجَأْبُ : الحمار الغليظ ، أو من الحُمُر الوحشية .

الْجَادِرُ : حمار الوحش .

الجَحْشُ : ولَدُ الأتان من حين تضعه أمُّه إلى أنْ يفصل من الرضاع ؛ وهو وَلَدُ الوَحْشي والأهْلي ؛ والجَمْعُ : جِحَاشٌ ، وجِحْشَانٌ ، وجِحَشَة ، وجِحَاش ، والأنثى : جَحْشَة .

الجَعْمَرَة : أَنْ يجمعَ الحمار نفسَهُ وجَرامِيزَه ، أَي : قَوائِمَهُ وبطنَهُ ؛ ثم يَحْمِلُ على العانَةِ ، أي : الأتان ، أو غيرها ، إذا أرادَ كَدْمَهُ ، أي : عَضّهُ بأدنى فمه .

الجَلْعَدُ : الحمار القصير ، والحمار الغليظ .

الجَلَنْفَق : الأتان السمينة .

ٱلْجَمَّاز : حمارٌ وثَّاب .

ٱلْجَوْرَفُ : الحمارُ .

الحِمارُ : يقع على الذكر والأنثى .

ٱلْحِنْزَاب : الحمارُ المقْتَدِرُ الخَلْق ، والقصيرُ القَويّ ، أو العريض ، والغليظ .

الحَيَدَىٰ ، وحَيِّد : الحمارُ يَحيدُ عن ظِلِّه نَشاطاً ،

ولم يُوصَفْ مُذَكَّرٌ على فَعَلَىٰ غَيْرَه .

الخُدْرَةُ : اسم أتان معروفة .

الخُدَرِيُّ : الحمار الأسود .

الخَذُوفُ : الأتان التي تدنو سُرَّتُها من الأرض سمناً ، والتي من سرعتها تَرْمِي الحَصَىٰ .

ٱلْخُذَيّ : من ألقاب الحمار .

الدُّمُوقة : الدوائس ، من البَقَر والحُمُر ، والدوائس التي يتبع بعضها بعضاً .

الدَّوْبَلُ : الحمار الصغير ، والجمع : دَوَابِل .

الدَّيْدَب : حمار الوحش .

الذِّفِرُ : الحِمار الصلب الشديد، والأنثى: الذَّفِرَة .

الذِّفِرَّة : الحمار الغليظ .

ذُو النَّجْمَةِ: الحمار .

الزَّامِلُ : الحمارُ الذي كأنَّه يَظْلَعُ من نشاطِهِ ، والذي يُحْمَلُ عليه .

الزِّهْلِقُ : السَّمِينُ المستوي الظهر من الشَّحْم ، والجمع : حُمُرٌ زَهَالِقٌ .

السَّحَاب : حمار الوحَش ، أو فَتِيُّهُ .

السَّحَّاجُ : الحمار العَضَّاضُ ، ومُسَحَّجٌ :

مُعَضَّضٌ ، مُكَدَّحٌ ؛ والسَّحْجُ : تسْريحٌ لَيِّنٌ على فَرْوَةِ الرأس ، والإسراعُ ، وجَرْيٌ دون الشَّديد للدّواب ؛ وحمارٌ مِسْحَجٌ ومِسْحَاجٌ .

السَّمْحَجُ والسِّمْحَاجُ : الأتان الطويلَةُ الظَّهْرِ ، وتسمَّى : الصَّعْدَة أيضاً .

الصُّتَع : حمار الوحش .

الصُّلْصُل وَالصَّلاصِل والصَّلْصالُ والمُصَلْصِلُ : الحمار المُصَوِّت .

ٱلصَّعْدَةُ : الأتان الطويلة الظَّهْرِ .

الصِّنْدَلُ والصُّنادِلُ : الحمار ضَخُمَ رأسُهُ، وصَلُبَ .

ٱلصُّنْتُعُ : الحمارُ الصغيرُ الرأس ، أو صلب الرأس كالمُصَنْتَع .

الضَّمْعَجُ : الأتانُ الضَّخْمة التّامّة .

ٱلْعَانَة : الأتان، والقطيع من حُمُرِ الوحش .

ٱلْعَضِدُ : حِمارٌ ضَمَّ ٱلأُتُنَ مِنْ جَوَانِبِها .

ٱلْعَضْرَسُ : حمار الوحش .

العَفْوُ : الجَحْش ، والأنثى : عَفْوَة ، والجمع : أعْفاء وعِفَاء وعِفْوَة .

العُكْسُومُ : اسم الحمار بالحِمْيَرِيّة .

العُكْمُوس : الحمار .

العِلْج : حمار الوحش لاستعلاج خلقه وغلظه ، وهو حمار الوحش السمين القوي .

العُلْجُومُ: الأتان الكثيرة اللحم، والجمع : علاجيم .

ٱلعَمْكُوس : الحمار .

العَيْثَمِيّ : حمار الوحش .

العَيْرُ : الحِمَار وحْشِيّاً كان أوْ أهلياً ، ويغلب على الوحشي ، والجمع : أعْيَارٌ وعيارٌ وعُيُورٌ وعُيورَةٌ ومَعْيُوراء ، وجمع الجمع : عِيارات .

ٱلغَيْذَار : الحمار .

الفَرَأ ، **والفَرَاء** ، مقصور ومهموز : حِمَارُ الوَحْش ، أو فَتِيُّه ؛ جمعه فِرَاء وأَفْراءٌ ، ومن أسمائه : العَضْرَسُ ، والنَّوْصُ ، والمِصَكُّ ، والمِسْحَلُ .

الفَنَّان : الحِمارُ الوحْشيّ له فُنونٌ من العَدْوِ .

ٱلقَلْحُ : ٱلْحِمَارُ المُسِنُّ .

القَلْخُ : الحمار المسنُّ ؛ ويقال للفَحْلِ عند الضِّرَابِ : قَلَخْ مَلَخْ .

القِلْوُ : الحمار الفتِيُّ الخفيف ، والشَّديدُ السَّوْق لأُتُنِه ، والأنثى : قِلْوَة ، وهي التي تتقدّم بصَاحِبها .

القَنْدَلُ والقُنَادِل والقَنْدَويلُ : الحمار الصُّلب ، العظيمُ الرأس ، والطويلُ .

القِنْفِجُ : الأتان العريضة السَّمينة .

القَهْبَسَةُ : الأتانُ الغليظةُ .

ٱلْقَهْبَلَة : أتانُ الوحْشِ الغليظة .

القَيْصُور : الحمار النشيط .

الكُدُر : الحمارُ الغَليظ .

الكُسْعُوم : اسم الحمار بالحِمْيَرِيَّة ، وقد تقدَّم العُكْسُوم .

الكَعْسَمُ : الحمار الوحشي (يمانِيَّة) ، ويجمع على : كَعَاسِمُ وكَعَاسِيمُ .

الكُعْسُومُ : الحمار الأهلي .

الكُنْدُرُ والكُنَادِرُ : الحمار العظيم والصُّلب الشديد . والكَنْدُورُ والكِنْدِيرُ : الحمار الغليظ .

اللُّكَعُ : الجَحْشُ ، والأنثى : لُكَعَةُ .

المُجَدّع : حمارٌ مقطوعُ الأُذُنيْن .

ٱلْمِسْحَلُ : من أسماء حمار الوحش .

ٱلْمِشَلُّ : الحِمارُ كثيرُ ٱلطَّرْدِ .

المُشَلِّل : الحمار الغَايَةُ في العِناية بأُتنِه .

ٱلْمِصَكُّ : من أسماء حمار الوحش .

المَضْبُوع : حِمارٌ أَكَلَتْهُ الضَّبُعُ .

المُعَضَّض : حمارٌ عضَّضَتْهُ الحُمْرُ وَكَدَمَتْهُ .

المُهْصُلُ : الحمار الغليظ .

المَرَاغَةُ : الأتان التي لا تَّمْنَعُ الفحولة .

ٱلمِكْرَاف : حِمارٌ مُعْتَادٌ أَنْ يَشُمَّ بَوْلَ الأَتانِ ، ثم يَرْفَعُ رأسه ، ويَقْلِبُ جَحْفَلَتَهُ ، أَي : يَقْلِبُ شَفَته .

المُلامِلُ : الحمارُ ٱلسَّرِيعُ .

النّاعِلُ : حمار الوحش .

النَّجُودُ : الأتان التي لا تَحْمِلُ ، والطَّويلَةُ العُنُق .

النَّحْصُ وَالنَّاحِصُ والنَّحُوصُ : الأتان الوحشيَّة الحائِل ، ما لا وَلَدَ لها ولا لَبَنَ .

النَّهَّازُ : الحمارُ الَّذي يَنْهَزُ بصَدْرِه للسَّيْرِ ، أَي : يَنْهَضُ بِصَدْرِهِ لِلسَّيْر .

ٱلنَّوْصُ : من أسماء حمار الوحش .

ٱلْهُبَع : الحمار .

الهِمْهِيمُ : الحِمارُ المُرَدِّدُ نَهِيقَهُ في صَدْره .

الهِنْبِر : الجَحْشُ ، ومنه قيل للأتان : أُمُّ الهِنْبِر .

الوَزَىٰ : الحمار المِصَكّ الشَّدِيد.

الوَهْوَهُ والوَهْوَاه : النشيط الحديد .

أنواع الحمير:

جاء في «الموسوعة في علوم الطبيعة» لإدوار غالب، المطبوع في دار المشرق، ببيروت، سنة ١٩٨٨م؛ عن الحمار:

يُعرَفُ له ضروب عديدة، أشهرها: حمار التبّت أو حمار العجم، وحمار الجزيرة، وحمار النوبة، زحمار توسكانا، وحمار صقلية.

٨٣١٠ ـ حِمَار أوروبيّ. Equus asinus europoeus
Ane d'Europe (F).

سلالة من الحمير يقال: إنها متحدرة من حمير النوبة وحمير ما بين النهرين. يكثر وجودها في بعض بلاد أوروبة كفرنسة وإسبانية وإيطالية.

٨٣١٣ ـ حِمَار الزَرَد، زَرَد، عَتَّابي Equus zebra,
Hippotigris (S). Zebre (F). Zebra (E).

جنس حيوانات برية من فصيلة الخيليات. تعتبر من أجمل حيوانات فصيلتها بعد الخيل، وهي أعنفها قوة، وأشدها مراساً، وأسرعها عدواً. جلودها ناعمة طحلاء اللون، مؤذرة بخطوط سود، من الجحفلة حتى الأطرة، موطنها أفريقية الشرقية من الصومال إلى القطب. تعيش قطعان قليلة أو متوسطة العدد، ولكل

قطيع رئيس يسهر عليه هو فحله الصامد. قوتها الأعشاب. إناثها تحمل ٣٦٠ يوماً. أنواعها أربعة، أما ضروبها وسلالاتها فعديدة.

٨٣١٤ـ حِمَار الزَرَد البُرْشِلّي بِتْسَه Hippotigris burchelli (S). Zebre de Burchell, Pitshe, Bonte quagga (F).

موطنه الأصقاع الأفريقية القائمة جنوبي خط الاستواء، ضروبه وسلالاته عديدة. طوله نحو ١٨٥سم. وارتفاعه ١٢٠سم. ويتميز بشكله القريب من شكل الخيل. ثوبه إلى الصهبة الصفراء، يعلوه تأذير عريض الخطوط أسود اللون. رأسه يشبه رأس الحصان. أذناه صغيرتان. عرفه كثيف الوبر المتوسط الطول. بطنه إلى البياض التِّبْني يتوسطه خط عابق.

٨٣١٥ـ حِمَار الزَرَد الجَبَلِي، ضُوّ Hippotigris montanus (S). Zebre de montagne, Daw (F).

موطنه يمتد من صحراء كارو إلى حدود القطب. ثوبه إلى البياض التِّبْني، يعلوه تأذير أسود لامع. قامته ربعة، أذناه كبيرتان، عرفه كثيف الشعر القصير. ذيله ذيل الإبل.

٨٣١٦ـ حِمَار الزَرَد الصُومَالي Hippotigris grevyi (S) Zebre de Grevy, Z. des Somalis (F).

موطنه الصومال وبلاد شوّا. طوله نحو ٢٠٠سم. وارتفاعه ١٢٥ . ثوبه إلى البياض الأربد، يعلوه تأذير جؤوي اللون أسود المواج.

٨٣١٧- حِمَار الزَرَد الهُوْطَنْتِي Hippotigris quagga (S). Zebre couagga (F).

موطنه البلاد الواقعة بين حوض الغال وسلسلة جبال القطب، طوله نحو ٢٠٠سم. وارتفاعه ١٣٠سم. يتميز بثوبه القليل التأذير. لونه إلى الصهبة، يزيد عبوقاً مع اقترابه من الصدر والرأس، ويقل عند البطن والكفل. بطنه وذيله وداخل قوائمه إلى البياض الأربد.

٨٣١٨- حِمَار الشَبْي Baudet (F). Donkey (E).

هو العير، الحمار الفحل، المنتخب، الذي يصلح للنزو.

٨٣١٩- حِمَا رالنُوْبَة Equus asinus africanus (S). Ane de Nubie (F).

ضرب من الحمير تنتسب إليه سلالات حمير الصومال والحبشة ومصر، أعطانه بوادي النيل الشرقية من مصوع إلى كسالة وشلال النيل الخامس.

٨٣٢٠- حمَار الوَحْش، حِمَار وَحْشِي، أخْدَر، فَراء.

Equus onager (S). Onagre (F).
Onouger, Wild ass (E).

بلاد إيران والأفغان والتركستان وجوارها. يشبه الحمار ولكن في هيئة منسوبة ومنسجمة يقر الذوق امتيازها وتفوقها. يعيش جماعات، ويوصف بشدة الغيرة وكثرة الحرص والحذر. قال الجاحظ: «ألوان حمر الوحش مختلفة، والأخدرية أطولها عمراً وأحسنها شكلًا، وهي منسوبة إلى أخدر: فحل كان لكسرى فتوحش، واجتمع بعانات، فضرب فيها، فالمتولد منها يقال له: أخدري».

٨٣٢٤ ـ حِمَارَة، عَانَة، أتَان

Anesse (F).
She-ass (E).

أنثى الحمار. جَمْعُها: حمائر وعانات وأتن. ودقها يعاود كل ٣٥ يوماً. محبلها يستقيم ٣٦٠ يوماً. يجوز النزو عليها بعد وضعها بعشرة أيام.

ألوانِ الحمير:

الأحْقَبُ: الأبيض، وهو الحِمارُ الوحْشِيّ الذي في بطنه بياضٌ، أو الأبْيَضُ مَوْضِعِ الحَقَبِ؛ والأتان: حقباء.

الأَخْطَبُ: الذي في لونه خُضرَةٌ، والذي له خطٌ أسود على مَتْنِهِ؛ والأتان: خَطْباء؛ والاسم: الخَطَب.

الأدْخَنُ : الذي في لونه غُبرة وكُدْرَةٌ في سوادٍ ؛ والأتان : دَخْناء .

الأقْمَرُ : الذي يضرب لونه إلى الخضرَةِ أو بياض فيه كُدَرَةٌ ؛ والأتان : قَمْرَاءُ ، والاسم : القُمْرَة .

اَلْجُدَّةُ : الخُطَّةُ في ظَهْرِ الحِمار تُخَالِفُ لونَهُ .

أصوات الحمير وغير ذلك من حركاتهم وسكناتهم :

بَاكَ الحمارُ الأتانَ : نَزَا عَلَيْها .

التعوين : كَثْرَة بَواكِ الحمار لعانته .

تَغَلَّج الحمار : شرب وتلَمَّظ بِلِسَانِهِ .

حِمارٌ جُلاجلٌ وجُلالٌ : صافي النَّهِيق .

حَشْرَجَ الحمار : تَرَدَّدَ صوتُهُ في حَلْقِه .

حَصْحَصَ الحمارُ : أَنْ يَصُرَّ الحمارُ بأُذُنَيْهِ ، وَيَمْصَع بِذَنَبِهِ .

زَعَطَ الحِمارُ : صَوَّتَ .

زَقَعَ الحمارُ : ضَرَطَ أَشَدَّ مايكُونُ .

شَخَرَ الحمارُ : صوّتَ مِنْ فَمِه ، وحمار شخِّيرٌ .

الشخْسُ : فَتْح الحمارِ فَمَهُ عند التَّثاؤُب .

شَهَقَ الحمار شَهِيقاً وشُهاقاً وتَشْهاقاً : نَهَقَ . والَّشهيق : آخر صوت الحمار ، والزَّفير : أَوَّله .

صَحِلَ الحمارُ : بُحَّ وتشقَّقَ صوتُهُ .

حمارٌ صَخِبُ الشَّوارِبِ : يُرَدِّدُ نُهاقَهُ في شَوَارِبِه ، والشوارب هنا : مَجَارِي الماء في الحلْق .

صَدَحَ الحِمارُ : اشتدَّ صوتُهُ .

حمارٌ صَعِقٌ : شديدُ الصَّوْتِ .

السُّحَال والسَّحِيل : الصَّوْتُ يَدورُ في صَدْرِ الحمار .

صَلْصَل الحمار : صوَّت ، وحمار صُلْصُلٌ وصُلاصِلٌ وصَلصالٌ ومُصَلْصِلٌ : مُصَوِّتٌ ، شديدُ النُّهاقِ .

صَوَّعَ الحِمارُ : عَدَلَ أُتُنَهُ يَمْنَةً ويَسْرَةً .

ظَلَمَ الحمارُ الأتانَ : سَفَدَها وهي حامل .

عرَّشَ الحِمارُ بعانته : حَمَلَ على عانته ، وهي الأتان ، فرفعَ صوته وفتحَ فاه .

عَشَّرَ الحِمارُ : نَهَقَ عَشْراً في طَلْقٍ واحدٍ .

عَفَقَ الحمارُ الأتانَ : أكثر ضِرَابَها .

غَفَقَ الحمارُ الأتانَ : أتاها مرةً بعد مَرَّةٍ .

فاش الحمار الأَتان يَفيشُها : عَلاها ، كأنهُ مِنَ الفَيْشة .

قُثْمُل : مِنْ نَعْتِ أصوات الحمير .

تَقَمَّعَ الحمارُ : حَرَّكَ رأسه وَذَبَّ القَمْعَ ، أَيْ : الذُّباب .

كَتَعَ الحمارُ : عَدَا .

كَنْثَرَة الحِمارِ : نُخْرَتُهُ، أَيْ : مَدُّ صَوْتِهِ في خياشِيمِهِ .

مُثَمِّل : مِنْ نَعْتِ أصوات الحمير .

مَسَا الحمارُ : حَرَنَ .

نَشَجَ الحمارُ : رَدَّدَ صوته في صَدْرِه .

ٱنْمَصَع الحمارُ : حَرَّك أُذُنَيْهِ ، أي : سَوَّاها ونصبها للاسْتِمَاع .

نَهَقَ الحمار ، ينهق نَهِيقاً ونُهاقاً : صَوَّتَ ، والاسم : التَّنْهَاقُ .

الهبوع : مَشْيُ الحُمُر خاصَّةً .

هَمْهَمَ الحمارُ : رَدَّد النَّهيقَ في صَدْرِه .

وَرَكَ الحمارُ علىٰ الأَتَانِ : وَضَعَ حَنكَهُ علىٰ قَطاتِها، أَيْ : على مقعد الرديف منها .

وَهْوَهَ الحِمارُ : صَوَّتَ حوْلَ أُتُنِه شَفَقَةَ ، وهو : وَهْوَهٌ وَوَهْوَاهٌ ، أي : نشيط حديد .

من أعلام الحمير :

- ٱلْخُدْرَة : اسم أتان معروفة .
- زُعْبَة : حمار .
- زُغْبَة : حمار للشاعر جرير .
- دُبَيْر : اسم حمار .

ـ يَعْفُور: حمار للنبي محمد ﷺ.
ـ فُكَوَّس: حمار.
ـ القَمَر: حمار الحاكم بأمر الله الفاطمي.
ـ قُنَابِل: حمار.
ـ كُدَاد: محل تنسب إليه الحمير.

اللغات التي يفهمها الحمير:

حِيءْ حِيءْ: دعاء الحمار إلى الماء.

زعرّ أوْ زَرّ: إذا صيح بها أمام الحمار، نهق، أدْلَى، أو أخرَج جُرْدانه، وكأنّه يتهيَّءُ للسِّفاد. فهي دعوة للسِّفاد.

شَأْشَأْ وشُؤْشُؤْ: دعاء الحمار للماء وكذلك دعاءه للمُضِيّ.

قَلَخْ مَلَخْ: تقال للفحْلِ عند الضِراب.

هَدٍّ: كلمة تُقالُ عِنْدَ شُرْبِ الحمار.

ذكره في القرآن الكريم:

ـ ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾
[٢ سورة البقرة / الآية : ٢٥٩] .

ـ ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [١٦ سورة النحل / الآية : ٨] .

- ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝ ﴾ [٣١ سورة لقمان / الآية : ١٩] .

- ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [٦٢ سورة الجمعة/ الآية : ٥]

- ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝ ﴾ [٧٤ سورة المدثر / الآيتان : ٥٠ و٥١] .

ذكره في الحديث الشريف :

- « كُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرا »[1] .

- « إِذَا أَرَادَ ٱللهُ بِعَبْدٍ شَرّاً أَمْسَكَ عَلَيْهِ بِذُنُوبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ عَيْر »[2] .

- « أَمَا يَخْشَىٰ أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ ٱلإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ ٱللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ » أَوْ قَالَ : « أَنْ يَجْعَلَ ٱللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ »[3] .

- « وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ ٱلْبَغْلِ وَفَوْقَ ٱلْحِمَارِ » البراق[4] .

---

(١) النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٢٢ . والفرا (مقصور ومهموز) : حمار الوحش .

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٢٨ . العير (بالفتح) : الحمار أهلياً كان أو وحشياً.

(٣) صحيح البخاري ١/ ١١٧٧ .

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٣٣ .

ـ «يُجَاءُ بِٱلرَّجُلِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقتَابُهُ فِي ٱلنَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ ٱلْحِمَارُ بِرَحَاهُ»(١) .

ـ « إِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ ٱلْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِٱللهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ، فَإِنَّهُ رَأَىٰ شَيْطَاناً »(٢) .

وقد ورد ذكر الحمار كثيراً في الحديث النبوي ، حيث إنه يرد في معرض الأحداث ، فالحمار من مراكب الناس في عهد الرسول ﷺ وما بعده .

ذكره في كتب الأدب :

مِنْ أجمع ما قرأتُ عن الحمار في كتب الأدب ، وبشكل موجز ومختصر ، ما أورده المحامي الأديب الباحث عبود الشالجي في كتابه « موسوعة الكنايات العامية البغدادية » في الجزء الأول ، في الصفحات : ٦٠١ وما بعدها تحت عنوان : حمار ؛ ونظراً لإحاطتها مع الاختصار والإيجاز ، أوردها مع بعض إضافات أضفتها للنص ووضعتها ضمن حاصرتين [ ] ، وكذلك كل ما ورد في الحاشية فهو من إضافتي :

---

(١) المصدر السابق ٤/١٤٧ . الأقتاب ، جمع القِتْب (بالكسر): المِعَى.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٥٥ .

حمار

كناية عن الْجاهل البليد العنيد ، وهذه الكنايةُ قديمةٌ ، وهي مستعملة في جميع أنحاء العالم .

[قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : الحمارُ مَثَلٌ في الذَّمِّ الشَّنِيع وَالشَّتِيمَةِ ، وَمِن اسْتِحيائِهم لذِكرِ اسْمِه أَنَّهم يكْنُون عنه ، وَيَرْغَبُون عن التَّصْرِيح به ، فَيَقولُونَ : الطَّويل الأُذُنَيْنِ ، كما يُكْنُونَ عَنِ الشَّيءِ المُسْتَقْذَرِ ، وَقَدْ عُدَّ مِنْ مَساوي الآدابِ أَنْ يَجْرِي ذِكْرُ الحِمارِ في مَجْلِسِ قَوْمٍ ذَوي مُروءَةٍ ، وَمِنَ العَرَبِ مَنْ لَا يَرْكَبُ الحمارَ اسْتِنْكافاً ، وَإِنْ بَلَغتْ بِهِ الرّحْلَةُ الجُهْدَ . انتهى] .

والمتعارفُ عند الناس ، أنّ الحمارَ حيوانٌ بليدٌ ، وهُم إذا وصفوا أحداً بالبلادة ، قالوا عنه : إنّه حمارٌ .

وقال عبد القاهر الجُرْجَانِي المتوفى سنة ٤٧١هـ :
[« شذرات الذهب » ٣/ ٣٤١]

تكَبَّرْ عَلى الْعَقْلِ لا تَرْضَهُ
وملْ إلى الْجَهْلِ مَيْلَ هَائِمِ
وَعِشْ حِمَاراً ، تَعِشْ سَعِيداً
فَالسَّعْدُ فِي طَالِعِ الْبَهَائِمِ

ولكنّ صديقنا المصوّر آرشاك [يانكيان] ،

ببغداد ، يخالف الناس في وصف الحمار بالبلادة ، وهو يقول : إن الحمارَ عاقِلٌ حكيم ، وإنَّ النظرةَ التي نراها في عَيْنه ، ونحسَبُ أنّها نظرةُ بلادةٍ ، إنمّا هي نظرةُ استهانةٍ ولا مبالاة ، وكأنّه يقولُ لنا : أنتم تقولون عنّي أننّي حمار ، وفي الحقيقة إنّكم أنْتُمُ الحَمِير .

قسم صاحب « معجم الحيوان » ، [الدكتور أمين المعلوف]، الحمير، إلى أصناف أربعة: حمار البيت ، وحمار قبّان[1]، وحمار الزَّرَدِ ، والحمار العتّابي (« معجم الحيوان » ٢١ ، ٩٨ ، ١٧٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠) .

---

(١) إن « حمار قبان »: دويبة ، مثل الخنفسة ، ولا علاقة لها بصنف الحمير سوى الاسم .
جاء في «الموسوعة في علوم الطبيعة»:
٨٣١١ـ حِمَار البَحْر Lates du Nill هو حمار قَبان، اطلبه.

٨٣٢٣ـ حِمَار قَبَّان، حِمَار البَيْت، عَيْر قَبَّان، هَدَبَة
Oniscus asellus (S).
Cloporte commun (F). Woodlouse, Sow bug (E).
Mauerassel, Gemeine Mauerassel (D).

حشرة من القشريات ، صغيرة القد ، مبذولة ، تعيش في الأماكن الظليلة الرطبة. يكثر وجودها في المنازل الأرضية.

وفي « دائرة المعارف الإسلامية » ٨/ ٦٥ ، قُسمَ الحمارُ إلى : أهلي ، ووحشي ؛ والأهلي ، إلى دابّة ركوب ودابّة حمل ؛ ووصف حمار الركوبِ بأنّه سريع العدو ، يهتدي إلى الطريق ولو سلكه مرّةً واحدة ، وأنّه حادُّ السَّمْع ، قليل المَرَضِ ، وذكر أنّ العرب لا تركب الحمار استنكافاً .

أقول : إنّ العربَ في صدر الإسلام ، لم يكونوا يستَنْكِفون من ركوب الحمير ، فإنّ النبيَّ صلوات الله عليه ، كان يركب الحِمارَ ، (« المخلاة » للبهائي ٩٢) والخليفةَ عمرَ بن الخطاب ، وهو قدوةٌ ، ركب حماراً ، وأرْسَنَه بحبلٍ أسود (« العقد الفريد » ٤/ ٢٧١) ولما قَدِمَ الشام ، قَدِمَها على حمار (« العقد الفريد » ١/ ١٤ و٤/ ٣٦٥ و« البصائر والذخائر » ٤/ ٣٠) ، وكان أنس بن مالك خادم النبي صلوات الله عليه ، إذا خَرَجَ إلى قصرِه ، صلّى على حمارِه تطوّعاً ، يومئ إيماءً . (« الوافي بالوفيات » ٩/ ٤١٦) .

ثم تغيَّرتِ الحالُ ، فأصبَحتِ الخيلُ مركبَ الخلفاء ، والأمراء ، والأميرات ، والوزراء ، والقوّاد ؛ وقد روى ياقوت في « معجم الأدباء » [٥/ ٤٨٥ و٤٨٦] قصّة عن جمال الدين ابن القِفْطِي ، ذكر فيها أنّ

والده قَدِمَ مصرَ ، ولم تكن دوابّه معه ، فأبىٰ أنْ يَرْكَبَ حماراً .

ولكنّ ذلك لم يمنعِ الخلفاءَ ، وغيرَهم من رجال الدولة ، أن يركبوا الحِمار ، في أوقات التخفُّفِ ، وفي بيوتِهم وبساتينهم .

وقد خرج الوليد بن يزيد ، مرّةً ، على المغنِّين ، وهو راكبٌ على حمار . (« الأغاني » ١٣/ ٢٧٨) .

ولما خرج يزيد بن الوليد ، في السنة ١٢٦هـ ، على الوليد بن يزيد ، دخل إلى دمشق وهو على حمار أسود (« تاريخ الطبري » ٧/ ٢٤٠) .

ولمّا فرَّ عبيدُ الله بن زياد من البصرة ، في السنة ٦٤هـ يريدُ الشامَ ، ثقل عليه في الطريق ركوب الإبل ، فأُلْقِيَتْ له قطيفة على حمار ، فركبه . (« تاريخ الطبري » ٥/ ٥٢٢) .

وبعث المختارُ الثَّقَفِيّ ، في السنة ٦٦هـ ، القائدَ يزيدَ بنَ أنس ، لقتال الجيش الأموي ، المقبِل من الشام ، فلما تصافَّ الجيشان ، خرج يزيد بن أنس ، وهو مريض ، على حمارٍ ، يمشي معه الرجال ، يمسكونه عن يمينه وعن شماله ، بفَخِذَيْه ، وعَضدَيْه ،

وجنبَيْه ، فجعل يقفُ على الأرباع [1] ، ويقول : يا شرطة الله ! اصبروا تُؤْجَروا ، وصابروا عدوّكم تظفروا ، وقاتِلوا أولياءَ الشيطان ، إنّ كيدَ الشيطانِ كان ضعيفاً ؛ ثم وُضِعَ له سرِيرٌ بين الرجال ، وقال لهم : إن شئتم فقاتلوا عن أميركم ، وإن شئتم ففرُّوا عنه ؛ واشتدَّتِ المعركةُ ، وانكسَرَ الجيشُ الأمَوي ، وجيء ليزيد بن أنس بثلاث مئة أسير ، وهو مُحْتَضِرٌ في السياق ، فأومأ بيده أن اضربوا أعناقَهُم ، فقُتِلوا عن آخرهم، ثم مات. («تاريخ الطبري» ٦/ ٤٠ ـ ٤٢) .

وفي السنة ١٠٩هـ ولّى هشام بن عبد الملك ، أشرس بن عبد الله السّلمي ، خراسان ، فركب ـ حين قدم ـ حماراً . (« تاريخ الطبري » ٧/ ٥٢) .

وكان مروان بن محمد ، آخر الخلفاء الأمويين ، يلقب بالحِمارِ ، لأنَّه كان صبوراً في الحرب ، فلُقِّبَ بالحمار الذي يُضْرَبُ بصَبْرِه المثلُ ، حيث يقال : أصبر من حمار . (« لطائف المعارف » ٤٣) .

وكان الفضل بن عيسى الرَّقَاشي لا يركب إلا

---

(١) « الأرباع » الأربعة ، حيث يقسم الجيش عادة إلى ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة .

الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر : إنّك لتؤثر الحمير على جميع الركوب ، فلم ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع ، قال : مثل أيّ شيء ؟ قال : لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان ، ثم هي أَقلُّها داءً ، وأيسرها دواءً ، وأسلم صريعاً ، وأسهل مرتقى ، وأخفض مهوى ، وأقلّ جماحاً ، وأشهر فارهاً ، وأقلّ نظيراً ، يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويكون مقتصداً وقد أسرف في ثمنه (« البيان والتبيين » ١/ ٢٠٦) .

ونظر الفَضْل بن عيسى الرَّقاشِيّ ، إلى سَلْم بن قُتَيبة ، على حمار ، يريد المسجدَ ، فقال : قعدة نبيّ ، وبذلَة جبّار . (« الحيوان » ٧/ ٢٠٤) .

وقال عبد الله بن العباس الطالِبيّ : (« دمية القصر » ١/ ٣٤٤) :

وَمَا كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مَطِيَّتِي
مُجَدَّعَةَ الأُذُنَيْنِ مَقْطُوعَةَ الذَّنَبْ
وَلا عَنْ رِضَى كَانَ الحِمَارُ مَطِيَّتِي
وَلَكِنَّ مَنْ يَمْشِي سَيَرْضَى بِمَا رَكِبْ

وخرج محمد بن عبد الله بن الحسن ، النفسُ

الزكية ، بالمدينة ، على المنصور العبّاسي ، في السنة ١٤٥هـ ، وهو على حمارِ أعرابيّ أسود (« تاريخ الطبري » ٧/ ٥٥٥) .

وكان عيسى بن موسى في السنة ١٥٩هـ ، إذا أراد الصلاة في مسجدِ الكوفة ، ركبَ حماراً ، فدبَّ به إلى باب المسجد ، فصلّى في ناحية (« تاريخ الطبري » ٨/ ١٢٢) .

ولما اقْتَحَمَ [أبو عبد الله] الحسينُ بن علي [بن الحسن بن علي ابن أبي طالب] ، صاحب [يوم] فخّ ، مسجدَ النبيّ صلوات الله عليه ، في السنة ١٦٩هـ ، وبايعه الناس ، دخل الحسين بن جعفر المسجد على حماره . (« تاريخ الطبري » ٨/ ١٩٤) .

ومات الحُطَيْئَة الشاعر ، وهو على حمارةٍ (أتانٍ) حملوه عليها ، وجعلوا يذهبون به ويجيئون ، حتى مات ، وهو يقول : (« الوافي بالوفيات » ١/ ٢٧٩) :

مَا أَحَدٌ أَلأَمُ مِن حَطِيَّهْ
هَجَا بَنِيهِ وَهَجَا الْمَرِيَّهْ
مِنْ لُؤْمِهِ مَاتَ عَلَى فَرِيَّهْ

وكان لبشّار بن بُرْد حمارٌ ، وكان بشّار يزعمُ أنَّ

حمارَه يقولُ الشعر ، ومات الحمارُ ، فادَّعى بشّارُ أنّه رآه في المنام ، وسألَهُ عن سَبَب موته ، فادّعى أنّه مات من غرامه بأتان أبْصَرَها في طريقِهِ ، عند باب الأصبهاني ، وأنَّه أنشَدَهُ هذه الأبيات :

سَيِّدِي مِلْ بِعِنَانِي نَحوَ بَابِ الأصْبَهَانِي
إنَّ بِالْبَابِ أَتَاناً فَضَلَتْ كُلَّ أَتَانِ
تَيَّمَتْنِي يَومَ رِحْنَا بِثَنَايَاهَا الحِسَانِ
وَبِغُنْجٍ وَدَلالٍ سَلَّ جِسْمِي وَبَرَانِي
وَلَهَا خَدٌّ أَسِيلٌ مِثْلُ خَدِّ الشَّيْقُرَانِ
فَبِهَا مِتُّ ، وَلَوْ عِشْتُ إذاً طَالَ هَوَانِي

وسأله أحدُ الحاضرين : ما الشيقران ، يا أبا مُعاذ ؟ فقال : هذا من غريب الحمير ، فإذا لقيتَ حماراً فسلْه .
(« العقد الفريد » ٦/ ٤٤٢) .

[وقريب من هذا ما قاله شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري صاحب القصيدة البوصيرية الملقبة « ببردة المديح » ؛ لمّا استعار منه جمال الدين ناظر الشرقية حمارته ، فأعجبته وأبى أن يعيدها إليه بحكم أنهُ كان له عند صاحب الحمارة البوصيري مبلغ من المال ، فكتب يقول على لسان الحمارة الأبيات التالية :

يَـا أَيُّهـا ٱلسَّيِّـدُ ٱلَّـذِي شَهِـدَتْ
أَلْفَـاظُـهُ لِـي بِـأَنَّـهُ فـاضِـلْ
حَاشَاكَ مِنْ أَنْ أَجُوعَ فِي بَلَدٍ
وَأَنْـتَ بِـالـرِّزْقِ فِيـهِ لِـي كَـافِـلْ
أَلَـمْ تَكُـنْ قَـدْ أَخَـذْتَ عَـارِيَـةً
مِنْ شَرْطِها أَنْ تُرَدَّ في ٱلْعَاجِلْ
وَكَانَ عَزْمِي عِنْدَ ٱلْوُصُولِ بِكُمْ
أَجْمَلَ مِنْ أَنْ أُسَاقَ لِلْحَاصِلْ
مَـا كَـانَ مِثْلِـي يُعِيـرُهُ أَحَـدٌ
قَـطُّ وَلَكِـنْ سَيِّـدِي جَـاهِـلْ
لَـو جَـرَّسُـوهُ عَلَـيَّ مِـنْ سَفَـهٍ
لَقُلْـتُ غَيْظـاً عَلَيْـه يِسْتَـاهِـلْ
طَـالَ بِـي شَـوْقٌ إِلَـىٰ وَطَنِـي
وَٱلشَّـوْقُ دَاءٌ لَا ذُقْتَـهُ قَـاتِـلْ
وَبُغْيَتِـي أَنْ أَكُـونَ عِنْـدَكُـمُ
فَـذَاكَ مَـالَا يَـرُومُـهُ ٱلْعَـاقِـلْ
لَا تَطْمَعُـوا أَنْ أَكُـونَ عِنْـدَكُـمُ
فَـذَاكَ مَـالَا يَـرُومُـهُ ٱلْعَـاقِـلْ
وَبَعْـدَ هَـذَا فَمَـا يَحِـلُّ لكُـمْ
مِلْكِي فَإِنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلْ

فَرَدَّها إليه ولم يأخذِ الدّراهم منه . « ديوان البوصيري » صفحة : ٢٣٧ و٢٣٨ .

وقال يهجو جماعةً سرقوا حمارته :

أَرَىٰ ٱلْمُسْتَخْدَمِينَ مَشَوْا جَمِيعاً
على غيـر الصـراط ٱلْمُسْتَقِيـمِ
مَعَـاشِـرُ لَـوْ وَلُـوا جَنَّـاتِ عَـدْنٍ
لَصَـارَتْ مِنْهُـمْ نَـارَ الجَحِيـمِ
فَمَـا مِـنْ بَلْـدَةٍ إِلَّا وَمِنْهُـمُ
عَلَيْهَـا كُـلُّ شَيْطَـانٍ رَجِيـمِ
فَلَـوْ كَـانَ النُّجُـومُ لَهَـا رُجُـوماً
إِنْ خَلَـتِ السَّمَـاءُ مِـنَ ٱلنُّجُـومِ

وقال أيضاً في عيد المسيح ، حيث لم يهد إليه النصارىٰ طعام العيد :

يَهُـودُ بُلْبَيْـسَ كُـلَّ عِيـدِ
أَفْضَـلُ عِنْـدِي مـن ٱلنَّصَـارَىٰ
أَمَـا تَـرَىٰ ٱلْبَغْـلَ وَهُـوَ بَغْـلٌ
فِـي فَضْلِـهِ يَفْضُـلُ ٱلْحِمَـارَا

وللبوصيري قصائد أخرى في البغال ، راجعها في « ديوانه » صفحة : ١٣٠ وقال البوصيري أيضاً في ابن

عمران ناظر الشرقية أيضاً :

وَمَـالَـهُ مِيـزَةٌ عَلَـيَّ سِـوَىٰ أَنَّ
لـه بَغْلَـةً وَمَـالِـي حِمَـارَهْ]

وفي السنة ١٩٥ هـ نَشَبَتِ المعركةُ بين جَيْشِ المأمون بقيادة طاهر بن الحُسَيْن ، وجيش الأمين بقيادة علي بن عيسى بن ماهان ، وانتهتْ بانكسارِ عسكر الأمين وقَتْلِ قائدِه عليّ بن عيسى بن ماهان ، وجيءَ إلى طاهر بعليّ وقد شدَّ الأعوانُ يدَيْه إلى رجلَيْه ، وحُمِل على خشبةٍ « كما يُحْمَلُ الحمارُ المَيْتُ » فأمر به فَلَفَّ في لِبْدٍ ، وألقي في بئر . (« تاريخ الطبري » ٨/ ٣٩٤) .

ولما بُويعَ المُعْتَزّ العبَّاسي بالخلافة ، في السنة ٢٥٢هـ ، اعتَقَلَ أخاه إبراهيمَ المؤيَّد ، وقيَّدَه ، وضَرَبَه أربعين مقرعة ، وحَبَسَه في حجرة ضَيِّقَةٍ ، ثم أمَرَ به ، فغُمَّ حتى مات ، وحمل إلى أمّه ، (واسمها : إسحاق) على حمارٍ . [تاريخ الطبري » ٩/ ٣٦١ و٣٦٢] .

وكان إبراهيم بن المُدَبَّر يتعشّق عَرِيبَ المَأْمونية ، وزارَتْه مرّةً ، وهي على حمار مصرِيّ ، فتلقّاها حافياً ، وقاد الحمار ، وهي عليه ، إلى صدر مجلسه ، يطأُ الحمارُ على بساطه وما عليه ، وأخذ بِرِكابِها ، فأنزلَهَا

في صدر المجلس ، وجلس بين يديها . (« الأغاني » ٢٢/ ١٨٢) .

وطاف سِيفَويه القاصّ ، بين القبور ، وهو على حمار ، فَنَفَرَ الحمارُ عند أحد القبور ، فقال : ينْبَغي أن يكونَ صاحبُ هذا القَبْر بِيطاراً[١] . (« أخبار الحمقى » ١٣٢) .

وكان العامَّة البغداديون ، في القرن الرابع الهجري ، يقولون : إنّ الحمارَ لا يَدْفأُ إلّا يوماً واحداً من أيّام يوليو / تَمُّوز ، وهو في سائر أيّام السنة مَقْرور (« البصائر والذخائر » جـ٢ ق٢ ص٦٥٢ ـ ٦٥٨) .

وقصّ علينا ابن الجوزي ، في كتابه « أخبار الحمقى والمغفلين » (ص١٩٣) قصّة أحد المغفّلين كان يقود حماراً ، فاحتالَ عليه اثنان ، قال أحدُهما لرفيقِهِ : يمكنني أنْ آخذَ هذا الحمار ولا يعلم هذا المغفَّل ، قال : كيف تعمل ، ومِقْوَدُه بيدِهِ ؟ فتقدّم ، وحَلَّ المِقْودَ ، وجَعَلهُ في رأسِ نفسِهِ ، وأخذ رفيقُه الحمارَ وذهبَ ، ومشى الرجلُ خَلْفَ المغفَّلِ ، والمِقْوَدُ في رأسِهِ ساعةً ، ثم وقفَ ، فجذَبَهُ ، فلم يَمْشِ ، فالتَفَتَ

---

(١) « البيطار » : معالِجُ الدوابّ .

فرآه ، فقال : أين الحِمارُ ؟ فقال : أنا هو ، قال : وكَيْفَ هذا ؟ قال : كنت عاقّاً لأمّي ، فمُسِخْتُ حماراً ، ولي هذه المدة في خِدْمَتِك ، والآن قد رَضِيتْ عنّي أمّي ، فعُدْتُ آدمياً ، فقال : لا حول ولا قوّة إلا بالله ، وكيف كنتُ أستَخْدِمُك وأنت آدمي !؟ قال : قد كان ذلك ، قال : فاذْهَبْ في دِعَةِ الله ؛ فذهَبَ ، ومضى المغفَّلُ إلى بيته ، فقال لزَوْجَتِهِ : ما عندك من الخَبَرِ ، كان الأمر كذا وكذا ، وكنا نستَخْدِمُ آدمياً ونحن لا ندري ؛ وبعد أيّامٍ ، ذهَبَ المُغفَّلُ إلى السوق ليشتري حماراً ، فوجدَ حمارَهُ يُنادىٰ عليه ، فتقدّم مِنه ووَضَع فمَهُ على أذُنِ الحمار ، وقال : يا مُدَبَّر ! عُدْتَ إلى عقوقِ أمِّك !؟ [وتُنْسَبُ هذه القصة لجُحا ، راجع النادرة رقم : ٨٤ من « نوادر جحا الكبرى »].

وأتى رجلٌ ، عبَادِياً صَيْرفياً ، يستسلف منه مئتي درهم ، فقال : وما تصنع بها ؟ قال : اشتري بها حماراً ، فلعلّي أربحُ فيه عشرين درهماً ؛ فقال له الصيرفي : إذا أنا وَهَبْتُك العشرين درهماً ، فما حاجتك إلى المئتين ؟ قال : ما أُريدُ إلا المئتين ، فقال : أنت لا تريد أن تردَّها عليّ . (« البيان والتبيين » ٤/ ٧٦) .

وروى الجاحظ في كتابِهِ « البخلاء » (ص ١٠٤)

عن أحد البصريّين : إنّ اتّخاذ الحمار الجامع ، خيرٌ من غَلَّة ألف دينار ، لأنّه لِرَحْلِك ، وبه يدرك البعيدُ من حوائجك ، وعليه يُطْحَن ، فتستفضل عليه ما يربحه عليك الطحّان ، وتنقل عليه حوائجَه وحوائجَك ، حتى الحطب ، ويُسْتَقى عليه الماء ، وهذه كلّها مؤن ، إذا اجتمعت كانت في السَّنَةِ مالًا كثيراً .

وللصاحب بن عَبّاد نادرةٌ ، فيها ذِكْرٌ للحمار ، خلاصَتُها أنَّ الصاحب كان قد جَمَع رسائِلَه في ثلاثين مجلّدة (« معجم الأدباء » ٥/ ٣٩٦) ، وكان بالِغَ الاعتزاز بها ، ووَرَدَ إليه في أحد الأيام فتى من أهل الشام ، فكان فيما استخبره عنه : رسائلُ مَنْ تُقْرَأُ عندكم ؟ فقال : رسائل ابن عبد كان ، قال : ورسائلُ مَنْ ؟ قال : رسائل الصابي ؛ وغَمَزَهُ أحدُ الجلساء ليقول : رسائل الصاحب ؛ فلم يفطنِ الشاميُّ ، ورآه الصاحب ، فقال : تَغْمِزُ حِماراً لا يحسُّ [« معجم الأدباء » ٢/ ٣١٥] .

ومن اللطائف المتداولة بين البغداديين ، قولهم : دون ذا ويَنْفُقُ الحمارُ ، كناية عن المبالغة التي لا تعلَّقُ بقَبول ، ولا تدخُلُ في معقول ، في المدح ، وأصل الكناية : أنّ رجلًا أراد أن يبيعَ حماراً له ، فقال لمُشَوِّر :

اطرِ حماري ، ولك على ذلك جعلٌ ؛ فلما دخل به السوق ، قال له المُشوِّرُ : هذا حمارُك الذي كنت تصيدَ عليه الوحش ؟ فقال له الرجل : دون ذا ويَنْفُقُ الحمارُ ؛ أي : اَلزمْ قولًا دون هذا التنفيق . (« مجمع الأمثال » ١/ ٢٦٤ و٢٦٥) .

ومن النوادر التي ورد فيها ذكر الحمار ، نادرة تَفَكَّهَ بها الناسُ زمناً ، وأثْبَتَها [أبو فرّيدة جعفر] الخليلي في كتابه « هكذا عرفتهم » ١/ ١١٨ خلاصَتُها أنّ الشيخَ محمد الأَرْدَبيلي ، وكان نهايةً في الظَّرْف ، قال للسيّد أبي الحسن الأصبهاني ، أكبر مجتهدي الشيعة في زمانه : لا أعهدُ عالِماً روحانياً ، دينّياً ، بَلَغَ ما بَلَغْتَهَ أنْتَ من الجاهِ والعظمةِ والجلالِ ، فإنّي لم أسمعْ ولم أرَ زعيماً روحانياً استطاع أن يجتازَ بحمارِهِ باب الصحن الشريف ، وأنت في كلِّ يوم تَجْتَازُ بحمارِك الصحنَ الشريف ، وتبلغ به الحَرمَ المقدَّسَ ؛ فاستغرب السيّدُ قولَه ، وقال : أينَ هذا الحمارَ الذي تذكره ؟ فقال : هذا الشيخ علي مردان الذي يرافِقُكَ حتى وأنت في الحَرَمِ المقدَّسِ ؛ فضَحِكَ السَّيِّدُ .

ومما يُروى عن الشيخ كاظِم السَّبْتي ، أحد خطباء

المنابر الحُسَيْنيّة ، وكان شاعراً بارعاً ، وأديباً فَكِهاً ، سريعَ البديهة ، حُلْوَ النُّكْتةِ ، أنّهُ اكْترى ذات يوم حماراً يحمله من النَّجَفِ إلى كَرْبَلاء ، ولما جاء بأمْتِعَتِهِ ، ورأى المُكارِي كثرَتَها ، قال للشيخ : إنّ هذا لا يمكنُ للحمار أن يحملَهُ ، خَرْج ومَرْج ، ولِحَاف ومِحَاف ، وزَنْبيل ومَمْبيل ؛ فضحك الشيخ كاظم ، وقال له : سوف لا أحمِّلُ الحمارَ إلّا نصف هذه الأحمال ، أحمّله الخَرْجَ وأترك المَرْج ، وأحمّله اللِّحاف وأرمي المِحَاف ، وأحمّلُه الزَّنبيل وأطرح المَمْبيل . (« هكذا عرفتهم » ٣/ ١٧) .

وقصّ علينا المسعودي في « مروج الذهب » ٢/ ٤٣٢ قصّة أميرِ مكّة الذي قَبِلَ شهادةَ الحمير ، قال : كان بمكّة سَفيهٌ يجمع بين الرجال والنساء ، على أفحش الرَّيْب ، فشكا أهلُ مكَّةَ ذلك إلى الوالي ، فغرَّبَه إلى عَرَفات ، فاتَّخذَها مَنْزلًا ، ودخل إلى مكّة مستَتِراً ، فلَقِيَ بها حُرَفَاءَهَ من الرجال والنساء ، وقال لهم : ما يَمْنَعُكم مِنِّي ؟ فقالوا : وأنّىٰ بِكَ وأنتَ بعَرَفات ؟ قال : حمارٌ بِدِرْهَمَيْن ، وصِرْتُم إلى الأمن والنزهة ، والخلوة واللذّة ؛ فقالوا : نَشْهَدُ أنّك لصادِقٌ ؛ فكانوا يأتونَهُ ، وكَثُرَ ذلك ، حتى أفسد على أهلِ مكّة أحْداثَهم

وحواشِيّهم ، فعادوا بالشَّكِيَّة على أميرهم ، فأرْسَلَ إليه ، فأُتِيَ به ، فقال له : أي عدو الله ! طردْتُك من حرم الله ، فصرتَ إلى المشعر الأعظم تُفْسِدُ فيه ، وتجْمَع بين الخبائث ؟ فقال : أصْلَحَ اللهُ الأمير ، إنّهم يكذِبون عليّ ، ويحسدونني ؛ فقالوا للوالي : بيننا وبَيْنَه واحدةٌ ، تجْمَعُ حُمُرَ المُكارِين ، وترسلها إلى عرفات ، فإن لم تقصدْ بَيْتَه ، لِمَا تعوَّدتْ من أتيان السفهاء والفجّار إيّاه ، فالقول ما قال ؛ فقال الوالي : إنّ في هذا لدليلاً ؛ وأمَرَ بجَمْع الحُمُرِ، فجُمِعَتْ ، ثم أُرْسِلَت ، فقصدت منزِلَهُ ، وأتاه أمناؤه فأخبروه ، فقال : ما بعد هذا شيء ، جرِّدُوه ؛ فلما نظر إلى السِّياط ، قال : ولا بُدَّ من ضَرْبي ؟ قال : لا بُدَّ يا عدوّ الله ! قال : اضرب ، فوالله ما في هذا شيءٌ أشدّ من أنْ يَسْخَرَ بنا أهلُ العراق ، ويقولون : إنّ أهل مكّة يُجِيزون شهادَةَ الحَمِير ، مع تقريعِهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب (أي : المدعي) ؛ فضَحِكَ الوالي ، وقال : لا أضربُك اليوم ؛ وأمَرَ بتَخْلِيَةِ سبيله ، وترك التعرُّضَ له .

وركب شُعْبَة بن الحجاج المتوفى ١٦٠هـ حمارَهُ ، فلقيه سليمان بن المغيرة ، فشكا إليه الفقرَ والحاجَة ، فقال : والله ، ما أملك غير هذا الحِمار ؛ ثم نَزَلَ عنه ،

ودفعه إليه ، فبيع الحمار بستَّة عشر دِرهماً . (« وفيات الأعيان » ٢/ ٤٧٠) .

وركب أبو هَفَّان ، على حمارٍ مُكارٍ ، فاستقبلَهُ أحمد بن محمد بن ثوابة ، فقال له : يا أبا هَفَّان ! تركَبُ حميرَ الكِرَاء ؟ فقال :

رَكِبْتُ حَمِيرَ الكِرَا لِقِلَّةِ مَنْ يُعْتَرَى
لأنَّ ذَوِي المَكْرُمَا تِ قَدْ غُيِّبُوا في الثَّرَى

(« أخبار أبي نؤاس » لأبي هَفَّان ١١) .

ومن أمثال العرب : جَاءَ بِقَرْنَي حمار ؛ كنايةً عمّن جاء بالباطل ، لأنّ الحمار لا قرون له . (« مجمع الأمثال » ١/ ١٦٦) .

ومن أمثالهم : أخلى من جوف الحمار ؛ لأنّ الحمارَ لا يُنْتَفَعُ بشيء مما في جوفِهِ بل يُرْمى به ولا يُؤكل ، فجوفُ الحمار عندهم بمنزِلةِ الوادي القَفْرِ الذي لا منفعة للناس ولا للبهائم فيه . [راجع ما ورد في الحمار من أمثال] .

[يقول ياقوت في « معجم البلدان » مادة « جوف » :

والجوف : اسم وادٍ في أرض عاد فيه ماءٌ وشَجَرٌ

حَمَاه رجلٌ اسمه حمار بن طُوَيْلع { في بعض المراجع : مويلع } ، كان له بنون ، فخرجوا يتصيَّدون ، فأصابهم صاعقة ، فماتوا ، فكفر حمار كفراً عظيماً ، وقال : لا أعبدُ ربّاً فعل بي هذا الفعل ! ثم دعا قومه إلى الكفر ، فمن عصى منهم قتله وقتل من مرَّ به من الناس ، فأقبلَتْ نارٌ من أسفل الجوف فأحرقَتْه ومن فيه ، وغاض ماءه ، فَضَرَبَتِ العرب به المثل ، وقالوا : أكفرُ من حمار ، ووادٍ كجَوْفِ الحمار ، وكجوف العير ، وأخرَبُ من جوف حمار ، وأخلى من جوف حمار .

وقد أكثرتِ الشعراءُ من ذكره ، فمن ذلك قول بعضهم :

وَلِشُـومِ الْبَغْـي والغَشْـمِ قَـدِيمـاً
مَا خَلاَ جَوْفٌ وَلَمْ يبْقَ حِمَارُ

قال ذلك ابنُ الكلبي ، قال : وإنَّما عُدِلَ عند تسميته عن ذكر الحمار إلى ذكر العير في الشعر لأنه أخفّ عليهم وأسهل مخرجاً ، وذلك نحو قول امرىء القَيْس :

وَوَادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ

وقال غير ابن الكلبي : ليس حمار ههنا اسم رجل ، إنما هو الحمار بعينه ، واحتجَّ بقول من يقول : أَخْلَى

من جوف الحمار ، لأن الحمار لا ينتفع بشيء مما في جوفه ، ولا يؤكل ، بل يُرْمى به ؛ وأنشدَ ابن الكلبي لفارس مَيْسان الكِنْدي ، جاهلي :

وَمَرَّت بجَوْف الْعَيْرِ وَهِيَ حَثيثَةٌ
وقد خلَّفَت بالأمس هَجْلَ الفُراضم

تخافُ من المُصْلَىٰ عَدُوّاً مُكَاشِحاً
ودون بني المصلى هُدَيْد بن ظالم

وما إن بجوف العَيْر من متلذّذ
مسيرة يوم للمطيّ الرواسم

فهذا يقوِّي قول أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي ؛ قلتُ : ولله درّه ! ما تنازَعَ العلماءُ في شيءٍ من أمور العرب إلا وكان قوله أقوى حجّة ، وهو مع ذلك مظلوم ، وبالقوارض ملكوم . أهـ .

وقد ضبط ياقوت طويلع بقوله : طُوَيلع بالتصغير . اهـ .

وقال في مادة « عير » :

والعير : وادٍ في قوله :

ووادٍ كجوفِ العَيْر قَفْرٍ هَبَطْتُهُ

قولُهُ : « كَجَوْفِ العَير » أي : كوادي العَيْر ، وكلٌّ

وادٍ عند العرب جَوْف ، وقال صاحب « العين » : العَيْر : اسم وادٍ كان مخصباً ، فغيَّره الدهر ، فأقفر ، فكانت العرب تضرب به المثل في البلد الموحش . وقال ابن الكلبي : إنه كان لرجل من عاد يقال له : حمار بن طُوَيْلِع [في الأصل : مويلع] ، كان مؤمناً بالله ، ثمّ ارتدّ ، فأرسل الله على واديه ناراً ، فاسودَّ وصار لا ينبت شيئاً ، فضرب به المثل ؛ وإنما قيل : « جوف » في المثل ، لأن الحمارَ ليس في جوفه شيء ينتفع به . اهـ] .

وفي « خزانة الأدب » للبغدادي ١/ ٦٥ شرحٌ لبيت امْرِىء القَيْس :

وَوَادٍ كَجَـوْفِ الْعَيـرِ قَفْـرٌ قَطَعْتُـهُ
بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ المُعَيَّلِ

والتشبيه بجَوْف العَير ، أي : بجَوْف الحمار ، مَثَلٌ لما لا يُنْتَفَعُ منه بشيء ، إذ ليس فيه شيء يؤكَلُ أو يُنْتَفَعُ به ، فأصبح جوفُ الحمار عندهم بمنزلة الوادي القَفْر ، وقالوا في أمثالهم : أخرب من جَوْف حمار ، وأخْلى من جَوْف حمار .

وقال [أحمد بن عبد المؤمن] الشَّرِيشِي في كتابه

« شرح المقامات الحريرية » ١/ ٦٢ : إذا أراد العربُ الاستواء في الشَّرِّ ، قالوا : سَوَاسِيَة كأسْنان الحِمار ؛ وإذا ارادوا الاستواءَ في الخير : سَوَاسِية كأسنان المِشْط .

ومن الكنايات العامية المِصْرية ، قولُهم : خَلّاها بطن حمار ؛ كناية عن البلوغ في المُوبِقات أو في خَلْط الأمور مبلغاً عظيماً ، أي : إنه جعل الحالةَ كَبطْن الحمار ، قرارة قاذورات . (« الكنايات العامية » لتيمور ١٥) .

[ويقول العامة : « حمار السقا » و« حمار شغل » كناية عن من انهمك في عمله بحيث لا يجد فرصة للراحة . ويقولون : « حمارة القاضي » كناية عن احترام من لا يستحق الاحترام رعاية لعلاقته بأشخاص ذوي النفوذ . ويقولون : « والحمار رفَّاس »] .

وكان لأبي سَيَّارة عُمَيْلة بن [خالد بن] الأعزل [العَدواني] ، حمارٌ أسود . أجازَ الناسَ عليه من المُزْدَلِفَةِ إلى مِنىً أربعين سنة ، [وكان يقولُ : أشْرِقْ ثَبِيْر كيما نُغِيرْ ؛ أي : كي نسرع إلى النَّحْرِ ، فقيل : « أصَحُّ من عَيْر أبي سَيَّارة » . « القاموس المحيط »

مادة : سير] ، وفيه يقول الشاعر :

خَلُّوا الطَّرِيقَ عَنْ أَبِي سَيَّارَهْ
وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَارَه
حتَّى يَجِيزَ سَالِماً حَمَارَهْ
مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ يَدْعُو جَارَه

وكان خالد بن صفوان ، والفضل بن عيسى الرَّقَاشي ، يختاران ركوبَ الحَمِير ، على ركوب البَرَاذِين ، ويجعلان أبا سَيَّارة لهما قُدْوَة ، فأما خالد ، فإنّ بعضَ الأشرافِ بالبصرة تلقاه فرآه على حمار ، فقال : ما هذا المَرْكب يا أبا صفوان ؟ فقال : عَيْرٌ من نسل الكُدَاد [وكُداد : فحل تنسب إليه الحمير] ، أصْحَرُ السِّرْبال ، مفتولُ الأجلاد ، مُهَمْلَجُ القوائم ، يحمل الرِّجْلَة ، ويبلغ العَقَبَة ، ويقلُّ داؤه ، ويخفُّ دواؤه ، ويَمْنَعني أنْ أكونَ جبّاراً في الأرض ، أو أكونَ من المُفْسِدين ، ولولا ما في الحمار من المنفعة ، لما امتطى أبو سَيَّارة ظهر عيرٍ أربعين سنة .

وأمَّا الفضلُ بن عيسى ، فإنّه سُئِل عن ركوب الحمار ، فقال : إنّه أقلُّ الدواب مؤونةً ، وأكثرُها معونةً ، وأسْهَلُها جَماحاً ، وأسلَمُها صَرِيعاً ، وأخفضُها

مهوى ، وأقرَبُها مُرْتقى ، يزهَى راكِبُه وقد تواضع بركوبِهِ ، ويُسَمَّىٰ مقْتَصِداً وقد أسْرَفَ في ثمنه ، ولو شاء عُمَيْلة بن خَالِدٍ أبو سَيَّارة ، أن يركبَ جملاً مَهْرِيّاً ، أو فرساً عَرَبِياً ، لَفَعَلَ ، ولكنّه امتطى عَيْراً أربعين سنة ؛ فسَمِعَ أعرابيٌّ كلامَه ، فعارضه ، وقال : الحِمارُ شَنَارٌ ، والعَيْرُ عَارٌ ، مُنْكَرُ الصَّوتِ ، بعيدُ الفَوْتِ ، مُنْغَرِقٌ في الوحل ، متلوِّثٌ في الضَّحْل ، قليلُ الغَوْثِ ، سريعٌ إلى الفرَارة ، بطيءٌ في الغَارة ، لا ترقأُ به الدماء ، ولا تُمهَرُ به النساء ، ولا يُحْلَبُ في إناء . (« مجمع الأمثال » للميداني ١/ ٤١٠ و٤١١ ، و« حياة الحيوان الكبرى » ١/ ٢٩٧) .

وللبغداديين القُدَماء كنايةٌ عن الخِلَّتَيْن إحداهما شرٌّ من الأخرى ، وهي قولُهُم : كحمارَيّ العبادي لما سُئِل : أيُّ حمارَيْك شرٌّ ؟ فقال : هذا ثُمَّ هذا . (« مجمع الأمثال » ٢/ ١٦١) .

ومن كناياتِهِم عن الذَّلِيل ، قولُهم : أذلُّ من حمارٍ مُقَيَّدٍ . (« مجمع الأمثال » ٢/ ٣٩٣) .

ومن كناياتِهِم عن الحقير الذليل ، قولُهم : حُمَيْرُ الحاجات ، لم يرضوا أن يشيروا إليه بأنّه حمار ، حتى

صَغَّروه . (« مجمع الأمثال » ٢/ ٤٠٤) .

ومن أمثالهم : التَّكْرَارُ يُعَلِّمُ الحِمارَ .

وقال رجلٌ للفَرَزْدَق : إنّي رأيتُ في المنام كأنَّكَ قد وُزِنْتَ بحمارِك ، فرجَحَ الحمارُ بك ، فقُطِعَ أيرُ الحمار وجُعِلَ في استِكَ ، فَرَجَحْتَ بالحمار ، فقُطِعَ لسانُك وجعل في ٱستِ الحمار ، فاعتَدَلْتُما ؛ فقال له الفرزدق : إن صَدَقَتْ رؤياك نِكْتُ أُمَّكَ . (« البصائر والذخائر » ١/ ٥٩ و٦٠) .

وذكر الحصرِيّ في كتاب « الملح والنوادر » : إنّ فتى تعشَّقَ امرأةً ذات زَوْجٍ ، وألحّ في التعرُّض لها ، حتى آذاها ، فأخبَرَتْ زوجَها ، ودبَّرا عليه تدبيراً ، وواعدَتْه المرأةُ على أن يحْضرَ إلى دارها ، فلما حَضَرَ ، لم يكدْ يستقرّ به المجلسُ ، وإذا بالباب يُطرَقُ ، فقالَتِ المرأةُ : هذا زَوْجي ؛ وأمرتْ جاريَتَها أنْ تأخذَ الفتى إلى دِهْلِيزِ الدار ، فأخذتْهُ ، وحلَّتِ الحمارَ من الطاحون ، ورَبَطَتِ الفتى في موضِعِه ، وأوْصَتْه أَن يدورَ فيطحنَ مكانَ الحمار ، وأن لا يفْتُرَ ، لئلا يفطن له الزوجُ ، فاستمرّ يدور في الطاحون طوالَ اللَّيْل ، حتى إذا أصبح الصباحُ ، حلَّتهُ الجاريةُ ، وأرسلَتْهُ إلى داره ، ولاقته

الجاريةُ بعد شَهْرٍ ، فأخبرتْه بشَوْقِ سيِّدَتِها إليه ، وأنّها تـريـدُ أن تـراه ، فقـال لهـا : هـل نَفَـدَ طَحينُكُـم ؟ . (« الملح والنوادر » للحصري ٢٨٣ و٢٨٤) .

وكـان الهـادِي العَبّـاسي يـركـبُ حِمـاراً فـارهـاً . (« تاريخ الخلفاء » ٢٧٩) وخرج مرّةً ليعزّي أحدَ أفرادِ حاشيته ، وهو على حمار أشهب (« تاريخ الطبري » ٨/ ٢٩١) وزار عبد الله بن مالك ، وهو على حمار . (تاريخ الطبري ٨/ ٢١٦) .

وكان الرَّشيدُ يركبُ حماراً مِصْرياً ، أسود اللون ، قـريبـاً مـن الأرض ، يطـوف بـه علـى جـواريـه . (« المحـاسـن والأضـداد » ١٧٤ و« مطـالـع البـدور » ١/ ٢٣٨) ويخـرج بـه لعيـادة مـن يـريـد أن يعـوده . (« الأغـانـي » ٥/ ٢٥٣ و« نهـايـة الأرب » ٤/ ٣٤١) وزيارة من يرغبُ في زيارته . (« الأغاني » ١٠/ ١٧٥) وانتبهَ مرّةً في نصف الليل ، فقال : هاتوا حِمارِي ؛ وركبه ، وخرج . (« الأغاني » ١٠/ ١٧٦) .

وعـاد المعتصـمُ ولـدَه الـواثِـق ، ثـم رَجَـع راكبـاً حماراً . (« الأغاني » ٨/ ٢٥١ و٢٥٢ و« نهاية الأرب » ٤/ ٢٣٢) ، وكان المعتصمُ يركبُ الحمارَ عند خروجه من داره متخفّفاً . (القصة ٧/ ١٢٥ من كتاب « نشوار

المحاضرة » للقاضي التنوخي) .

وكان العزيز الفاطمي يركبُ الحمارَ . (« اتعاظ الحنفا » ٢٩٤) ، وكذلك كان ولده الحاكم الفاطمي ، يركب الحمارَ ، ويدورُ به في الأسواق (« شذرات الذهب » ٣/ ١٩٣ و« خطط المقريزي » ٢/ ٢٨٨) .

وفي السنة ٢٧١هـ وقعت وقعةٌ بالطواحين ، بين أبي العبّاس ٱبن المُوفَّق (المعتضد أخيراً) وبين خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، فانهزم خُمَارَوَيْه ، وعاد إلى مصر راكباً حماراً . (« تاريخ الطبري » ١٠/ ٨) .

[وجاء في كتاب « مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل » صفحة ٢٤ : إذا لم يحزِ الوالي [العثماني] ثقة شيخ البلد وأعوانه ، يقرّر هذا عزله ، ويبعث إليه برسالة العزل مع رسول يدعى : أوطه باشي ، ويسمّى : أبو طبق ، لأنه يلبس قبعة تشبه الطبق [وهي قبعة تشبه القبعات السوداء ذات الإطار العريض التي يستعملها بعض اليهود في أوربة] فيركب الأوطه باشي حماراً ، لعدم سماح القانون بركوب الخيل والبغال ، ويذهب إلى القلعة في موكب من المتفرجين حاملًا فرمان العزل ، وهناك يقول للوالي : « انزل

يا باشا ! » فينزل في الحال ، وتزول كل سلطته ، ولا يعارض الباشا في الفرمان المذكور حتى لو تعدّى أمر عزله إلى قتله . اهـ .] .

وممن عُرِفَ بركُوبِ الحمارِ خالد بن صفوان ، واحتجّ لركوبِه ، فقال : يحمل الرَّجْلَة ، ويبلغ المنزلَ ، ويمنعني أن أكون جبّاراً عنيداً . (« البصائر والذخائر » م٢ ق٢ ص٥٨٩).

وذكر الشَّرِيشِي في كتابه : « شرح المقامات الحريرية » ٢/ ٣١٠ [وراجع « زهر الآداب » ٢/ ٩١٣ ، و« محاضرات الأدباء » ٢/ ٦٣٤] . أنّ خالد بن صفوان دخل على أبي الجَهْم العَدَوِيّ ، وهو يريدُ أن يركَبَ حماراً ، فقال له خالد : أما علمْت أنّ العَيرَ عارٌ ، وأنّ الحِمار شَنَارٌ ، مُنْكَرُ الصَّوْتِ ، قبيحُ الفَوْتِ ، متَرَنِّحٌ في المحلِّ ، مرتَطِمٌ في الوَحْلِ ، ليس بركوبَةِ فَحْلٍ ، ولا مطيّة رَحْل ، راكِبُه مُقْرِف ، ومسايره مُشْرِف ؛ فاستوحش العَدَوِيُّ من ركوبه ، وركب فَرَساً ، وركب خالد الحمارَ ، فقال له أبو الْجَهْم : ويحك يا خالد ! تنهىٰ عن شيء وتأتي مثلَه ؟ فقال : أصلحك الله ، عَيْرٌ من بنات الكُدَاد ، أسْحَمُ السِّرْبال ، مُدْمَجُ الأوْصال ،

مُهَمْلَجُ القوائم ، يحملُ الرِّجْلَة ، ويبلغ العَقَبة ، ويمنعني أن أكون جبّاراً عنيداً ، أو مَلِكاً شديداً .

وكان أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنّى ، يركَبُ الحمارَ (« مرآة الجنان » ٢/ ٤٥) وابن جامع القرشي المُغَنّي (« الأغاني » ٦/ ٢٩١ و« نهاية الأرب » ٤/ ٣٠٦) ومُخَارِق المغنّي ، كان له حمار أسود يركَبُه في حوائجه (« الأغاني » ١٨/ ٣٤٧) وعيسى بن مسكين ، فقيه المغرب ، وقاضي القَيْرَوان [« مرآة الجنان » ٢/ ٢٢٤] وأبو يزيد النكاري ، الخارج بالمغرب على الفاطميين . (« اتعاظ الحنفا » ٧٠) وأبو العَيْناء محمد بن القاسم بن خلاد ، وقد سُرِقَ حمارُه مرّة ، فتخلّف عن الوزير أبي الصَّقْر إسماعيل بن بلبل ، فقال له : ما خلّفك عنّا يا أبا العَيْناء ؟ قال : سُرِق حماري ؛ فقال له : كيف سُرِق ؟ فقال : لم أكُنْ مع اللصّ فأخبرك .

(« الملح » للحصري ٣٣٠) وزاحم أبا العَيْناء [وكان أبو العيناء مكفوفاً ، فاقد البصر] رجلٌ على حمارٍ ، فضرب أبو العيناء بِيَدِه على أذُنِ الحمار ، وقال له : يا إنسان ! قل لهذا الحمار الذي فوقك ، يقول : الطريق . (الملح ٢٣٣) .

وكان الحمارُ مركِبَ التجّار البغداديين . (القصة ٢/ ٥٤ و٣/ ٥٦ من كتاب « نشوار المحاضرة ») ، ومركب الشعراء ومتوسّطي الحال (القصة ٣/ ٤٠ من كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي ، و« شذرات الذهب » ٢/ ٢٢٠) ولما ولي الحارثُ بن مِسْكِين ، قضاء مصر ، في السنة ٢٣٧هـ وكان مُقْعَداً من رجليه ، كان يركبُ حماراً متربِّعاً ، فإذا وصل إلى الجامع ، حُمِل في مَحَفَّةٍ (« الولاة » للكندي ٤٦٩) ولما توفّي يزيد بن يوسف بمصر ، خرج يونُس الصدفي ، إلى جنازته ، على حمارٍ ، وصلّى عليه ، ولم ينزل عن الحمار (« الولاة » للكندي ٤٧١) .

ومما يجدر ذكرُه ، أنّ الرشيد ، لما أمَرَ بقتل جعفر البَرْمَكِيّ ، دخل عليه مسرورٌ ، وأخرَجَه إخراجاً عنيفاً ، وقيَّدَه بقَيْدِ حمار ، ثم ضَرَبَ عنقَه (« تاريخ الطبري » ٨/ ١٩٥) .

وكان الحمار مركب المتحابِّين إذا خرجوا لمَوْعِدٍ (« الأغاني » ١/ ٣٩٥) ومركب القهرمانات إذا بارَحْن القصور من أجل أشغال السادة (القصة ٤٧٨ من كتاب « الفرج بعد الشدة » للقاضي التنوخي) ومركب

المغنِّيات ، والجواري ، والمغنِّين (« الأغاني » ١٥/ ٣٥٧ و١٨/ ٣٤٧ ، و« نهاية الأرب » ٥/ ٣١ و١١٠ ، والقصة ٤٧٩ من كتاب « الفرج بعد الشدة » للقاضي التنوخي) ومركب رجال الدولة ، إذا خرجوا متنكرين (القصة ٢/ ٢ من كتاب « نشوار المحاضرة » للقاضي التنوخي ، والقصة ٤٧١ من كتاب « الفرج بعد الشدة ») .

وكان المتوكِّلُ يركبُ الحمارَ في داره (القصة ٢٨٣ من كتاب «الفرج بعد الشدة»)، وكان يصعد إلى أعلى منارة سامَرَّاء، وهو على حمار مَرِّيسيّ[1] («لطائف المعارف» ١٦١) .

أقول : هذه المنارة ما زالت شامخة في الجوّ ، يسميها الناس : الملويّة ، والطريق إلى أعلاها يتلوّى حولها من خارجها .

ولما بنى المكتفي قصرَ التَّاج ، بنى قبّةً على أساطين رخام ، عُرِفَت بقبّة الحِمَار ، لأنَّه كان يصعدُ إليها ، في مدرّج حولها ، كمنارة جامع سامَرَّاء ، على حمار صغير

---

(١) ومَرِّيسَة : قرية بمصر من ناحية الصعيد ينسب إليها الحُمُر المَرِّيسية ، وهي من أجود الحمير وأمشاها .

الْجِزْم ، وكانت عاليةً ، مثل نصف دائرة (كتاب « دليل خارطة بغداد » ١٢٦ ، [و« القاموس المحيط » مادة : قبب].) .

أقولُ : لما زرتُ بلادَ الأندلس في السنة ١٩٦٠م أبصرتُ في إشْبيلِيَة Sevilla ، من آثار المسلمين الباقية ، مأذنةً يسمّونها : الجيرالدا Giralda ، ذات علّوٍ شاهِقٍ ، يُصْعدُ إليها من باطنها ، في طريق يتّسع لأشخاصٍ ستّة ، يسيرون جنباً إلى جنب ، وذكَرُوا لنا ، أنّ المؤذّنَ كان يَصعَدُ إلى أعلى هذه المأذنة ، راكباً حماراً ، ووجدت أهالي إشْبيلِيَة Sevilla ، يفْتَخِرون بهذه المأذنة ، ويقولون : إنّ من صعد إلى أعلى بُرْج إيفل Tour Eiffel بباريس Paris ، أبصر باريس Paris كلّها ، أما من صعد إلى أعلى الجيرالدا Giralda ، فإنّه يرى الدنيا كلّها .

وكان الناس يغالون في حمير مصر ، وهي موصوفةٌ بحُسْنِ المَنْظر ، وكرم المَخْبر (« لطائف المعارف » ١٦١ ، و« نهاية الأرب » ١٠/٩٣) وأهل مصر يعنون بتربية الحمير ، والقيام عليها ، لما يَجدون فيها من الفَرَاهَةِ ، وسرعةِ الحضر ، والنجابة ، ويبالغون في أثمانها ، حتى بِيعَ في بعض السنين ، حمارٌ ، بمئة دينار

وعشرة دنانير ، وكان صاحبه يسمع أذان المغرب بالقاهرة ، فيركب ، ويسوقه ، فيلحقها بمِصْر (يعني : الفُسْطَاط) ، وبينهما ثلاثة أميال [« مطالع البدور » ٢/ ١٨٢] .

[بل إنَّ الخليجيين اليوم ، وقسم من السعوديين جعلوا نسبة المصري عَلَماً على الحمار .

كما أن المصريين جعلوا نسبة الإحسائي عَلَماً على الحمار ، فيقولون محرفين هذه النسبة : الحصاوي] .

وذكر ابن سعيد : أنّ المغاربة ، كانوا يَأْنَفون من ركوب الحمير ، خلافاً لأهالي مِصْر ، فإنّ أعيانَ مصر ، والفقهاء ، والسادة ، يركبون الحمير . (« خطط المقريزي » ١/ ٣٤١ ، و« نفخ الطيب » ٢/ ٣٣٩) حتى أنّ ابنة الإِخْشِيد محمد بن طُغْج ، كانت تقطع الأزقّة في القاهرة ، وهي على ظهر حمار . (« خطط المقريزي » ١/ ٣٥٣) .

أقول : لم تقتصر الأَنَفَةُ من ركوب الحمار ، على المغاربة المسلمين ، وإنما تعدّتَهْم إلى إفرنج إسبانية Espana ، فإنّ الملك ألفونس Alphonse ، لما انكسر في السنة ٥٩١هـ في المعركة بينه وبين السلطان أبي يوسف

المُوَحِّدي ، حلق ألفونس Alphonse رأسه ، وركب حماراً ، وأقسم لا يركب فرساً حتى ينتصر (« تاريخ ابن الأثير » ١٢/ ١١٥) وكذلك صنع علاء الدين الغُورِي ، في السنة ٦٠٢هـ ، فإنّ أهالي غَزْنَة ، نهبوا جميع ما كان لديه ، فلما وصل إلى بامِيَان ، لبس ثياب سوادِي [أي : فلاح] ، وركب حماراً ، وقال : أريد أن يراني الناس ، وما صنع بي أهل غَزْنة ، حتى إذا عدت إليها وأخْرَبْتُها ، لا يلومني أحد . (« تاريخ ابن الأثير » ١٢/ ٢٢٠) .

وذكر القَزْوِيني ، في كتابه « آثار البلاد » ص٢٦٢ : أنّ الحُمُرَ المَرِّيسِيّة ، نسبة إلى المَرِّيسة ، في ناحية الصعيد بمصر ، من أجود حمر مصر ، وأمشاها ، وأحسنها صورةً ، وأكبرها ، تُحْمَل إلى سائر البلاد للتُحَف ، وليس في شيء من البلاد مثلها ، والبلاد الباردة لا توافِقُها ، فتموت فيها سريعاً .

وخرج توقيع عبد الله بن طاهر : إذا وجدتم البِرْذَوْن الطُّخَارِي ، والبغل البَرْذَعِيّ ، والحمار المِصْري ، والرَّقِيق السَّمَرْقَنْدِيّ ، فاشتروها ، ولا تستطلعوا رأينا فيها . (« لطائف المعارف » ٢١٩) .

وروى لنا صاحب « مطالع البدور » ٢/ ١٨٣ طريفتَيْن عن الحمار :

الأولى : ذكر أنَّه رَكِبَ حماراً من مِصْر (الفُسْطَاط) إلى القاهرة ، فلما كان في أثناء الطريق ، حاد به عن السِّكَّة ، وجهد أن يردَّه ، فلم يتمكَّنْ ، حتى انتهى إلى جدار بستان ، فوقف ، وبال ، وعاد إلى الطريق ، وكذلك جرى له مع حمارَيْن آخرين .

والطريفة الثانية : إنّ حماراً ، كان بمِصْر ، يجتمع عليه الناسُ ، ويجمعون له مناديل ، تلقى على ظهره ، ثم يأمرُهُ صاحُبه بإعادة كلِّ منديل إلى صاحبه ، فيدور في الحلقة ، ولا يقف إلّا من له في ظهره منديل ، فإن أخذه ، ذهب عنه ، وإن أخذ غيره لا يذهب ، ولو ضرب مئة ضربة ، ويأخذ صاحب الحمار ، الخاتم من إصبع الرجل ، ويسأله (أي : يسأل الحمارَ) عن وزْنِه ، فيقول : كم وزن الخاتم ؟ فإن كان وزنه دِرْهماً ، مشى خطوة واحدة ، وإن كان درهماً ونصفاً ، مشى خطوة ونصفاً ، وهكذا ، وبينما هو واقف ، يقول له شخص : الوالي يُسَخِّرُ الحمير ؛ فما يتمّ كلامه ، إلّا ويلقي الحمار نفسه على الأرض ، وينفخ بطنه ، ويقطع

نَفَسَه ، كأنّه مَيْتٌ من زمان ، فإن قيل له بعد ذلك : ما بقيت سخرة ؛ ينهض قائماً .

وفي السنة ٧٩٢هـ نودي في القاهرة ومصر ، بأنّ أحداً من المتعمِّمين لا يركب فرساً ، سوى الوزير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، والبقية يركبون البغال ، وأنّ الطحّانين لا يخلّوا عندهم فرساً صحيحاً سالماً ، وأن لا يركب الخيلَ فقيهٌ ، ولا جندار ، ولا أحد من العوام ، وأنّ الحمَّارة ، لا يحملوا على الأكادِيش شيئاً ، ولا يحملون إلا على الحمير . (« تاريخ ابن الفرات » ٩/ ٢٣٧) .

وفي السنة ٧٩٣هـ صدر مرسوم من نائب السلطنة بالقاهرة ، بأنّ امرأة لا تخرج من بيتها إلى التُرْبَةِ ، وأنّ أيّ من وجدت بالقَرَافَةِ ، أو تربة من الترب ، وُسِّطَتْ[1] هي والمُكَارِي والحِمَار (« تاريخ ابن الفرات » ٩/ ٢٦٦) .

وكان القاضي ، أو الوالي ، إذا أَمَرَ بإشهارِ شَخْص ، داروا به على حمار . (« المنتظم » ٨/ ٢٩٤

---

(١) التوسيط ، هو : الضرب بالسيف في وسط الإنسان بعد أن يشد إلى قوائم خشبية .

و١٠/ ٢٣٧ و« مهذب رحلة ابن بطوطة » ٢/ ١٤٧) .

ومن طريف ما يُذْكَرُ ، أنّ شخصاً حَجَرَه القاضي ، وأمَرَ بإشْهارِهِ في البلد ، ليَمْتَنِعَ الناسُ من التعامل معه ، فحُمِلَ على حمارٍ ، وداروا به في الأسواق ، فلما انقضى النهارُ ، طالبه المُكارِي بالأجر ، فالتفَتَ إليه ، وقال له : في أيِّ شيء كنّا منذ الصباح ؟

وكان الشَّمَّاخ الشاعر ، من أوْصفِ الناس للحميرِ ، أُنْشِدَ الوليدُ بنُ عبد الملك شيئاً من شعره في وصف الحمير ، فقال الوليد : ما أوْصَفَه لها ، إنّي لأحسب أنّ أحَدَ أبَوَيْه كان حِماراً . (« الأغاني » ٩/ ١٦١) .

وقيل لمُزَبِّد المَدَنِي ، وقد اشترى حماراً : ما في حمارك عَيْبٌ ، إلا أنّه ناقص الجسم ، يحتاج إلى عصا ؛ فقال : إنِّي كنتُ أغتمُّ لو كان يحتاج إلى بزماورد[1] ، أمّا العصا ، فأمْرُها هَيِّنٌ . (« البصائر

---

(١) بزماورد : وهو الشواء المدقوق الملفوف في الرقاق . ويقال أيضاً : الزُّماورد ، أو هو : كبيبة لحم مفروم وخضار مَكسِيّة بالبيض ومقلية بالسمن ؛ فإن لم يكن فيه لحم قيل له : العُجَّة . ومن أسمائه : لقمة القاضي ، فخذ السيدة (قادين يوطه سي)، ولقمة الخليفة، ونُواله ، ونرجس المائدة، والمَتْك ؛ ويكنى : أبو صادق .

والذخائر » م١ ق٢ ص٦٨٩) .

وباع مُزَبِّد المَدَنِي حماراً ، فلما كان من الغدِ ، أتاه النخَّاسون طَمَعاً ، فلما نظر إليهم قد أقبلوا نحوه ، قام يصلِّي ، فأطال الصلاةَ ، فقالوا له ، وهم لا يعرفونه : يا عبد الله ! وقد ذهب يومنا ؛ وأطمعهم طول قيامه ، وكان أحسن الناس سَمْتاً ، وأظهرهم هدياً .

فانفتَل من صلاتِه ، فقال : ما بالكم ؟! قد قطعتم عليّ صلاتي .

فقالوا : قد ظهر بالدَّابَّةِ عَيْبٌ .

قال : وما عَيْبُه ؟

قالوا : يخلع الرَّسَنَ .

قال : لا أعرفه بهذه الصفة ، فماذا تريدون ؟

قالوا : خصلةٌ من ثلاث ، إما الحَطِيطَة ، وإما ردُّ الثَّمَنِ وأخذ الدابّة ، وإما اليمين بالله أنّك ما تعرف هذا فيه .

فقال : أما الثمن فقد فرَّقْناه ، وأما الحَطِيطَة فما تمكنّا ، وأما اليمين ، فإنّي ما حلفتُ قطّ ، على حقّ ، ولا على باطل ، فاعفوني منها ، فإنَّها أصعبُ الخُطَطِ عندي .

فقالوا : ما منْ ذلك بُدّ ، فانطلِقْ بنا إلى الوالي ؛

فقام معهم ، فلما بَصَرَ به الوالي ضَحِك ، وقال : ما جاء بك يا أبا إسحاق ؟ فقصّ عليه القصّة .

فقال : قد أنْصَفَكَ القومُ .

فقال : أعزَّ الله الأمير ، أحلف ، وأنا في هذه السنّ ؛ وضرب بيده على لحيته ، وبكى ، وقال : ما حلفتُ على حقٍّ ولا باطل ؛ والتوى .

قال : لا بُدَّ ؛ فالتوى ساعةً ، ثم قال : أصلح الله الأمير ، فإن حملتُ نفسي على اليمين، وحلفتُ ، وأعْنَتُوني بعد ذلك ؟

قال : أوجِعُهم ضرباً وأحبسُهم .

فلما سمع ذلك ، استقبل القبلة ، وقال : بلغتُ السماءَ ، وكوَّرْتُ الشمسَ ، ونثرتُ الكواكبَ ، وشَرِبْتُ البحرَ ، ولَطَعْتُ ما في المصحف من الذكر الحكيم ، وتولَّيْتُ عاقر الناقة ، وسرَقْتُ عصا موسى عليه السلام ، ولقيتُ اللهَ بذنب فرعون يوم قال : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ ؛ وغير ذلك من مُخْرِجِ الأيمان ؛ لقد كان عِنْدي دوابٌّ تخلعُ أرسانهَا ، فكان هذا الحمار يقوم فيُعِيدُها عليها ، ويُصْلِحُها بفمه قليلاً قليلاً .

فضحك الوالي ، حتى فَحَصَ برجليه ، وبُهِتَ

النخّاسون ، وعَجِبُوا منه ، وانصرفوا عنه . (« الملح » للحُصَري ١٥٧ و١٥٨) .

وقيل لمُخَنَّث عليلٍ ، كان يشرب لبنَ الأتان : كيف أصبحتَ ؟ قال : لا تسل عمّن أصبح أخا الحمار (« البصائر والذخائر » م٢ ق١ ص٢٩) .

ومن مشهوري الحمير ، يَعْفُور ، حِمارُ النبيِّ صلوات الله عليه ، أهداه له المُقَوْقِس ، صاحب مِصر ، ونَفَقَ منصرف النبي صلوات الله عليه من حجّة الوداع [« تاريخ الطبري »٣/ ١٧٤] .

ومن مشهوري الحَمِير ، حِمَار بشَّارِ بن برد ، الذي كان ـ بزَعْمِ بشار ـ يقول الشعر ، وقد أسلفنا الحديث عنه .

ومن مشهوري الحمير ، الحمارُ الذي كان يركبُهُ الحاكم الفاطمي، وكان يسميه : القَمَر . (« النجوم الزاهرة » ٥٩) .

ومن مشهورِي الحمير ، حمارُ الحكيم توما [وتوما : طبيب يُوصَفُ بكونه أجهل من حماره] ، الذي قال فيه الشاعر [« نهاية الأرب » ١٠/ ١٠٠] :

قَالَ حِمَارُ الْحَكِيمِ تُومَا لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبْ

لأنَّنِـــي جَــاهِــلٌ بَسِيــطٌ وَصَاحِبِي جاهِلٌ مُرَكَّبْ

ومن مشهوري الحمير، حمار أبي الحسين الجزّار، جمال الدين يحيىٰ بن عبد العظيم، وهو من عائلة جَزّارين، تكسَّبَ بالشعر مدة، ثم عاد إلى الجِزَارةَ، واحتجّ لعدوله من الشعر إلى الجزارة، بقولِهِ :

لا تَلُمْنِي يا سَيِّدِي شَرَفَ الدِّيـ
ـــنِ إِذَا مَـا رَأَيْتَنِـي قَصَّـابـا
كَيْفَ لا أَشْكُرُ الجِزَارَةَ مَا عِشْـ
ـــتُ حِفَـاظـاً وَأَتْـرُكُ الآدَابَـا
وَبِهَـا صَـارَتِ الكِـلابُ تُـرَجِّيـ
ـنِي وَبِالشَّعر كُنْتُ أَرْجُو الكِلابَا

وكان الجزّارُ كثيرَ الشكوى من حمارِهِ، قال فيه :

هَذَا حِمَارِي فِي الْحَمِيرِ حِمَارُ فِي كُلِّ خَطْوٍ كَبْوَةٌ وَعِثَارُ
قِنْطَارُ تِبْنٍ فِي حَشَاهُ شَعِيرَةٌ وَشَعِيـرَةٌ فِـي ظَهْـرِهِ قِنطَـارُ

ولما مات حمارُ الشاعِرِ، داعَبَهُ شعراءُ عصْرِه، بمراثي وهزْلِيّات، فقال بعضهم :

قُولُوا لِيَحْيَى لا تَكُنْ جَازِعاً لَا يَرْجِعُ الذَّاهِبُ بِاللَّيْتِ
طَـامَـنَ أَحْشَـاءَكَ فِقْـدَانُـهُ وَكُنْتَ فِيهِ عَالِيَ الصَّوْتِ

وَكُنْتَ لا تَنْزِلُ عَنْ ظَهْرِهِ وَلَوْ مِنَ الحَشِّ إلى البَيْتِ
مَـا مَـاتَ مِـنْ دَاءٍ وَلَكِنَّـهُ مَاتَ مِنَ الشَّوْقِ إِلَىٰ الْمَوْتِ

وقال آخر [« نهاية الأرب » ١٠/ ١٠٠] :

مَاتَ حِمَارُ الأدِيبِ قَلْتُ : قَضَى
وَفَـاتَ مِـنْ أَمْـرِهِ الَّـذِي فَـاتَـا
مَاتَ وَقَدْ خَلَّفَ الأَدِيبَ وَمَنْ
خَلَّـفَ مِثْـلَ الأَدِيـبِ مَـا مَـاتَـا

فأجابه أبو الحسين قائلًا :

كَـمْ مِـنْ جَهُـولٍ رَآنِـي أَمْشِـي لأَطْلُـبَ رِزْقَـا
وَقَالَ لِي : صِرْتَ تَمْشِي وَكُـلُّ مَـاشٍ مُلَقَّـىٰ
فَقُلْـتُ : مَـاتَ حِمَـارِي تَعِيـشُ أَنْـتَ وَتَبْقَـىٰ

ومات لابن عُنَيْن الدمشقي (٥٤٩هـ ـ ٦٣٠هـ) حمارٌ بالمَوْصل ، فرثاه بقصيدةٍ مثبَتَةٍ في ديوانه (١٤٠ ـ ١٤٢) [وراجع « الوافي بالوفيات » ٥/ ١٢٥] ؛ قال فيها :

لا تَبْعُـدَنَّ تُـرْبَـةً ضَمَّـتْ شَمَـائِلَـهُ
وَلا عَدَا جَانِبَيْها العَارِضُ الهَطِلُ

قَـدْ كَـانَ أَنْ سَـابَقَتْـهُ الـرِّيـحُ سَـابَقَهَـا
كَـأَنَّ أَخْمَصَهَـا بِـالشَّـوْكِ مُنْتَعِـلُ
لا عَـاجِـزاً عِنْـدَ حَمْـلِ المُثْقَـلاتِ وَلا
يَمْشِي الهُوَيْنَا ، كَمَا يَمْشِي الوَجْي الوَجِلُ
وأنَّ لِـي بِنِظَـامِ الـدِّيـنِ تَعْـزِيَـةً
عَنْهُ وَفِي النُّجُبِ مِنْ أَبْنَائِهِ بَدَلُ

وكان حارسُ درب عَوْن ببغداد ، واسمه المبارك ، يلبس ثياباً سَرِيّة نظيفة ، ويركب حماراً يطوف عليه بالليل ، ويكريه بالنهار ، فإذا رآه من لا يعرفه ، ظنّ أنّه من التجّار ، وكان يصِلُ إليه من السوق ، في كُلِّ شهرٍ ، ما يسعه ويفضُلُ عنه . (« الأغاني » ٢٠/ ٦٩) .

أقول : درب عَوْن ، هو مقرّ الصَّيارِفة ، راجع كتاب « نشوار المحاضرة » للقاضي التنوخي ، القصة رقم ٢/ ٩٤ والقصة رقم ٣/ ٩٠ .

ومن الطريفِ أنْ نذكرَ ، أنّ أبا القاسم الضحّاك بن مُزاحِم البَلْخِيّ المفسِّر (المتوفىٰ ١٠٤هـ) كان مؤدِّباً ، وكان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي ، وكان يطوف عليهم ، على حمار (« ميزان الاعتدال » ٢/ ٣٢٥) .

ومرّ طبيبٌ بأبي واسِعٍ ، فشكا إلى الطبيب رِيحاً في

بطْنِهِ ، فقال له : خذ صَعْتَراً ؛ فصاح أبو واسِعٍ : يا غلام ! دواة وقرطاس ، لأكتبَ الدواءَ ؛ ثم أعاد سؤال الطبيب ، فقال له : خذ صعتراً ومَكُّوكَ شَعِيرٍ ؛ فقال له : إنّك لم تذكر الشعير أوّلًا ! فقال له الطبيب : لأنّي ما علمْتُ أنّك حمار ، إلا الساعة . (« أخبار الحمقىٰ » ١٤٧ و١٤٨) .

وفي السنة ٦٩٨هـ توفّي الشيخ الإمام بهاء الدين أبو عبد الله ، ابن النحاس ، ومن لطيف ما يؤثر عنه ، أنّه زكّى بعضَ الفقهاء ، عند بعض القضاة ، تزكيةً ما زكّاها أحد قطّ ، فإنّه أمسك بيد الذي زكّاه ، وقال للقاضي : يا مولانا ! الناس ما يقولون : ما يُؤْمَنُ على الذهب والفضة إلّا حمارٌ ؟ قال : نعم ! قال : هذا حمار ؛ وأشار إلى الفقيه ؛ وانصرف ، فاعتبر القاضي هذا القول منه تزكيةً للفقيه ، وحكم بعدالته (« الوافي بالوفيات » ١٢/٢) .

وقرأتُ في كتابِ أديبٍ مغربيّ ، أنّ مغربياً باع حمارَه من آخر ، وشرط على المشتري أن يسلّمه الحمار في حلّته ، وخرجا إليها معاً ، ولما دخلا بين البيوت ، أبصر البائعُ حماراً أدْبَرَ ، قد أهمله أصحابُه ، فالتفت

إلى صاحبه ، وقال له : أهكذا يعامل الحيوان الأعجم ؟ أنتم قومُ سوءٍ ؛ وأعاد إلى المشتري ماله ، وكرّ عائداً بالحمار .

وعرض محمد بن واسع الأزدي ، بسوق مَرو ، حماراً ، فقال له رجل : يا عبد الله ! أترضاه لي ؟ فقال : لو رضيتُهُ لما بعتُهُ . (« نشوار المحاضرة » رقم القصة ٤/ ٦١) .

أقول : أدركتُ الناسَ ببغداد ، قبل انتشار استعمال السيارات ، يركب الوجهاءُ منهم الحميرَ ، ويختارونها بيضاء ، عالية الظهر ، ويسمونها : الحَسَاوِيّة ، لأنها تجلب من الإحْسَاء ، وكان يتأنَّفون من ٱختيار الجُلِّ ويسمونه : المعرقة (تلفظ القاف كافاً فارسية) .

وقد وصف حميرَ بغداد ، سائحٌ أميركي ، اسمه بِيري فوكيء ، مرّ ببغداد في السنة ١٨٧٢ في عهد الوالي محمد رديف باشا ، الذي خلف مدحت باشا ، فقال في كتابه « عربستان أو بلاد ألف ليلة وليلة » :

إنّ الحميرَ البيضَ في بغداد مشهورةٌ في أنحاء الشرق ، وأثمانُها عاليةٌ ، وقِسْمٌ منها كبيرُ الجثّة ، وتزيّن بصَبْغِها بالحنّاء ، فتبدو آذانها وأذنابها حمراء اللون ،

وأبدانها منقطة بالحنّاء ، وهي ما زالت ، كما كانت في قديم الزمان ، مركب رجال الدين ، وكبار الحكام ، كما أنّ السيّدات يفضّلْنها على بقية الدواب ، وهم يشرحون منخر الحمار ، ويشقّونه شقّاً مستطيلًا ، ويقولون : إنّ هذا الشقّ يجعلُ الحمارَ أطول نَفَساً ، ولكنّي كلّما سمعتُ حماراً ينهق ، أيقَنْتُ أنّه لا ضرورة لهذا التصرّف ، ولا محلَّ له .

وقال في موضع آخر من الكتاب : إنّ جميعَ أسواق بغداد ، لا يوجد واحد منها يزيد عرضه على ١٢ قدماً ، وعندما كُنَّا نتَطَلَّع إلى ما حولنَا في السوق ، كنّا في خطر أن تدهَسنا قافلةٌ من القوافل المحمّلة ، من جمال ، أو حمير ، أو بغال ، أو من فرس ناشطة ، لا ينظر فارسها البدوي القادم من الصحراء ، يميناً ولا شمالًا ، وإنما يسير في طريقِهِ بروح الاستقلال الشرس ، كأنّه سيد هذه الأرض ، وقد ذكّرني قطار طويل من الحمير المحمّلة بالحطب بالسيّدة المدوّنة قصّتها في « ألف ليلة وليلة » ، التي ادّعت كذباً أنّ الجرحَ الذي في خدّها ناتج من إصابتها من جراء ارتطامها بسلّة على ظهر حمار ، فعرَّضَتْ بذلك للخطر حياة جميع المُكَارين .

وقد أدركتُ الناسَ ببغداد ، إذا احتفلوا بخِتَانِ أولادهم ، ألبسوا الصبي المراد ختانه دَشْدَاشَةً بيضاء ، ووضعوا على رأسه عرقجيناً [قلنسوة مرتخية تلطأ على الرأس وتلتصق به ، وكذا يسميها البغداديون] أبيض، قد طُرِّزَ بخيوطٍ من الحرير الملوّن، وحُمِل على حمار، وسير به في موكبٍ، راجع وصف الموكب والاحتفال بالختان في الفقرة : خَتَمَ وصاحُوا له : آمين . [من كتاب « موسوعة الكنايات العامية البغدادية » ١/ ٦٧٠].

[وجاء في « محاضرات الأدباء » ٤/ ٣٧٠ :

اسْتَجَدُّوا الثِّيَابَ إنَّ حِمَارَ السّـ
ـسُوءِ تَخْفَىٰ عُيُوبُهُ بِالجِلالِ

ومن هنا يقول العامة في بغداد : « الزمال ذاك الزمال بس الجلال مبدّل » أي : الحمار هو نفسه لكنه جلاله مبدّل ، كناية عمّن أصاب حالّا ومالّا ، فلم يعد بهما على أحد . والجِلال : الجِلُّ والبَرْدَعَة التي توضع على ظهر الدابة] .

والبغداديون ، يسمون الحمار : زمال ، من الزمل (بكسر الزاي وميم ساكنة) أي الحمل ، ويقال : زَمَلَ (بفتح) ، أي : حَمَلَ ، والزاملة ، مؤنث الزامل ،

الدابة من الإبل وغيرها ، يحمل عليها (المنجد) ، قالت السيدة أسماء بنت أبي بكر : كانت زمالة رسول الله صلوات الله عليه ، وزمالة أبي بكر واحدة ، أي مركوبهما (لسان العرب) ، راجع ما كتبه الدكتور سليم النعيمي في مجلة المجمع العلمي العراقي م٢٥ ص٢٥ و٢٦ .

وكانت « زمالة الزهاوي » التي اتّخذها الشاعر جميل صدْقي الزَّهاوِي رحمه الله (المتوفىٰ ١٩٣٦) مضرب المثل في جمال الهيأة ، والنظافة ؛ وكانت بيضاء ، عالية الظهر ، حَسَاوِيّة ؛ وكان الزَّهاوِي رحمه الله ، يُعنى عنايةً فائقةً بعَلَفِها ، ونظافتها ، وكان مصاباً بارتخاء في عضلات ساقيه ، لا يمكنه من المشي إلا بمعونة ، فكان يركبها في روحاته وغدواته .

أوردتُ آنفاً ، أنّ البغداديين يسمُّونَ الحمارَ : زمال ، ويجمعونه على : زمايل ، وقد أدَّتْ كلمةُ زمايل إلى تأخير إطلاق جماعة من المعتقلين المحبوسين في معتقل العمارة زمناً ، وقد وردَتْ قصّتُهُم الطريفة في الصفحة ٣٩٠ من كتاب « الأسرار الخفيّة لحركة السنة ١٩٤١ » للمؤرّخ السيد عبد الرزاق الحسني ، وخلاصة الموضوع أنّ الحكومة العراقية اعتقلت إبّان الحرب

العالمية الثانية جماعةً اتّهمتهم باعتناق آراء سمّتها هدّامة ، وحجَزَتْهُم في معتقل بمدينة العمارة (ميسان الآن) في جنوبي العراق ، وكانت وزارة الداخلية ، تقوم بين حين وآخر ، بإطلاق بعضِهِم ، أو إضافة آخرين إليهم ، حسب مقتضيات الحاجة ، وفي أحد الأيام أبرقت وزارة الداخلية إلى متصرفية لواء العمارة ، بأنّها قررت تسريح لفيف من المعتقلين كان من بينهم سائق سيارة من إِرْبيل ، جاء اسمه في البرقية : زمايل بيرمام ، ولم يكن في المعتقل شخص اسمه : زمايل ، فتأخّر تسريح المعتقلين الآخرين حتى تعرف شخصية السائق المذكور ، وروجعت الجهات المختصّة بشأنه ، فظهر أنَّ الشخصَ المراد تسريحه اسمه : إسماعيل بيرمام ، وأنه لما كتب اسمه بالإنكليزية ، سقط الحرف الأوّل من اسمه ، فأصبح SMAIL فقرىء وكتب : زمايل .

وأثبت الأستاذ جعفر الخليلي ، في كتابه « هكذا عرفتهم » جـ١ ص١١٧ بحثاً عن أشهر الحمير في مدينة النجف ، فذكر أنّ أوّلها حمارة السيّد أبي الحسن الأصبهاني ، أكبر مرجع للطائفة الشيعية الإمامية في وقته ، فإنّه حين ثقل كاهله بالعمل ، واشتَدَّ ازدحام

الناس عليه ، والتفافهم حوله حين يبارح بيته إلى الصحن الشريف لأداء الصلاة ، بحيث كان يستغرق وصوله إلى الصحن الشريف نحو ساعة أو أكثر ، مع قرب ما بين بيته والصحن ، فاضطر أن يتَّخِذَ لانتقاله حمارةً (أتاناً) ، وكان يحفُّ به ، ويمشي في ركابه عددٌ غفيرٌ من طلاب العلم ، ورجال الحاشية ، فكانت حمارة السيد أبي الحسن ، من أشهر الحمير في النجف ، وكانت حساويةً بيضاء جميلةً ، تعوّدَتْ على قطع المسافة التي تفصل بين بيت السيّد وباب الصحن ، فكانت تقِفُ في موضع الوقوف ، وتنسابُ في موضع السير ، حتى إذا وصلت إلى باب الصحن الشريف ، وقفَتْ في مكانها لا تتجاوزه ، حتى يترجّل السيّدُ ، ويدخل إلى الصحن لإقامة الصلاة .

ومن أشهر الحمير في تاريخ النَّجَف حمارةُ الملاّ وحيدة ، وهي امرأةٌ شاعرةٌ عدّادة[١] ، وكانت لكثرة مجالسها ، قد اضطرَّت لاتِّخاذِ حمارة تحملها إلى تلك المجالس ، وكان يقوم على خدمة الحمارة عبدٌ مملوك للملاّ وحيدة ، كان يمسك رسن الحمارة في انتظار

(١) أي ندّابة ، تندب الموتى في مجالس العزاء .

سيّدته حتى تخرج من مجلس العزاء .

ومن أشهر الحمير في النجف ، حمارة الميرزا جواد الطبيب ، وكانت دارهُ مجاورةً لدار الشيخ حسن المقمقاني ، وكان لحمارة الطبيب جَحْشٌ ، كان يفلتُ من رباطه ، ويدخلُ بيتَ الشيخ المقمقاني ، في الوقت الذي كان الشيخ فيه يلقي دروس الفقه على طلّابه ، فبعث المقمقاني إلى جاره الطبيب ، يمازحه ، ويقول له : كفّ ولدَك عن دخول دارِنا ؛ فردّ عليه الطبيب ، يقول : لقد اجتهدْتُ أن أُخْرِجَ هذا الولد طبيباً مثلي فأعياني ، وقد أبى إلا أن يكون عالماً روحانياً ، ولذلك أخذ يكثر من الدخول إليكم ! .

وكان الأستاذ حسين جميل ، من رجال القانون والسياسة اللامعين في العراق ، حاكماً في البصرة ، وكان السيد مصطفى الأنكرلي رحمه الله ، رئيساً للمحاكم ، وكان لهما رفيق ينقصُهُ الذكاء وخِفّه الروح ، فكان حسين جميل يكني عنه بقوله : أخونا ٱلْمُطِي[1] (الحمار) ، وكان الأنكرلي كلّما سمع هذه الكناية ، قال للأستاذ حسين : لا أناقشكم في كونه أخاكم .

---

(١) وهو من أسماء الحمير لدى عامة بغداد .

وكان الشيخ محمد الشريعة النجفي ، كثير الشكوى في بلادة بعض الطلبة الشروقيين ، الذين يطلبون العلم في النَّجَف ، وكان يقول : إنّ بعض الطلاب من الشروقيين ، يحتاج إلى مواصلة الدرس ، والتفاني في البحث والجدّ ، أربعين سنة كاملة ، لكي يستطيع أن يكون حماراً . (« هكذا عرفتهم » ٢/ ٥٧) .

وللبغداديين أمثال تتعلّق بالحمار ، أذكر منها ثلاثة :

أوّلها : مثل يضرب لمن يكدّ ليله ونهاره ، من دون راحة ، فيقولون عنه ، أنّه مثل الطمّة ، يروح محمَّلًا ، ويعود محمَّلًا ؛ والطمّة ، فصيحة ، موقد الحمَّام ، وكان يوقد فيه النفايات ، والقمامة ، وكلّ ما يحترق ، فكان « زمال الطمّة » يروح إليها حاملًا الوقود ، ويعود منها حاملًا الرماد المتخلِّف .

وثانيها : مَثَلٌ يضربُ لِمَن ورَّطَ نفسه في ورطة يصعب التخلّص منها، فيقولون: تعال طلّع هذا الزمال من هذه الوحلة .

وثالثها : مثل يضرب لمن يتحايل بحيلة مكشوفة ، فيقولون له : إحنا دافنيه سوا ؛ وأصل المثل : أنّ

بغداديّين تعطّلا ، ولم يوفّقا إلى عمل ، ووجدا حماراً نافقاً ، فأخذاه ، ودفناه ، ووضعا على قبره شاهداً ، وٱدّعيا أنّه قبر وليّ من أولياء الله ، وأصبح أحدُهما سادِناً للقبر ، والثاني واعظاً وإماماً للجماعة فيه ، وظلّا على ذلك حيناً ، ثم أحسّ أحدهما أنّ صاحبه يغتال قسماً من الواردات ، ويستأثر بها ، فخاصمه ، فبادر صاحبه ، وضرب بيده على القبر ، يحلف على براءته من التهمة ، فصاح به صاحبه : ويحك ، احنا دافنيه سوا .

وللبغداديين مثل يضربونه لما يهول منظره ، ولا طائل وراءه ، ويقولون : إنّ الأسد رأى الحمار ، فرأى شدّة حوافره ، وطول أذنيه ، وعظم أسنانه وبطنه ، فهابه ، وقال : إنّ هذا الدابة لمنكر ، وانّه لخليق أن يغلبني ، فلو رزتُه ونظرتُ ما عنده ؛ فدنا منه ؛ وقال له : يا حمار ! أرأيت حوافِرَك المنكرة ، لأيّ شيء هي ؟ قال : للأكم ؛ فقال الأسد : قد أمِنْتُ حوافره ، وقال : أرأيت أذنيك هاتين المنكرتين ، لأيّ شيء هما ؟ قال : للذباب ، قال : أرأيت بطنك هذا لأيّ شيء هو ؟ قال : ضَرِطٌ ذلك ؛ فعلم الأسدُ أنّه لا غناء عنده ، فافترسه . (« مجمع الأمثال » ١/ ٤٢٠) .

وللدكتور كرنيليوس فاندايك المتوفىٰ سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) مع الحمار قصّة ، خلاصتها أنّ الدكتور كان أستاذاً في الجامعة الأمريكية ببيروت ، وكان يطبّب من يراجعه من المرضى ، وفي أحد الأيام راجعه جماعةٌ يسألونه أن يعود مريضاً في قرية من القرى في جبل لبنان ، فصحبهم راكباً حماراً ، وبعد أن فَحَصَ المريضَ ، ووصف له العلاج ، دعاه أهلُ الدار إلى مائدة الطعام ليتغدّىٰ ، فأكل حتى اكتفى ، فتقدّم إليه أحد الحاضرين بقطعةٍ ضخمةٍ من الكبّة المشويّة ، وقال له : يا سيدي الدكتور ، كل هذه اللقمة من أجل خاطري ؛ فاضطرّ إلى أكلها ، وهكذا كان كلّ واحد من الحاضرين يتقدّم إلى الدكتور بملء كفّ من الطعام ، ويطلب منه أن يأكلها « من أجل خاطره » حتى امتلأ ، وضاق بما أكل ، ثم ودعهم وركب حماره عائداً إلى بيروت ، وشيّعه أصحاب المريض إلى مشارف القرية ، فنزل الدكتور عن حماره وأخذه إلى حوض فيه ماء ليشرب ، فلما شرب وارتوى ، رفع رأسه ، فقال له الدكتور : أرجو منك أن تشرب مرّة ثانيةً « من أجل خاطري » فلم يشرب ، فعاود الطلب ، وقال للحمار : أرجو منك أن تشرب مرّة ثانية «من أجل خاطر هؤلاء

الجماعة»، فلم يشرب، فالتفت الدكتور إليهم ، وقال لهم : أشهد أنّ هذا الحمار أكبر عقلًا منّي ، فإنّه لما ارتوى لم يزدْ على ذلك برغم الإلحاح .

وللبغداديين نوادر ، فيها ذكر للحمار ، يتندّرون بها ، أذكر منها نادرتين :

الأولى : يتندَّرُ بها البغداديون على أهل الموصل ، والمعروف عن أهل الموصل تعصّبهم لبعضهم ، بحيث لا يتسنّى للغريب أن يجد فيها رزقاً ، وخلاصتها : إنّ سقّاءً بغدادياً هاجر إلى الموصل ، واستقرّ فيها ، وأراد أن يمارس فيها مهنته ، فاشترى حماراً وقربة ، وباشر بنقل الماء من النهر إلى المدينة ، وفي اليوم الأوّل لم يتعامل معه أحد ، وكذلك في اليوم الثاني ، وجاع السقّاء وجاع حماره ، فأخذه في اليوم الثالث إلى السوق ، وقال : يا جماعة ! إنّ حرمانكم إيّاي من الرزق أمرٌ مفهوم، لأنّي بغدادي ، ولكنّ هذا الحمار مَوْصلي ، وهو يكاد يموت جوعاً ، فإن لم ترفقوا بي ، فارفقوا به .

والثانية : نادرة يتندّر بها البغداديون ، على أحد القضاة ، وخلاصتها : إنّ اثنين اختصما على حمار ،

كلٌّ واحدٍ منهما يدّعي ملكيته ، وقدّم المدَّعي إلى القاضي عشرة مجيديات رشوةً ، وبلغ المدَّعي عليه ما صنعه خصمه ، فذهب إلى القاضي ، وأعطاه عشرة مجيديات أيضاً ، ونظر القاضي في الدعوى ، وأراد أن يرضي الطرفين ، فحكم بأن يباع الحمار ، ويقسم ثمنه بين الطرفين ، وبيع الحمار بعشرين مجيدياً ، وتسلّم كلّ واحد منهما عشرة مجيديّات ، فتوجّها إلى القاضي ، وقالا له : يا أفندينا ! تبيّن أنّ الحمار لا يعود لواحد منا ، وإنما يعود لك ، لأنّك استوفيت ثمنه كاملاً .

ودخل أحمد بن محمد القَزْوِيني إلى سوق النَّخَّاسين بالكوفة ، وطلب حماراً « لا بالصغير المُحْتَقَر ، ولا بالكبير المشتهر ، إن أقْلَلْتُ عَلَفَه صَبَرَ ، وإن أكثرتُ علفَهُ شَكَرَ ؛ لا يدخلُ تحت البَوَاري ، ولا يزاحم براكبه السواري ؛ إذا خلا الطريق تدفَّقَ ، وإن كثر الزحام ترفَّقَ » .

فقال له النَّخَّاس : اصبرْ حتى يُمسخَ القاضي حماراً ، وأشتريه لك . (« أخبار الحمقى » ١٢٦) .

ونهيق الحمار ، يسمّى : الزرّ (« البصائر والذخائر » ٤/٢٩٧ ، و« أخلاق الوزيرين » ١٤٩) وفي

بغداد يلفظونها : زعرّ[١] ؛ وإذا صيح بها أمام الحمار ، نهق .

وذكر الجَبَرْتيُّ في تاريخه ٢/ ٥٣٩ و٣/ ١٥٥ ، إنّ العسكر العثماني بالقاهرة ، باشروا في السنة ١٢١٧هـ بخطف حمير الناس من أولاد البلد ، فأخْفَى الناسُ حميرَهم ، فكان الجماعةُ من العسكر ينصتون بآذانهم على أبواب الدور ، ويقف بعضهم على الدار ، ويصيح : زرّ ؛ ويكرّرها ، فينهق الحمار ، فيُؤْخَذ .

وكان إبراهيم بن الخَصِيب المَدِيني أحمقاً ، وكان له حمار أعْجَفُ ، وكان إذا علّق الناس المخالِي بالعَشِيّ ، أخذ مخلاةَ حمارِهِ ، وقرأ عليها ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وعلّقها عليه فارغةً ، وقال : لعن الله من يرى كيلجة شعير أنفع من ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، فما زال هكذا حتى نَفَقَ الحمارُ، فقال: إنّ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تقتلُ الحميرَ ، فهي للناس أقتل ، لا قَرَأْتُها ما عشْتُ . (« البصائر والذخائر » م٤/ ١١٨ و١٩٩ ، وكتاب

---

(١) جاء في « القاموس » مادة « زعر » : والزَّعْرُ : الجِماعُ ، والفِعْل كجَعَل ، وزَعَّرَ بالجَحْشِ تَزْعيراً : دعاه للسِّفادِ . أهـ . وفي بلاد الشام يقال هذا اللفظ كي ينهق الحمار ويدلي [أي : يخرج جُرْدانَه] ، وكأنه يتهيّءُ للسِّفاد .

« أدب الغرباء » ، للأصبهاني ٤٦) .

ومما يروىٰ عن السيد عبد الحسين الغريفي ، من علماء البحرين ، وكان فَقِيهاً ، من العلماء الأتقياء ؛ أنَّه هَجَم عليه يوماً وهو في حلقه درسه ، معيديّ ، أوسعه إزعاجاً ، وألحّ عليه أن يستخير له ، فإنّه بصدد عمل يريد أن يقوم به ، فعَمَدَ السيّدُ إلى كتاب الله ، وفتحه ، ثم التفت إليه ، وقال له : أنت تريد أن تشتري حماراً ؛ فقال له : إي والله يا سيّدنا ، فقال له : امض فاشتره ؛ ولما بارح المعيدي المكان ، سأله تلامِذَتُه : كيف عرف مراد المعيديّ ؟ فقال : استفتحت له ، فظهرت الآية : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٣٥] .

أقول : أنا في شكٍّ من صحَّةِ هذه الحكاية ، لأنّ السيد عبد الحسين ، وهو من الفقهاء الزُّهَّاد ، أتقى لله من أن يتّخِذَ من آيات القرآن مَوْرِداً للتملّح .

ويحكى أنّ رجلًا من عقلاء الناس ، كان له ولدٌ ، فقال له يوماً : يا أبة ! ما للناس ينتقدون عليك أشياء ، وأنت عاقل ، فلو جانبتها سلمت من نقدهم ؛ فقال له : يا بني ! إنك غِرٌّ لم تجرّبِ الأمور ، وأن رضا الناس غاية لا تُدرك ، وأنا أوافقك على حقيقة ذلك ؛ وكان عنده

حمار ، فقال لولده : اركَبْ هذا الحمار ، وأنا أتْبَعُكَ ماشياً ؛ فأبصرهما رجل ، فقال : ما أقلّ أدب هذا الغلام ، يركب ويمشي أبوه ؛ فركب الأب ، وترك الابنَ يمشي ، فقال آخر : ما أقلّ شفقة هذا الأب ، يركب ويترك ولده يمشي ؛ فركب الاثنان الحمارَ ، فقال آخر : أشقاكما الله ، تركبان معاً على الحمار ، فتهيضانه ؛ فنزلا عن الحمار ، ومشيا خلفه ، فقال آخر : يا لكما من أحمقَيْن ، تمشيان ، وظهر الحمار خالٍ !؟ (« نفح الطيب » ٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ [وتنسب هذه الحادثة لِجُحا، راجع النادرة رقم: ١٨٩ ؛ وراجع كذلك الصفحة: ١٣٣، القصة رقم: ١٤٢ من « القصص الحكيم للفيلسوف إيسوب » تحت عنوان : الطحان وابنه وحماره].

ووقف المجذوب المشهور ، الشيخ سعود ، صاحب النوادر ، على الوزير جودت باشا العالم المشهور (١٢٣٨هـ ـ ١٣١٢هـ) وقال له : يقول الناس عنك ، أنّك باشا ، وأنّك عالم ، وأنا أسألك سؤالًا ، لأرى من جوابك هل أنّك عالم أم لا ؛ فقال : سل ؛ فقال : ما هو بسمار (مسمار) الوجود ؟ فقال له : لا أدري ؛ فقال له : ضع في كفي ليرةً ذهبية ، لأقول

لك ما هو ؛ فأخرج جودت باشا ليرةً ذهبيةً ، ووضعها في كفّ الشيخ سعود ، فقال له ، وهو يشير إلى الليرة : هذا هو البسمار يا حمار ؛ فضحك الباشا والناس ، وذهب الشيخ سعود في سبيله (« إعلام النبلاء » ٣/ ٤٥٨) .

وحدّثني السيد عبد القادر البرّاك ، الأستاذ ، الصحفي ، الأديب ، المؤرّخ ، قال : حدّثني السيد خيري الهنْداوي ، الشاعر المعروف ، رحمة الله عليه ، قال : كنت وأنا شاب ، أيّام الطلب ، أحضر دروس أحد الفقهاء ، وكان أستاذي الفقيه ، عظيم العناية بحمارِه ، دائم التفقُّدِ له ، وكان لا يفتأ يسأل ولدَه : بويه محمد ، هل ورّدت الْجَحْش ؟ بويه محمد ، هل سبّحت الجحش ؟ ، ونفق الحمار ، فقامت قيامة الشيخ ، فقد كان يحمله إلى حيث يريد ، ولم يكن في يده ما يشتري به حماراً غيره ، فوجدتُ الفرصةَ سانحة للتفكُّهِ ، ونظمتُ قصيدةً في رثاء الحمار ، وتعمَّدْتُ أنّ أحضر مجلس أستاذي ، وهو حافِلٌ بأصحابه ، ووقَفْتُ متصنِّعاً الحزن ، وألقَيْتُ قصيدتي في رثاء الحمار ، وما أن أتمَمْتُ قصيدتي حتى نادى الشيخ ولده محمد ، وسارّه ، فذهب وعاد يحمل برذعَةَ الحمار ، وقال

الشيخ يخاطبني : يا ولدي ! لقد سلّيتني بقصيدتك هذه ، وخفّفت بعض ما أعاني من الحزن على الفقيد ، وبالنظر لما بينكما من مودّة ، فقد آثرت أن أترك عندك تذكاراً يذكّرك به ، ولم أجدْ أليقَ بك من برذعته هذه ، وها أنا أخلعها عليك جزاء وفائك له ، وإحسانك إليه ؛ ثم نهضَ وأخذ البرذعة ، ووضعها على كتفي ، فضجَّ الحاضرون بالضحك ، وخرجْتُ وأنا خزيان ، بعدما كنت أحسب أنّني أنا الذي سخرت من أستاذي الشيخ .

وامتدحَ الجاحظُ الحمار ، في كتابه « الحيوان » فذكر أنّ الحمار مركب الأنبياء ، إذ كان مركب عيسى بن مريم ، وعُزَيْر ، وبَلْعام . (« الحمار » ٧/ ٢٠٤) .

ثم عاد الجاحظ ، فذمّ الحمار ، فقال : أخزى الله الحمار مالًا ، لا يُزَكَّىٰ ولا يُذَكَّىٰ (« الحيوان » ٢/ ٢٥٧) .

وذكر الجاحظ في كتاب « الحيوان » ، منافع لروث الحمار ، منها إنّه دواء للضرس المأكول ، وإنّ صاحب الحصاة يأخذ روث الحمار حارّاً ، فيعصره ، ويشرب ماءه ، فيبول الحصاة . (« الحيوان » ٧/ ٨٨) .

وذكر الأصمعي ، فائدةً أخرى لروث الحمار ، فقد زعم إنّه سأل أحد الأَكَلَةِ ، عمّا يفعله إذا جهدته الكِظَّةُ ،

فقال : آخذ روثاً حاراً ، وأعصره ، وأشرب ماءه ، فأختلف عنه مراراً ، فلا ألبث أن يلحق بطني بظهري ، فأشتهي الطعام . (« الإمتاع والمؤانسة » ٣/ ١٣ و١٤).

وتذكّرني هذه الوصفات ، بالوصفات التي أثبتها القاضي التنوخي في كتابه « نشوار المحاضرة » ، فقد ذكر في إحدى قصصه ، أنّ طبيباً عالج صبيّاً في رأسه بُثُورٌ ، بأن نَوَّرَهُ (طلاه بالنُّورَة) ، ثم غسله ، وطلاه بغائط رطب ، وأقامه في الشمس ؛ وأنّ طبيباً آخر ، داوى مريضاً بخرا العصافير اليابس ، وهذا العلاج ، على كلّ حال أهون من سالفه ؛ وأنّ طبيباً ثالثاً ، عالج مريضاً بالقولنج ، بأن سقاه بولًا مغلياً ؛ راجع تفصيل ذلك في القصص ٢/ ٤١ ، و٤٢ جـ٢ ص٩٢ و٩٣ من كتاب « نشوار المحاضرة » .

للزيادة في التفصيل ، راجع « نهاية الأرب » ١٠/ ٩٣ ـ ١٠٢ و« الغيث المسجم في شرح لامية العجم » ٢/ ١٣٧ و١٣٨ .

الحمار الخالي يرابع

كناية عن الخليِّ من الهموم ، يمشي مَرَحاً ، ويتصرَّفُ كما يشاء ، تقال للطَّنْز [السخرية] ، وتشير

الكناية إلى الحمارِ إذا خلا من حِمْل يثقله ، فإنّه ينطلق في مرحٍ ونشوة ، ويتلوّى ويرمح برجليه .

حمار شغل

كناية عن الذي لا يهدأ ولا يستريح من العمل المستمر ، تقال للطَّنْز [السخرية] .

الحمار الصغير ، كلّ من جا يركبه

كناية عن الضعيف ، يقع عليه الاعتداء من كل أحد .

حمار المشاهدة ، يروح شايل زبالة ، ويرجع شايل جصّ

كناية عمن يقضي طول يومه في كدّ مرهق ، ولا يجد وقتاً يستريح فيه ، وتشير الكناية إلى أنّ كور الجصّ (محارق الكلس) ، وكانت في المشاهدة ، خارج بغداد ، يروح الحمار إليها محمّلاً بالزبالة من أجل إشعالها في الكورة ، ويعود منها حاملاً أحمال الجصّ (الكلس) من أجل استعمالها في البناء ، فيقضي طول يومه في كدٍّ وتعبٍ ، ولا يجد فرصةً يستريح فيها .

إلى هنا ينتهي المنقول من كتاب « موسوعة الكتابات العامية البغدادية » لعبود الشالجي .

* * *

مما ورد في الأمثال عن الحمير :

ـ ٱبْنُ عَمِّ ٱلَنبِيِّ ﷺ من اليَعْفُور .

واليَعفُور اسم حمار النبي ﷺ ، وكذلك يقال : ابن عم النبي ﷺ من ٱلدُّلْدُلِ ؛ والدُّلدُل : اسم بغلة النبي ﷺ .

يضرب للدَّعيِّ يدَّعي الشَّرَفَ .

ـ اتَّخَذُوه حِمَارَ الحَاجَاتِ .

يضرب للذي يمتهن في الأمور .

ـ أَجْهَلُ مِنْ حِمَارٍ .

مأخوذ من قول الناس للجاهل : يا حمار . أو أن المقصود حمار بن مالك الذي يقال له : أكفر من حمار .

ـ أَحَدَ حمارَيْكِ فٱزْجُرِي .

أصله في خطاب المرأة . يضرب لمن يتكلّف مالا يعنيه . ويقال : أَدْنَىٰ حِمَارَيْكِ ٱزْجُري .

ـ أَحُشُّكَ وتَرُوثُني .

يضرب لمن يكفُرُ إحسانك إليه . ويروى أن عيسى

عليه السلام عَلفَ حماراً ، وأنه رمحه ، فقال : أعطيناه ما أشبهنا ، وأعطانا ما أشبهه .

ـ أَحْمَقُ مِنْ أُمِّ الهِنْبِرِ .

الهِنْبِر: الجحش ، وأم الهِنْبِرِ : الأتان ، وَالهِنْبِرَة : الأتان ؛ وفي لغة فزارة : الضَّبُع ، ويقولون للضَّبُعَان : أبو الهِنَّبْرِ ، ولِلضَّبُعِ : أُمِّ ٱلْهِنَّبْر .

ـ أَخْرَبُ مِنْ جَوْفِ حِمارٍ .

راجع « أَخْلَىٰ مِنْ جَوْفِ حِمارٍ » .

ـ أَخْزَىٰ اللهُ ٱلْحِمارَ مالًا ، لا يُزَكَّىٰ وَلا يُذَكَّىٰ .

ـ أَخْلَفُ مِنْ وَلَدِ ٱلحِمَارِ .

يعنون البغل ؛ لأنه لا يشبه أباه ولا أُمّه .

ـ أَخْلَىٰ مِنْ جَوْفِ حِمارٍ .

لأَنَّه إذَا صيد حمار الوحش لم يُنْتَفعْ ممّا في جوفه ، ولكن يرمىٰ به . كذا يشرحه المُحْدَثون ، والصواب أن « جوف حمار » اسم وادٍ بأرض عاد حماه رجل اسمه حمار بن مالك ، ولهذا الرجل يقال المثل : « أكفر من حمار » فراجعه لتعرف قصته ، وتدرك أنّ الله أخرب واديه وجعله خالياً عقوبة لحمار بن مالك ، لذلك

يقال : أخلى من جوف حمار ، أي : هذا المكان خالٍ مثل الوادي المسمى : جوف حمار .

ـ أَدْنىٰ حِمَارَيْكِ ٱزْجُرِي .

أي : عليكِ بأدنى أمرك ، ثم تناولي الأبعد ، ويقال : أَحَدَ حِمَارَيْكِ فَٱزْجُرِي . وأصل هذا المثل في خطاب ٱمرأةٍ .

يضرب لمن يتكلّف ما لا يَعْنِيهِ .

ـ إذَا زَحَفَ البَعيرُ أعْيَتْهُ أذُنَاهُ .

يقال: زَحَفَ البعيرُ، إذا أعيا فَجَرَّ فِرْسِنَهُ عَياءً. قاله الخليل.

يضرب لمن يثقل عليه حمْلُهُ فيضيق به ذَرْعاً .

ـ أَذَلُّ مِنْ حِمَارِ قَبَّان .

وحمار قبّان ضرب من الخنافس يكون بين مكة والمدينة . قال الشاعر :

يَـا عَجَبَـا وَقَـدْ رَأَيْـتُ عَجَبَـا
حِمَـارَ قَبَّـانَ يَقُـودُ أَرْنَبَـا
خَـاطِمَهَـا زَأَمَّهَـا أَنْ تَـذْهَبَـا
فَقُلْتُ : أَرْدِفْنِي ! فَقَالَ : مَرْحَبَا

ويقال لهذه الحشرة أيضاً : حمار البيت وعَيْر قَبَّان، وهَـدَبَـة. وهـي حشـرة مـن القشـريـات صغيـرة القَـدِّ، مَبْذوله، تعيش في الأماكن الظليلة الرطبة. يكثر وجودها في المنازل الأرضية.

ـ أَذَلُّ مِنْ حِمَارٍ مُقَيَّدٍ

قال الشاعر المُتَلَمِّسُ فيه وفي الوتد :

إِنَّ ٱلْهَوَانَ حِمَارُ ٱلأَهْلِ يَعْرِفُهُ
وَٱلْحُرُّ ينكِرُه وٱلْجَسْرَةُ الأَجُدُ[1]

وَلَا يُقِيـمُ بِـدَارِ ٱلـذُّلِّ يَعْـرِفُهَـا
إِلَّا ٱلأَذَلَّانِ عَيْرُ ٱلأَهْلِ وَٱلْوَتِدُ

هَذَا عَلَىٰ ٱلْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ
وَذَا يُشَـجُّ فَـلَا يَبْكِـي لَـهُ أَحَـدُ

ـ إِذَا عَجز ٱلْحِمَارُ عَنْ حَمْلِ بردَعتِهِ كَانَ عَنْ وِقْرِهِ أعجز .

البردَعة : الحِلْسُ يُلقى تحت الرَّحْل ، وخصّ بعضهم به الحمار .

الوِقرُ : الحِمْلُ الثقيلُ .

---

(١) « ٱلْجَسْرَة » : الناقة العظيمة ؛ و« الأَجُد » : الناقة الموثقة الخلق ، المتصلة فقار الظهر .

ـ أذَلُّ من حِمَارٍ مُقَيَّدٍ

ـ أذَلُّ من عَيْرٍ .

ـ ٱرْبِطْ حِمَارَكَ إنَّهُ مُسْتَنْفِرُ .

يُضرب لِمَنْ يُؤْذي قومه . ومعناه : كُفَّ ! فقد عِرْت قومك .

ـ أصْبَحَ فِيمَا دَهَاهُ كَٱلْحِمَارِ ٱلمَوْحُولِ .

يضربُ لمَنْ وَقَع في أمرٍ لا يُرْجىٰ له التخلّص منه .

والمَوْحول : المغلوب بالوحْلِ .

ـ أَصْبَرُ مِنْ حِمارٍ .

ـ أَصْبَرُ مِنْ عَيْرِ أَبي سَيَّارَة .

ـ أَصَحّ مِنْ عَيْرِ أبي سَيَّارة .

وكان لأبي سيارة حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة إلى منى أربعين سنة .

ـ أَصَحّ مِنْ عَيْرِ الفَلاةِ .

ـ أَضْرَطُ مِنْ عَيْرٍ .

ـ أَضَلُّ مِنْ حِمارِ أَهْلِهِ .

- أفَلا قُمَاصٌ بِٱلْعَيرِ ؟

ٱلْقِمُاص - بالكسر ويضم - : الوثوب . راجع كتاب سيبويه ١/ ٣٥٩ .

- أَقْصَرُ مِنْ ظِمْءِ ٱلْحِمَار .

- أَقْصَرُ مِنْ غِبِّ ٱلْحِمَار .

لأن الحمار لا يَصْبِرُ عن الماء أكثرَ من غِبّ ، والغِبّ : وِرْدُ يومٍ وظِمْءُ آخر .

- أَكْفَرُ مِنْ حِمارٍ .

هو حِمارُ بنُ مالكٍ ، أو مُوَيلع ، أو طويلع .

كان مُسْلماً أربعين سَنَةً في كَرَمٍ وجُودٍ ، فخَرَجَ بنُوهُ عَشَرَةً للصَّيْدِ، فأصابَتْهُمْ صاعِقَةٌ، فهَلَكُوا، فَكَفَر! وقالَ: لا أعبُدُ مَنْ فَعَلَ ببَنِيَّ هذا ! فأهلَكَهُ اللهُ تعالى ، وأخربَ وادِيَهُ ، فضُرِب بكفره المثل ؛ وكذلك بخلوِّ وادِيهِ .

- أَكْلُّ شِوَاءِ العَيْر جُوفان .

أصله أن رجلًا من بني فَزَارة ورجلًا من بني عَبْس ورجلًا من بني عبد الله بن غَطَفان صادوا عَيْراً ، فأوقدوا ناراً ، وخرج الفَزَاري لحاجةٍ ، فاجتمع رأيُ العَبْدِي والعَبْسِي على أن يقطعا أيْرَ الحمار ثم دَسَّاه بين الشِّوَاء ، فلما رجعَ الفزاري جعل العبدي يحرّك الجمر بالمِسْعَر

ويستخرج القِطْعَة الطيبة فيأكلها ويُطْعِمها صاحبه ، وإذا وقع في يده شيء من الجُوْفَان ـ وهو ذكر الحمار ـ دفعه إلى الفَزَاري ، فجعل الفزاري كلّما مضَغَ منه شيئا امتدَّ في يده ، وجعل ينظر فيه فيرى فيه ثقباً ، فيقول : ناوِلْنِي غَيْرَها ، فيناوله مثلَها ، فلما فعل ذلك مراراً ، قال : أكُلّ شوائكم هذا جُوفان !؟ فأرْسلَهَا مثلًا .

يضرب في تساوي الشيء في الشَّرَارة .

ـ إنَّ ٱلأَسَدَ لَيَفْتَرِسُ العَيْرَ ، فَإِذَا أَعْيَاه صَادَ ٱلأَرْنَبَ .

ـ إنْ ذَهَبَ عَيْرٌ ، فَعَيْرٌ في الرِّبَاطِ .

الرِّباط : ما تشدُّ به الدابة ، يقال : قَطعَ الظَّبْيُ رِبَاطَه ، أي : حبالته . يقال للصائد : إن ذهب عَيْر فلم تعْلَقْ في الحِبالة فاقتصر على ما علق .

يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب .

ـ أَنْشَطُ مِنْ عَيْرِ الفَلاةِ .

ـ أَنْكَحُ مِنْ الْفَرَا .

ـ أَنْكَحْنَا ٱلْفَرَا ، فَسَنَرَىٰ .

أي : زَوَّجنا من لا خَيْرَ فِيهِ ، فسنعلم كيف العاقبة .

- أَوْفى لِذمَّهِ مِنْ عَيْرٍ .

- بَالَ حِمَارٌ فَاَسْتَبَالَتْ [فَاَسْتَبَالَ] أَحْمِرَة .

أي : حملهن على البول . يضرب في تعاون القوم على ما تكرهه .

- بِجَبْهَةِ العَيْر يُفْدَىٰ حافِرُ الفَرَسِ .

- بَرِئْتُ مِنْ رَبٍّ يَرْكبُ الحِمَارَ .

- تَرَكْتُهُ جَوْفَ حِمَارٍ .

قال الأَصْمَعيُّ : معناه لا خير فيه ولا شيء ينتفع به .

- تَرَكْتُهُ يَتَقَمَّعُ .

القَمَع : الذباب الأزرق العظيم ، والذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحرّ . والمعنى : يذُبُّ الذبابَ من فراغه كما يتقمَّعُ الحمارُ ، وهو أن يحرك رأسه ليذهب الذباب .

- تَرَكْتُهُ عَلَىٰ مِثْلِ عَضْرِطِ العَيْرِ .

العِضْرَط والعَضْرَط : العِجَان ، وهو : ما بين القُبُل والدُّبُر . يُضْرَبُ لِمَنْ لَمْ تَدَعْ له شيئاً .

- تَرَافَدُوا تَرَافُدَ اَلْحُمُرِ بِأَبْوَالِهَا .

وذلك إذا تواطأ القومُ على ما تكرهه، وراجع : بال حمار .

ـ جَاءَ بِقَرْنَيْ حِمار .

إذا جاء بالكذب والباطل ، وذلك أنْ الحمار لا قرنان له ، فكأنه جاء بما لا يمكن أن يكون .

ـ جَاءَ وَقَدْ قَرَضَ رِبَاطَهُ .

الرِّباط : ما يُرْبَط ، أي : يشدُّ به الدابة وغيرها ، والجمع. رُبُط ، وقَرَضَ ، أي : قطع ؛ وأصله في الظبي يقطع حبالته فيفلت فيجيء مجهوداً . يُضرب لمن هو في مثل حاله .

ـ جَاءَ وَقَدْ لَفَظَ لِجَامَهُ .

إذا انصرف عن حاجته مجهوداً من الإعياء والعطش .

ـ جَاءَ كَخَاصِي العَيْرِ .

يضرب لمن جاء مستحيياً ، ويقال : يضرب لمن جاء عُرياناً ما معه شيء .

ـ جَاحَشَ عَنْ خَيْطِ رَقْبَتِهِ .

جاحش : دافع .

ـ أَلْجَحْشَ لمَّا بَذَّكَ [لَمّا فَاتَكَ] الأَعْيَارُ .

المعنى : خُذِ القليلَ إِذَا فاتَكَ الكثير .

- **جُحَيْش وَحْدِهِ .**

- **جَذَّها جَذَّ العَيْرِ الصِّلِّيَانَة .**

الجَذّ : القَطع والكسر ؛ والصِّلِّيَان : بَقْلٌ ربَّما اقتلعه العير من أصله إذا ارتعاه .

يُضرب لمن يُسْرع الحلف من غيْر تتعتع وتمكُّث . والهاء في « **جَذّها** » كناية عن اليمين .

- **جَمَّعْ لَهُ جَرَامِيزَك .**

جراميز الرجل : جَسَده وأعضاؤه . يُضربُ لمن يؤمر بالجلد على العمل . وجراميز الثور وغيره : قوائمه ، يقال : ضَمَّ الثَّوْرُ جراميزه ليثِبَ ، قال الهُذلي يصف حمار الوحش :

وَأصْحَمَ حامَ جَرَامِيزَهُ حزابية حَيْدَىٰ بِالدِّحال

- **حمار أبي سَيَّارة .**

راجع : أصحّ من عَيْر أبي سَيَّارة .

- **حمار أبي الهُذَيل .**

يضرب مثلًا في الأمر الصغير يتكلّم فيه الرجل الخطير ؛ دخل أبو الهذيل على الخليفة المأمون ، فاحتبسه ليأكل معه . فلما وضعت المائدة وأخذوا في

الأكل ، قال أبو الهذيل : يا أمير المؤمنين ! إنَّ الله لا يستحي من الحقّ ، غلامي وحماري بالباب ؛ فقال المأمون : صدقت يا أبا الهذيل ؛ وقال لحاجبه : اخرج إلى غلام أبي الهذيل وحماره فتقدّم بما يصلحهما . وراجع ما سيلي في الكلام على أبي الهُذَيْل .

ـ حمار الحوائج ، أو حمار الحاجات .

يضرب مثلًا لمن يمتهن .

ـ حمار السوء .

قال مسْكين الدّارِمي :

أَوْ حِمـــار السُّـــوء إن أَشْبَعْتَـــهُ

رَمَـحَ النَّـاسَ وَإِنْ جَـاعَ نَهَـقَ

ـ الحمَارُ ٱلسُّوءُ دبَرُهُ أَحَبُّ إِلَيْكَ من مَكُّوك شعِيرِ .

ـ حِمَارُ طَيَّاب .

يضرب مثلًا في الضعف وكثرة العيب . وطَيَّاب سقّاء . وراجع ما سيلي في الكلام على طَيَّاب .

ـ حِمارُ عُزَيْر .

يضرب لمن ينتهي أمره ويخمل ذكره ، ثم يعود فينتعش .

ـ الحمار على كراه يموت .

ـ حِمَارٌ يَحْمِلُ أَسْفاراً .

ـ ٱلْحَمِيرُ نَعْتُ ٱلأَكَّافين .

ـ الدَّابَةُ تُساوِي مِقْرَعَة .

ـ دُونَ ذَا وَيَنْفُقُ ٱلْحِمَارُ .

يقال : أن إنساناً أراد بيع حمارٍ له ، فقال لِمُشَوِّرٍ : أَطْرِ حماري ولك عليّ جُعْلٌ . فلمَّا دخل به السوق قال له المُشَوِّر : هذا حمارك الذي كنت تصيدَ عليه الوحشَ ؟ فقال الرجل : دون ذا وينفق الحمارُ . أي : الزم قولًا دون الذي تقول ، أي : أقلَّ منه ، والحمارُ ينفُقُ الآن دون هذا التنفيق .

ويروى : « دون ذا ينفق الحمار » من غير واو ، أي : ينفق الحمار من غير هذا القول .

يضرب عند المبالغة في المدح إذا كان بدونه اكتفاء .

ـ ذَكَّرَني فوكِ حِمَارَيْ أَهْلي .

أصله أن رَجُلًا خَرَجَ يطلبُ حمارين ضَلّا له ، فرأى ٱمرأةً مُنْتَقِبةً ، فأعجبته حتى نَسِيَ الحمارين ، فلم يزل

يطلب إليها حتىٰ أسفرت له ، فإذا هي فوهاء ، فحين رأى أسنانها ذكر الحمارين ، فقال : ذَكَّرَني فوكِ حمارَيْ أهلي ، وأنشأ يقول :

لَيْتَ النِّقَابَ عَلَىٰ النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ
كيْــلا تَغُــرَّ قَبيحَــةٌ إِنْسَــانــاً

ـ ذَهَبَ الحِمَارُ يَطْلُبُ قَرْنَيْنِ ، فَعَادَ مَصْلُومَ الأُذُنَيْن .

ـ رُبَّمَا أَصْحَبَ ٱلْحَرُونُ .

ـ رَقِيقُ ٱلْحَافِرِ .

ـ زَعَمْتَ أنَّ ٱلْعَيْرَ لا يُقَاتِلُ .

يُضْرَبُ لِمَنْ يظهر منه البأس والنجدة ولم يكن يُرَى أن ذلك عنده .

ـ زَلَّ حِمارُك في الطِّين .

ـ زَلِقَ الحِمَارُ وَكانَ مِنْ شَهْوَةِ المُكارِي .

ـ سَوَاسِيَة كَأَسْنَانِ ٱلْحِمَارِ .

ـ سَوْفَ تَرَىٰ وَيَنْجَلِي ٱلْغُبَارُ أَفَـرَسٌ تَحْتَـكَ أَمْ حِمَـارُ

يُضرب لِمَن يُنْهَىٰ عن شَيْءٍ فيَأْبىٰ .

ـ صَبْراً أَتَانُ ، فَٱلجِحَاش حُولُ .

يضـرب لمـن وَعَـدَ وَعْـداً حسنـاً والمـوعـود غيـر

حاضر ، وخصَّ الجِحاش ليكون التحقيق أبعد .

ـ ضَرَبَ فِي جَهَازِه .

أصله في البعير يُسْقِطُ عن ظهره القَتَبُ بأداته فيقع بين قوائمه ، فينفر منه حتى يذهب في الأرض ؛ وضَرَبَ ، معناه : سار ، و« في » من صلة المعنى ، أي : صار عاثراً في جهازه .

يضرب لمن يَنْفِرُ عن الشيءِ نُفوراً لا يعود بعده إليه .

ـ ضَرِطٌ ذلك .

تزعم العرب أن الأسد رأىٰ الحمار ، فرأى شدةَ حوافِرِه وعظم أذنيه وعظم أسنانه وبطنه ، فهابه ، وقال : إن هذا الدابة لمنكر ، وإنه لخليق أن يغلبني ، فلو زُرتُه ونظرت ما عنده ؛ فدنا منه ، فقال : يا حمار ! أرأيت حوافِرَكَ هذه المنكرة ، لأي شيء هي ؟ قال : للأكم ؛ فقال الأسد : قد أمنتُ حوافرَهُ ؛ فقال : أرأيت أسنانَكَ هذه ، لأي شيء هي ؟ قال : للحنظل ؛ قال الأسد : قد أمنتُ أسنانَهُ ؛ قال : أرأيتَ أذنَيْكَ هاتيك المنكرتين ، لأي شيء هما ؟ قال : للذباب ، قال : أرأيت بطنك هذا ، لأي شيء هو ؟ قال : ضَرِطٌ ذلك ؛

فعلم أنه لا غَنَاء عنده ، فافترسه .

يضرب لما يَهُولُ مَنْظَرُهُ ولا معنى وراءه .

- ضَرَطَ وَرْدَانُ بوادٍ قِيٍّ .

وَرْدَان : اسم حمار ، والقِيّ : الفَلاة .

يضرب لمن يخاصم غيره في باطل .

- عَشَّرَ وَٱلْمَوْتُ شَجَا الوَرِيدِ .

التعشير : نَهِيقُ الحمار عشرة أصوات في طلق واحد .

كانوا إذا خافوا من وَبَاءِ بَلَدٍ عَشّروا تعشير الحمار قبل أن يدخلوه ، وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعهم ، يقول : عشّر هذا الرجل والموتُ شَجَا وريده ، أي : مما شَجِيَ به وريدُهُ ، يريد : قربَ الموت منه .

يضرب لمن يَجْزع حين لا ينفعه الجزع .

- عَنْ مُهْجَتِي أُجَاحِشُ .

المُجَاحشة : المدافعة ، وهذا مثل قولهم : « جاحَشَ عن خيط رقبته » .

- العَيْرُ أَوْفَىٰ لِدَمِهِ ، مِنْ رَاعٍ في غَنَمِهِ .

يضرب للموصوف بالحذَرِ ، وذلك أنّهُ ليس شيء

من الصيد يحذر حَذَرَ العَيْر إذا طُلِب .

- عَيْرٌ بِعَيْرٍ وَزِيَادَةُ عَشَرَةٍ .

قال أبو عبيدة : هذا مثل لأهل الشام ليس يتكلم به غيرهم ، وأصلُ هذا أن خلفاءهم كلما مات منهم واحد وقام آخر زادهم عشرة في أعطياتهم ؛ فكانوا يقولون عند ذلك هذا ؛ والمراد بالعَيْر ههنا السيد .

- عَيْرٌ رَعَىٰ أَنْفُهُ ٱلْكَلأَ .

أي : وَجَدَ ريحَهُ فطلبه .

يضرب لمن يستدلّ على الشيء بظهور مَخَايله .

- عَيْرٌ رَكَضَتْهُ أُمُّهُ .

ويروى : ركَلَتْه أمه . يُضربُ لِمَنْ يَظْلِمُهُ ناصره .

- عَيْرٌ عَارَهُ وَتِدُه .

عارَه ، أي : أهلكه . وأصل المثل أن رجلاً أَشْفَقَ على حماره ، فربَطَه إلى وَتَدٍ ، فهجَمَ عليه السبع ، فلم يمكنه الفرار ، فأهلكه ما احترس له به .

- العَيْرُ يَضْرُطُ وَٱلْمِكْوَاةُ فِي ٱلنَّارِ .

- عُيَيْرُ وَحْدِه .

يضرب لمن لا يخالط الناس . ويقال : جُحَيش

وَحْدِه ، وجُحَيْشُ نفسه .

- فِصْفِصَةٌ حِمَارُهَا لا يَقْمُصُ .

يضرب لمن يصنع المعروف في غير أهله .

- فَلِمَ رَبَضَ العَيْرُ إِذَنْ ؟

قال ٱمرؤُ القَيْس لمّا أَلْبَسَهُ قَيْصرُ الثيابَ المسْمومة ، وخرجَ من عنده وتلقاه عَيْر فرَبَض ، فتفاءل ٱمرؤ القيس ، فقيل : لا بأس عليك ؛ قال : فَلِمَ رَبَضَ العَيْرُ إِذَنْ ؟ أي : أنا مَيِّتٌ . يُضربُ للشيء فيه علامة تدلُّ على غير ما يقال لك .

- في رَأْسِهِ نُعَرَةٌ .

هي الذباب يدخل في أنف الحمار .

يضرب للطامح الذي لا يستقر على شيء .

- قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَىٰ .

أي : أول كل شيء ، يقال : لقيته أولَ ذات يدين ، وأوّل وَهْلَةٍ ، وقَبْلَ عَيْرٍ وما جرى ؛ يراد به السرعة في كلّه .

- قَدْ حِيلَ بَيْنَ ٱلْعَيْرِ وَالنَّزَوَان .

- قَدْ يَضْرِطُ ٱلْعَيْرُ وَٱلْمِكْوَاةُ فِي ٱلنَّارِ .

يضرب للرجل يخاف الأمر ، فيجزع قبل وقوعه فيه .

- قد يُقْدِمُ ٱلْعَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَىٰ ٱلأَسَدِ .

- قَرِّبِ ٱلْحِمَارَ مِنَ ٱلرَّدْهَةِ وَلا تَقُلْ لَهُ : سَأْ .

الرَّدْهَة : مستنقع الماء ، وسَأْ : زَجْرٌ للحمار ، يقال : سَأْسَأْت بالحمار ، إذا دَعَوْتهُ ليشرب . يضرب للرجل يعلم ما يَصْنع .

- قِفِ الحمارَ على الردهة ولا تقل له : سَأْ .

سَأْسَأَ بالحمار سَأْسَأَةً وسَأْساةً : زَجرَهُ لِيَحْتَبِسَ ، أو دَعاهُ لِيَشْرَبَ أو يمضي .

- كان حماراً فاسْتَأْتَن .

يضرب للعزيز يَذِلُّ . أردوا به أنه كان قوياً فطلب أن يكون ضعيفاً ، أو كان ضعيفاً فطلب أن يكون قوياً .

- كَحِمارَيْ العِبَادِيّ .

يضرب مثلاً للشيئين المتساويين في الرداءة ، وسئل العبادي : أيّ حماريْك شرٌّ ؟ فقال : ذا ثمّ ذا .

ويضرب في خلّتين إحداهما شرّ من الأخرى .

ـ كَذَبَ ٱلْعَيْرُ وَإنْ كَانَ بَرَحَ .

يضرب للشيء يُرْجَىٰ وَإِنِ اسْتُصْعِبَ .

ـ كَذَنَبِ الحِمَار .

لما لا يزيد ولا ينقص .

ـ كَطَالِبِ ٱلْقَرْنِ جُدِعَتْ أُذُنُهُ .

طالب القرن : الحمار . قال الشاعر :

كَمِثْلِ حِمارٍ كان لِلْقَرْنِ طالِباً
فَآبَ بلا أُذُنٍ وَلَيْسَ لَهُ قَرْنُ

ـ كُلُّ أَزَبٍّ نَفُورٌ .

وذلك أن البعير الأَزَبَّ ، وهو الذي يكثر شَعْرُ حاجبيه ، يكون نفوراً ؛ لأنَّ الريح تَضْربه فينفر .

يضرب في عيب الجبان .

ـ كُلُّ الصَّيْدِ في جوف الفَرا .

وذلك أنَّ أجلَّ شيء يصيدهُ الصائدُ الحمارُ الوحشيُّ ، فإذا ظَفِرَ به ، فكأنّه قد ظَفِرَ بجُمْلَةِ الصيد .

ـ كَلَّا زَعَمْتَ العيرَ لا تُقَاتِلُ .

يضرب للرجل قد كان أَمِنَ أن يكون عنده شيء ، ثم

ظهر منه غيرُ ما ظنّ به .

ـ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ مَاجَبَحَ ابنُ أَتَانٍ .

يقال : جَبَحَ وَجَبَخَ ، بالحاء والخاء ؛ وهو : الضُراط ؛ أي : لا أفعل كذا أبداً .

ـ لَا تكُنْ أَدْنَىٰ ٱلْعَيْرَيْنِ إِلَى ٱلسَّهْمِ .

أي : لا تكن أدنى أصحابك من التَّلَف .

يضرب في التحذير .

ـ لأَضْرِبَنَّكَ غِبَّ ٱلْحِمَارِ ، وَظَاهِرَةَ الفَرَسِ .

غِبَّ الحمار : أن يشرب يوماً ويدع يوماً ؛ وظاهرة الفرس : أن يشرب كل يوم ؛ والمعنى : لأضربنَّكَ كل وقت .

ـ لأَضْرِبَنَّهُ ضَرْبَ أَوَابي الحُمُر .

يُضربُ مثلاً في التهديد .

ـ لَا حَاءَ وَلَا سَاءَ .

أي : لم يأمُرْ ولم يَنْهَ .

ـ لَا يَأْبَىٰ الْكَرَامَةَ إِلَّا حِمَارٌ .

قال المُفَضَّلُ : أول مَن قال ذلك أميرُ المؤمنين علي

رضي الله عنه ، وذلك أنه دخل عليه رجلان ، فرمَىٰ لهما بوِسادتين ، فقَعَدَ أحدُهما على الوِسَادة ، ولم يقعد الآخر ، فقال علي : اقْعُدْ على الوسادة ، لا يأبى الكرامة إلا حمار ؛ فقعد الرجل على الوسادة .

ـ لَيْسَ لِلْحِمارِ ٱلْوَاقِعِ كَصَاحِبِهِ .

ـ مَا بِالْعَيْرِ مِنْ قُماصٍ .

يضرب لِمَنْ ذَلَّ بَعْدَ عِزٍّ ولضعيفٍ لا حِرَاكَ به ؛ وَلِمَنْ لم يبقَ من جَلَده شيء . والقُماصُ ـ بالكسر ويُضَم ـ : الوُثوبُ .

ـ مَا بَقِيَ مِنْهُ إلَّا قَدْرُ ظِمْءِ ٱلْحِمَارِ .

وهو أَقْصَرُ الظِّمْءِ ، لقلَّةِ صبره عن الماء .

ـ مَنْ يَنِكْ ٱلْعَيْرَ يَنِكْ نيَّاكاً .

يُضرب لِمَنْ يُغَالِبُ الغَلَّاب .

ـ نَجَّا عَيْراً سِمْنُهُ .

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: زعَمُوا أَنَّ حُمُراً كانت هِزَالًا ، فَهَلَكَت في جَذْبٍ، وَنَجَا منها حمار كانَ سَمِيناً، فَضُرِبَ به المثل في الحَزْمِ قبل وقوع الأمر ، أيْ : ٱنْجُ قَبْل أن لا تقْدر على ذلك ، وَيُضْرَبُ لِمَنْ خلَّصه مالُهُ مِنْ مَكروهٍ.

- هم يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الحُمُر .

أي يَتَسَافَدُون ، والهَرْج : كثرة النكاح .

- وقَعَا كَعِكْمَيْ عَيْر .

لأنَّ العِكْمَيْن ، أي : العِدْلَين ؛ في الأكثر إذا حُلَّا سقطا معاً . يضرب للمتساويين .

- وَقَفَ حِمارُ ٱلشَّيْخِ فِي ٱلْعَقَبَةِ .

- يَا ٱبْنَ ٱسْتِهَا إِذَا أَحْمَضَتْ حِمَارَها .

الحمار لا يحمض ، وإنَّما هذا شَتْمٌ تُقْذَفُ به أمّ الإنسان ، يريد أنّها أحمضت حمارها ، ففعل بها حيثُ حلت تحمض الحمار .

- يَحْمِلُ حَالًا وَلَهُ حِمارٌ .

الحال : الكاره ، وهي : ما يحمله القصَّار على ظهره من الثياب . يضرب لمن يَرْضَى بالدُّون من العيش على أنّ له ثروة ومقدرة .

* * *

ومن الذين جمعوا بعض أخبار الحمير ، الثعالبي ، أبـو منصـور عبـد الملـك بـن محمـد بـن إسمـاعيـل النيسايوري ، في كتابه : « **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** »[1] حيث خصص الباب الخامس والعشرين للحمير ، (٥٥٠ ـ ٥٥٩) وسأورد مجمل ما أوردَه في كتابه عن الحمير وإن كان فيه بعض المكرّر لما سبق ، قال :

٧٤ و٥٦١ ـ حمار عُزير : يجري ذكرهُ في عِدَّةِ مواضع ؛ فمنها أنه يُضربُ مثلًا للمنكوب الذي يَنْتَعِشُ ، لأن الله تعالى أحياهُ بعد مِئَةِ عامٍ من موتِه .

قال الصَّاحبُ في أبي محمد عبد الله بن محمد بن عُزَير ، لمَّا استُوزِرَ بعد النكبة :

حِمَارُ عُزَيْرٍ ذَاكَ لا ٱبْن عُزَيْرِ

ونظرَ الفضلُ بن عيسى الرَّقاشي إلى حمارٍ فارهٍ تحتَ سَلْمِ بن قُتيبة ، فقال : قِعْدَةُ نبيٍّ ، وَبِذْلَةُ جبَّار ؛ ذهبَ إلى حِمارِ عُزيرٍ وعيسى عليهما السَّلام [« الحيوان » للجاحظ ٧/ ٢٠٤ و« البيان والتبيين » ١/ ٣٠٧] .

---

(١) اعتمدت طبعة دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق عام ١٩٩٤ ، تحقيق وشرح : إبراهيم صالح .

وقال بعضُ المتعصِّبين للحمارِ ، والقائلين بفضلهِ :
وكيفَ لا أُحبُّ شيئاً أحياهُ الله بعدَ مَوتِه قبلَ الحشرِ !
يعني حمارَ عُزَير [« الحيوان » للجاحظ ٧/ ٢٠٤] .

وحكى الجاحظ [« الحيوان » ٧/ ٢٠٤] ، عن مقاتل ابن سليمان ، قال : قال موسى للخَضِرِ عليهما السَّلام : أيُّ الدَّوابِّ أحبُّ إليكَ ؟ قال : الفرسُ والحمارُ والبعير لأنها من مراكب الأنبياءِ .

قال الجاحظ : أمَّا الفرَس فمركبُ أُولي العَزْمِ من الرُّسلِ ، وَكلٌّ من أمَرَهُ تعالى بحملِ السّلاح وقتال الكفار ؛ وأمَّا البعيرُ فمركبُ هودٍ وَصالحٍ وشعيبٍ ومحمَّد صلَّى الله عليهم وسلم ؛ وأمَّا الحمارُ فمركب عُزَيرٍ وعيسى عليهما السلام وبَلْعَمَ [بن باعوراء] .

٥٦٢ ـ حمارُ أبي الهُذَيل : يُضرَبُ مَثَلًا في الأمرِ الصَّغيرِ يَتكلَّمُ فيه الرَّجل الكبير .

ومن قِصَّتهِ أَنَّ أَبا الهُذَيلِ(١) دخلَ على المأمونِ

---

(١) أبو الهذيل ، محمد بن الهذيل ، العلاّف ، المتكلم ، كان شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم ؛ قال الخطيب : وكان خبيث القول ، فارق إجماع المسلمين . توفي سنة ٢٢٦هـ ، وقيل : ٢٢٧هـ ، وقيل : ٢٣٥هـ . =

فاحتبَسه ليأكُلَ معه ، فلمَّا وُضعتِ المائدةُ وأَخذوا في الأكلِ قال أَبو الهُذَيل : يا أميرَ المؤمنين ! ، إنَّ اللهَ لا يستحيي من الحقِّ ، غُلامي وَحماري بالبابِ ؛ فقال : صَدقتَ يا أبا الهُذَيل ؛ ودعا بالحاجبِ ، فقال له : اخرجْ إِلى غُلامٍ أَبي الهُذَيلِ وَحمارِه ، فَتَقَدَّمْ بما يُصِلحُهما ؛ فَخَرجَ وفعل .

وكان محّمد بن الجَهم[1] إذا تَعَذَّرَ عليه أَمرٌ يقولُ : إنَّ الَّذي سَخَّرَ المأمونَ لحمارِ أبي الهُذَيل وغُلامِه قادرٌ على أَن يُسهِّل لنا هذا الأمر .

وَفَعلَ أَبو الهُذَيل مِثلَ ذلكَ مرَّةً على مائدةِ المُعتصِم ، فقال المعتصمُ لإيتاخ[2] : اْمضِ حتَّى تَطرَحَ

= (« تاريخ بغداد » ٣/ ٣٦٦ ، « وفيات الأعيان » ٤/ ٢٦٥ ، « البخلاء » ١٣٥ ، « نكت الهميان » ٢٧٧ ، « لسان الميزان » ٥/ ٤١٣) .

(١) محمد بن الجهم بن هارون السِّمَّريّ ، الكاتب ، أبو عبد الله ، هو ثقة صدوق ، توفي سنة ٢٧٧هـ . (« تاريخ بغداد » ٢/ ١٦١ ، « الوافي بالوفيات » ٢/ ٣١٣ ، « معجم الشعراء » ٤٠٦) .

(٢) وإيتاخ التركي ، كان سيف النقمة للخلفاء ، كان غلاماً خزرياً اشتراه المعتصم ورفع منزلته ، وكان المتوكل خافه ، ثم قبض =

لحمارِ أبي الهُذَيل عَلَفاً ، وَمُرْ بإطعامِ غُلامِه .

فقالَ أَحمد ابن أبي دُؤَاد : يا أميرَ المؤمنين ! أَما تَرَى إلى جَلالِة هذا الشَّيخ وَتَفَقُّده ما يَلزَمُه من خواصِّ أَمره ، لم يَمنعْهُ جَلالةُ مَجلسِك عمَّا يجِبُ لله عليه ورسولِه في غُلامِه وَحماره !.

فَجعلَ أَحمد ـ ما قدَّرَهُ بعضُ مَنْ حضَرَ ـ من الحاجةِ إلى الاعتذار منه ، الشَّهادةَ بالفَضْلِ له .

٥٦٣ ـ حِمارا العِباديّ : من أمثال العَرَبِ في الشَّيئين الرَّديئين ، ما أحدُهما بأَمثَلَ من الآخِر [١] : هما كَحمارَي العِباديّ ؛ وهو الَّذي قيلَ له : أَيَّ حِمارَيْك شَرٌّ ؟ فقال : ذا ثمَّ ذا .

وتحاكمَ نَفَرٌ إلى الرَّقاشيّ في أَيِّهما أَنذَلُ وأَسفَلُ ؟

= عليه وكبَّله ، ومات عطشاً سنة ٢٤٣هـ . (« الوافي بالوفيات » ٤٨١/٩ ، « تاريخ الطبري » ١٦٦/٩) .

(١) الميداني ١٦١/٢ ، « المستقصى » ٢١٥/٢ ، « المنتخب » ١٠٢ و١١٩ ، « التمثيل والمحاضرة » ٣٤٣ ، «نثر الدر » ١٤٢/٢ ، « عيون الأخبار » ٣٢٢/١ « شرح النهج » ٣٣٦/٦ ، و١٩٩/٢٠ ، « العقد الفريد » ٨/٦ ، « مختصر تاريخ دمشق » ٣٣١/٤ ، وفي « المستقصى » أن قائل هذا المثل هو عديّ بن زيد الشاعر .

الكَنَّاسُ أو الحجَّام ؟ فأنشَدَ قول الشَّاعر :

حِمارا العِبَادِيِّ الَّذِي سِيلَ عَنْهُمَا
فَكَانَا عَلَى حَالٍ مِنَ الشَّرِّ وَاحِدِ

٥٦٤ ـ حمار الحوائج : يُضرَبُ مثلاً لمن يُستَذَلُّ ويُمتَهنُ .

ومن أَمثالِ العَرَبِ [١] : اتَّخَذُوا فلاناً حِمارَ الحوائجِ .

ومن أَمثالِ العامَّةِ : فلانٌ قَوَّادُ القرْيَةِ ، وجَمَلُ السِّقايَةِ ، وكلْبُ الجماعَةِ ، وَحمارُ الحوائجِ .

٣١٨ ـ حِمارُ القَصَّار : يُضربُ به المثلُ فيمن يَحصلُ على الخَسْفِ وَسُوءِ القِرى ، فيُقالُ : كانَ يَوم فُلان كيومِ حمارِ القَصَّارِ ، إن جاعَ شَربَ ، وإن عَطشَ شَرِب .

٥٦٥ ـ حِمار طَيَّاب : كان لِطَيَّاب السَّقَّاء حمارٌ قديمُ الصُّحْبَةِ ، ضَعيفُ الجمْلة ، شديدُ الهُزالِ ، ظاهرُ الانخذالِ ، كاسِفُ البالِ ، يستقي عليه ، وَيرتفقُ به ،

---

(١) الميداني ٢/٤٠٤ وفيه المثل : هو حمير الحاجات ؛ « التمثيل والمحاضرة » ٣٤٣ .

ويرتزق منه مُدَّةً مديدةً من الدَّهرِ ؛ وكان عُرْضَةً لشعر أبي غلالة المخزوميّ ، كما أَنَّ شاةَ سعيدٍ كانت عُرضَةً لِشِعر الحمدونيّ .

ولأبي غلالة في وَصفهِ بالضَّعْفِ ، والتَّوَجُّع له من الخَسْفِ ، نيِّفٌ وعشرون مَقطوعةً مُضَمَّنَةً ، أوردَها كُلَّها حمزة الأصبهاني في كتابه « مَضاحِك الأشعار » على حروفِ الهجاءِ .

وحكى محمد بن داود بنِ الجرَّاح ، عن جَعفر رفيقِ طَيَّاب ؛ أَنَّ حمارَ طَيَّاب نَفَقَ ، فماتَ طَيَّابٌ على أَثره بأُسبوعٍ ، ثم ماتَ أبو غلالة على أَثَرِ طَيَّاب بأسبوع ، وكان ذلك من عَجيبِ الاتِّفاقاتِ .

وسارَ حمارُ طَيَّابٍ مثلاً كبَغلةِ أبي دُلامة في الضعفِ وكثرةِ العَيبِ ، وطَيْلسان ابن حَرْبٍ ، وشاةِ سعيدٍ في كثرةِ ما قيلَ في كُلٍّ مِنهما .

فَمِن مُلَح أبي غلالةَ في هذا الحمار ما أَورده ابن أبي عَوْن في كتابِ « التَّشبيهات » [صفحة : ٣٧١] ـ ولم يُوردْ سوى المُختارِ ـ قوله :

يَـا سَـائلـي عَـنْ حِمَـارِ طَيَّـاب
ذَاكَ حِمَـــارٌ حَلِيــفُ أَوْصَـــابِ

كَـأنَّـهُ وَالـذُّبَـابُ يَـأخُـذُهُ
مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ نِفَـارُ دُوشـابِ

وَممَّا أَوردَهُ حَمزة قوله :

وَحِمَـارٍ بَكَـتْ عَلَيْـهِ الْحَمِيـرُ
دَقَّ حتَّـى بـهِ الـذُّبـابُ يَطِيـرُ
كَـانَ فِيمـا مَضَـى يَقـومُ بِضَعْـفٍ
فَهُـوَ ٱليـومَ واقِـفٌ لا يَسِيـرُ
كَيْفَ يَمْشِي وَلَيْسَ يُعلَفُ شَيْئاً
وهـو شَيْـخٌ مـن ٱلحَمِيـرِ كَبِيـرُ
يَأْكُلُ ٱلتِّبْنَ في ٱلزَّمَانِ وَلكِنْ
أَبْعَـدُ الأَبْعَـدِيـنَ عَنْـهُ الشَّعِيـرُ
عـايَـنَ ٱلقَـتَّ مَـرَّةً مِـنْ بَعيـدٍ
فَتَغَنَّـى وَفـي الفُـؤادِ سَعِيـرُ
لَيْـسَ لِـي مِنْـكَ يَـاظَلُـومُ نَصِيـرُ
أَنَـا عَبْـدُ الهَـوَىٰ وَأَنْـتَ الأَمِيـرُ

وقوله :

أَقْسَمْـتُ بِـٱلْكَـأْسِ وَٱلْمُـدَامِ
وَصُحْبَـةِ ٱلفِتْيَـةِ ٱلكِـرَامِ

أَنْ لَسْتُ أَبْكِي عَلَى رُسُومٍ
غَيَّرَهَا هَاطِلُ ٱلغَمَامِ
لَكِنْ بُكَائِي عَلَى حِمَارٍ
مُوَكَّلِ ٱلجِسْمِ بِٱلسَّقَامِ
قَدْ ذَابَ ضُرّاً وَمَاتَ هُزْلًا
فَصَارَ جِلْداً عَلَى عِظَامِ
وَمَرَّ يَوْمَاً بِهِ شَعِيرٌ
مِقْدَارَ كَفَّيْنِ لِلْحَمَامِ
وَحَبْلُ قَتٍّ لِشَاةِ قَوْمٍ
كِلاهُمَا فِي يَدَيْ غُلامِ
فَظَلَّ مِنْ فَرْحَةٍ يُغَنِّي
وَقَالَ : قَدْ جَاءَنِي طَعَامِي
يَا زَائِرِينَا مِنَ ٱلْخِيَامِ
حَيَّاكُمُ اللهُ بِٱلسَّلامِ
لَمْ تَطْرِقَانِي وَبِي حَرَاكٌ
إِلَى حَلالٍ وَلَا حَرَامِ

وقوله :

حِمَارٌ أَنَاخَ بِهِ ضُرُّهُ
وَدَارَ عَلَيْهِ بِذاكَ الْفَلَكْ

يَميلُ مِنَ الضَّعْفِ فِي مَشْيِهِ
وَيَسْقُطُ فِي كُلِّ دَرْبٍ سَلَكْ
فَأَمَّا الشَّعِيرُ فَمَا ذاقَهُ
كَما لا يَذُوقُ الطَّعَامَ المَلَكْ
يُغَنِّي عَلَى ٱلقَتِّ لَمَّا يَرَاهُ
وَقَدْ هَزَّهُ ٱلْجُوعُ حَتَّىٰ هَلَكْ :
أَخَذْتَ فُؤَادِي فَعَذَّبْتَهُ
وَأَسْهَرْتَ عَيْنَيّ فَمَا حَلَّ لَكْ ؟

وَقوله :

لَمْ أَبْكِ شَجْواً لِفَقْدِ حِبٍّ
وَقَدِ ٱبْتَلانِي بِذَاكَ رَبِّي
لكِنَّنِي قَدْ بَكَيْتُ حُزْناً
عَلَىٰ حِمَارٍ لِجَارِ جَنْبِ
لَوْ شَمَّ رِيحَ الشَّعِيرِ شَمّاً
مِنْ غَيْرِ أَكْلٍ لَقَالَ : حَسْبِي
أَوْ عَايَنَ ٱلقَتَّ مِنْ بَعِيدِ
يَوْماً لَغَنَّى بِصَوْتِ صَبٍّ :
لَيْسَ يَزُولُ الَّذِي بِقَلْبِي
يَا مَنْ جَفَانِي بِغَيْرِ ذَنْبِ

وقوله :

حِمَارُ طَيَّابٍ لا تُحْصَىٰ مَساوِيهِ
مَـا فِيـهِ أَكْثَـرُ ممَّـا قُلْتُـه فِيـهِ
قَدْ ذَابَ حتَّىٰ رَأَيْتُ ٱلخَيْطَ يُشْبِهُهُ
مِـنْ ٱلهُـزَالِ وَعَيْـنُ ٱلضُّـرِّ تبْكِيـهِ
أَقْسَمْتُ بِٱللهِ لَوْلَا ٱلتِّبْنُ يأْكُلُهُ
فِي كُلِّ شَهْرٍ لَكَانَ ٱلجُوعُ يُفْنِيهِ
مَا زَالَ يَطْلُبُ وَصْلَ ٱلقَتِّ مُجْتَهِداً
وَٱلقَـتُّ يَقْتُلُـهُ بِـٱلصَّـدِّ وَٱلتِّيـهِ
حَتَّىٰ تَغَنَّىٰ لَهُ مِنْ طُولِ جَفْوَتِهِ
صَوْتاً يَبوْحُ بِمَا قَدْ كَان يُخْفِيهِ :
ٱلنَّجْـمُ يَـرْحَمُنِـي مِمَّـا أُرَاعِيـهِ
وَأَنْـتَ فِـي غَفْلَـةٍ مِمَّـا أُقَاسِيـهِ

٥٥٦ ـ حِمارُ قَبَّان : من أَمثالِ العَرَبِ [١] : هو أَذلُّ مِنْ حمَار قبَّان ؛ وهو ضَرْبٌ من الخنافِسِ بين مكَّةَ

(١) المثل في الميداني ١/ ٢٨٣ والبيتان فيه ، « والمستقصى » ١/ ١٣٣ ، و« الدرة الفاخرة » ٢٠٥ ، « جمهرة العسكري » ١/ ٤٧٠ . والبيتان في « سر صناعة الإعراب » ١/ ٨٢ ، و« اللسان » ١/ ٢٦ « المقدمة » و٣/ ١٨٦٥ « زمم » و٥/ ٣٥٢٣ « قبن » .

والمدينة ؛ قال الرَّاجز :

يَـا عَجَبـاً لَقَـد رَأَيْـتُ عَجَبـا
حِمَـارَ قَبَّـانٍ يَسُـوقُ أَرْنَبَـا

٥٦٧ ـ عَيْرُ أَبي سيَّارة : هذا عَيْرٌ مَشهورٌ يُتمثَّلُ به ، فَيقالُ [١] : أَصحُّ من عَيْر أبي سَيَّارة ؛ للرَّجُل الصَّحيح في بَدَنه .

وأبو سيَّارة رَجلٌ من عَدْوان، وٱسمه عُمَيلة بن خالد ابن الأَعزل ؛ وكان له حمارٌ أَسود ، أَجاز الناسَ عليه من مُزدَلِفة إلى مِنىٰ أربعين سنةً ، وكان يقفُ فيقولُ شِعراً :

خَلُّـوا الطَّـريـقَ عَـنْ أَبِـي سَيَّـارَهْ
وَعَـنْ مَـوَالِيـهِ بَنِـي فَـزَارَهْ
حتَّـىٰ يُجِيـزَ سَـالِمـاً حِمَـارَهْ
مُستَقبِـلَ ٱلقِبْلَـةِ يَـدْعُـو جَـارَهْ

---

(١) المثل والخبر في : « عيون الأخبار » ١/ ١٦٠ ، و« المعمرين » ٦١ ، و« فصل المقال » ٥٠١ ، و« الدرة الفاخرة » ٢٧١ ، و« جمهرة العسكري » ١/٥٨٨ ، و« مروج الذهب » ٢/ ١٧٤ ، و« الحيوان » ٢/ ٢٥٧ و١/ ١٣٩ ، و« الاشتقاق » ٢٦٨ ، والميداني ١/ ٤٢٢ ، و« المستقصى » ١/ ٢٠٥ ، و« السيرة » ١/ ١٢٢ ، و« سفر السعادة » ١/ ٣١١ ، و« البيان » ١/ ٣٠٧ ، و« الأوائل » ١/ ٢٥ .

قال الجاحظ [« الحيوان » ١/ ١٣٩] : أَعمارُ حُمُر الوَحشِ تزيدُ على أَعمار الحُمُرِ الأهليَّةِ ، ولا يُعرَفُ حمارٌ أهليٌّ عاشَ أَكثر وعُمِّرَ أَطولَ من عَيْر أَبي سَيَّارة ؛ فإنهم لا يَشُكُّونَ أَنه دفَعَ عليه بأَهلِ الموسمِ أَربعين عاماً .

وكانَ يقولُ : اللَّهمَّ حَبِّبْ بين نسائنا ، وَبَغِض بين رِعائِنا ، واْجعل المالَ في سُمحائِنا .

[وجَاء في « القاموس المحيط » مادة : سير : وكانَ يقول: أَشْرِقْ ثَبِيرْ كَيْمَا نُغِيرْ ؛ أَيْ : كَيْ نُسْرِعَ إِلىٰ النَّحْرِ . اهـ.]

قال حمزة : وكان الفَضْل بن عيسىٰ الرَّقاشيّ وخالد بن صفوان يختاران ركوبَ الحميرِ على البَراذين ، ويَجعلان أبا سَيَّارةَ قُدوةً لهما .

فأَمَّا الفَضْلُ فإنه سُئِلَ[١] عن رُكوبِ الحمارِ، فقال : لأَنه أقلُّ الدَّوابِّ مَؤُونَةً، وأَكثَرُها مَعونةً، وأَسهلُها جماحاً وصَرعاً ، وأَخفَضُها مهوىً ، وأَقربها مُرتقىً ، يُزهَى راكبُهُ وقد تَواضعَ بركوبه ؛ وَيُدعىٰ مُقتصداً وقد أَسرف في ثَمنه ، وَلو شاءَ أَبو سيَّارةَ أَن يَركبَ جَملاً مُهرِيّاً ، أو

(١) السائل هو عيسى بن حاضر، في «بيان الجاحظ» ١/ ٣٠٧ حيث الخبر.

فَرساً عربيّاً ، لفعل ؛ ولكنّهُ ٱمتَطى عَيْراً أربعينَ سنةً .

فأَمّا خالد ، فإن بعضَ أَشرافِ البَصْرةِ تَلَقَّاه فرآهُ على حِمارٍ ، فقال : ما هذا المركَبُ ؟ فقال : عَيْرٌ من نَسْلِ الكُدادِ ، أَصْحَرُ السِّربالِ ، مُحَمْلَجُ القَوائمِ ، مَفْتولُ الأَجلادِ ، يَحملُ الرِّجلةَ ، وَيَبلغُ العَقَبَةَ ، وَيَقلُّ دَاؤُهُ ، وَيَخفُّ دَواؤُهُ ؛ وَيَمنعني أَن أَكونَ جبَّاراً في الأرضِ ، أَو أَكونَ من المُفسدين ؛ ولولا ما في الحمارِ من المنفعةِ لما ٱمتطى أَبو سيَّارة عَيْرَهُ أَربعين سنةً .

فَسمعَ كلامَهُ أَعرابيٌّ [١]، فعارضَه ، بأَن قال : الحمـارُ إذا أَوقَفْتَـهُ أَدلَـىٰ ، وإِن تَـركتَـهُ وَلَّـىٰ ، كثيـرُ الرَّوْثِ ، قَليلُ الغَوْثِ ، سَريعٌ إلى الفَرارة ، بَطيءٌ إلى الغارة ، لا تُرقأُ به الدِّماءُ ، ولا تُمْهَر به النساءُ ، ولا يحلبُ في الإِناء .

٥٦٨ ـ أَسنانُ الحمار : يُضربُ بها المثلُ في التَّماثلِ والتَّساوي .

وَمن أَمثال العربِ [٢] : سَواسيةٌ كأسنانِ الحمارِ .

---

(١) نسب هذا القول في «الأنوار» للشمشاطي ١/ ٣٥١ إلى خالد بن صفوان .

(٢) « المنتخب » ١١٩ ، « العقد الفريد » ٣/ ٩٩ ، « شرح النهج » =

يُقالُ : هو سِيُّكَ ، أَي هو مِثْلُك ، وهما سَواءٌ ، وهم أَسْواءٌ ، وسَواسٍ وسَواسيةٌ ، إذا كانوا مُستوينَ مُتساوين .

قال بعضهم [(١)] : لا تكونُ السَّواسيةُ إِلَّا في الشَّرِّ ؛ قال ٱبن أَحمر [(٢)] :

سَواسٍ كَأَسْنَانِ ٱلْحِمارِ فَلا تَرَىٰ
لِذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَىٰ نَاشِيءٍ فَضْلَا

وقال ذو الرُّمَّة [(٣)] :

لَهُمْ زُمْرَةٌ صُهْبُ ٱلسِّبَالِ أَذِلَّةٌ
سَوَاسِيَةٌ أَحْرارُهَا وَعَبِيدُهَا

= ٢٠/١٩٨ ، « عيون الأخبار » ٢/٢ ؛ الميداني ١/ ٣٢٩ ، « المستقصى » ٢/ ١٢٣ ، « جمهرة العسكري » ١/ ٥٢٢ ؛ وهو عجز بيت للفرزدق في « اللسان » « سوا » .

(١) نسب هذا القول في «اللسان» «سوا» ٣/ ٢١٦١ إلى الفَرّاء، وإلى عمرو .

(٢) ديوانه ١٣٢ ، ونسب في الميداني والزمخشري و« اللسان » « سوا » إلى كثيّر ، وهو في ديوانه ٣٨٤ ، وبلا نسبة في « عيون الأخبار » ٢/ ٢ ، و«بيان الجاحظ» ٢/ ١٩، و« فصل المقال » ١٩٦ ، و«البرصان» ٢٣٦ .

(٣) ديوانه ٢/ ١٢٣٥ .

وقال [١]:

سَبَيْنَا مِنْهُمُ سَبْعِينَ خَوْداً
سَواسٍ لَم يُفَضَّ لَهَا خِتَامُ

وقال آخر [٢]:

شَبَابُهُمُ وَشِيبُهُم سَوَاءٌ
هُمُ في اللُّؤمِ أَسْنَانُ ٱلْحِمَارِ

٥٦٩ ـ ظِمْءُ الحمارِ : من أَمثالِ العربِ قَولُهم [٣]: أَقصرُ من ظِمْءِ الحمارِ ، لأَنه لا يصبرُ على العَطَشِ أَكثر من يوم ؛ والظِّمْءُ : ما بينَ الشَّرْبتَين ؛ طويلًا كانَ أَو قَصيراً ؛ وأَقصرُ الأَظماءِ ظمْءُ الحمارِ ؛ والعربُ تقولُ لِمن أَدبرَ وَتَوَلَّى ، وَلم يَبقَ من عُمرِهِ إِلَّا اليَسير : ما بقيَ منه إِلَّا قدرُ ظمْءِ الحمارِ .

ويُروىٰ أَن مَرْوان بن الحكم قال في الفِتنةِ : الآنَ حين نَفَدَ عُمري ، ولم يبقَ منهُ إِلَّا مثلُ ظِمْءِ الحِمارِ ،

---

(١) ليس البيت في « ديوان ذي الرمة » ، وهو بلا نسبة في « اللسان » «سوا».
(٢) بلا نسبة في « البيان » ٢/ ١٩ ، و« اللسان » « سوا » .
(٣) الميداني ٢/ ١٢٦، « المستقصي » ١/ ٢٨٤ ، «الدرة الفاخرة» ٣٥٢، « جمهرة العسكري » ٢/ ١٣٠ .

صِرْتُ أَضربُ الجيوشَ بَعضاً ببعضٍ !.

وقال[١] سعيدُ بن العاص لعمَّار بن ياسر رضي الله عنهما : كُنَّا نَعُدُّكَ من أَفاضلِ الصَّحابةِ حتى إِذا لم يبقَ من عُمرِك إِلَّا ظِمْءُ الحمارِ فَعلتَ وَفعلتَ وَفعَلتَ ! فقال : أَيّمَا أَحبُّ إليك ؟ مَوَدَّةٌ على دَخَنٍ، أَو مُصارمَةٌ جميلةٌ؟ فقالَ: لِلّهِ عليَّ أَلّا أُكلِّمكَ أبداً.

٥٧٠ ـ صَبْرُ الحمارِ : قيلَ لِبُزُرِجمَهْرَ[٢] : بِمَ أَدركتَ ما أَدركتَ ، من العلوم ، ؟ قال : بِبُكورٍ كَبُكورِ الغُرابِ ، وَصَبرٍ كَصبرِ الحمارِ ، وَحِرصٍ كحِرصِ الخِنزيرِ .

وإِنَّما ضُربَ المثلُ في الصَّبْرِ بالحمارِ لِصَبرِهِ على الخَسْفِ ، وَقِلَّةِ التَّفَقُّدِ ، وهذا من أَمثالِ العَجمِ[٣] ؛ وأَمَّا العَربُ فإِنَّها تقولُ : أَصبرُ من ذي حاجَةٍ ، وأَصبرُ من عَوْدٍ بِدَفَّيْهِ جُلَبٌ[٤] .

---

(١) الخبر في « عيون الأخبار » ٣/ ١١١ ، و« المعارف » ٥٥٠ ، وفيهما : وقال سعد بن أبي وقاص .

(٢) « التوفيق » ٧٨ ، « عيون الأخبار » ٢/ ١٢٣ ، « مروج الذهب » ٤/ ٣٧٤، «تلخيص المتشابه» ١/ ٥٧٧، «الدرة الفاخرة» ٦٢ .

(٣) وتقول العرب : أصبر من حمار . الميداني ١/ ٤١٧ .

(٤) الميداني ١/ ٤٠٨ ، « المستقصى » ١/ ٢٠٣ . والعَوْد : الجمل=

٥٧١ ـ وَلَـد الحمـارِ : مـن أَمثـالِ العَـربِ عـن أَبي عَمرو[١] : أَخلفُ من وَلد الحمارِ ؛ يُريدونَ به البغْلَ ؛ لأنَّه لا يُشبِهُ أَبَاه ولا أُمَّه .

٥٧٢ ـ ذَنَبُ الحمارِ : يُضربُ مثلًا لما لا يزيدُ ولا ينقصُ ، فيقالُ[٢] : ماهُوَ إِلَّا ذَنبُ الحمارِ .

وكان أَبو بكر الخُوارزميّ يقولُ : فلانٌ كإيمانِ المُرْجِىءِ ، وذَنَبِ الحمارِ .

٥٧٣ ـ سَنَةُ الحمارِ : العربُ تقولُ لِسَنَةِ المئة من التَّاريخ : سَنةُ الحمارِ . وأَصلُها من حَديثِ حِمار عُزَيرٍ وَموتِه مع صاحبه مِئَةَ سنة ، وإحياء الله تعالىٰ إِيَّاهما ، كما قال الله تَعالى : ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [٢سورة البقرة/ الآية : ٢٥٩] .

وإِنَّما قيلَ لمروان بن محمد : مَروان الحِمار ، لأَنَّ

= المسنّ . والجُلَب : آثار الدَّبر .

(١) الميداني ١/ ٢٥٣ ؛ « المستقصى » ١/ ١٠٩ ، « الدرة الفاخرة » ١٧٩ ، « جمهرة العسكري » ١/ ٤٣٤ .

(٢) « التمثيل والمحاضرة » ٣٤٤ .

على رَأْسه ٱستُكملَ مُلْكُ بَني مَروان مئة عامٍ ، فَصارت سنَةُ الحمارِ ٱسماً لكلٍّ مئة عامٍ .

وسمعتُ أَبا النصر العُتْبيّ يقولُ : عُرِض على بَعضِ الأُدباءِ حِمارٌ أَرادَ ٱبتياعَهُ فَوَجَده مُسِنّاً ، فقال : أَرى هذا الحمار وُلدَ قبلَ سَنَة الحمار .

٥٧٤ ـ صُوف الحمارِ : يُضربُ به المَثَلُ في العُسْرةِ والنَّكَدِ ، فَيقالُ : أَنْكَدُ من صُوفِ الحمارِ ، كما يُذكرُ صُوفُ الكَلبِ في القِلَّةِ والعُسْرَةِ ، فَيقالُ : أَعسرُ من صُوفِ الكَلْبِ .

٥٧٥ ـ خاصي العَيْرِ : من أَمثالِ العَربِ : جاءَ فلانُ كخَاصي العَيْرِ ؛ إِذا جاءَ مُستَحيياً ، لأَن خاصي العَير تَقَعُ يداهُ عل مَذاكيرِهِ .

وَقَد ضَرَبَ أَبو خِراش الهُذَليّ مثلًا به في شِعْرٍ لهُ لَستُ أَستحضِرُهُ [١] .

(١) في قوله :

فجاءَت كخاصي العَير لم تَحْلَ
ولا عاجَةً منها تَلوحُ على وَشْمِ

[« ديوان الهذليين » ١٢٩/٢] . الجاجة : خرزة من رديء الخرز . والعاجة : ذَبْلَة . يقول : ليست بموشومة ولا مزيَّنة .

٥٧٦ ـ عِكْمَا العَيْر : من أَمثالِ العَرَبِ[1] : وَقَعا كَعِكْمَيْ عَير؛ إِذا وَقَعا مُتساوِيَين ؛ قال ذلك الأصمعيُّ ؛ وأَصله أَن يُحَلَّ عن العَيْرِ حِبالُهُ فَيَسقُطَ عِكْماهُ معاً .

وَيُقال : هما عِكْمَا عَيْرٍ مثلان ؛ كما يُقالُ : (هما) كَرُكبَتَي البَعيرِ .

انتهى النقل من « ثمار القلوب » .

* * *

ومما يمكن أن يضاف لما سبق :

ذو الحِمار: وهو الأسود العَنْسِيّ عَيْهَلَة بن كعب المِذْحجي، قُتِل في سنة ١١ هجرية، متنبِّيءٌ كَذَّاب مُشَعوِذ من أهل اليَمن؛ كان له حِمارٌ أَسْوَدُ مُعَلَّمٌ، يَقُولُ له: اسْجُدْ لِرَبِّكَ، فَيَسْجُدُ لَهُ، وَيَقُولُ: ٱبْرُكْ، فَيَبْرُك. لِذَلِكَ قيل له : ذو الحِمار.

حوق الحمار: لقب الفرزدق.

سَمّ الحمار: الدِّفْلَىٰ.

بنات الأَكْدَر: حَميرُ وَحْش منسوبةٌ إلى فحل منْها.

حمار صِدْق: أو ذو شِدَّة.

* * *

(١) الميداني ٢/ ٣٦٤ ؛ والعِكم : العِدْل ؛ و« الحيوان » ٣/ ١٠ ، و« فصل المقال » ١٩٨ ، و« جمهرة العسكري » ٢/ ٣٣٦ .

ومما استعمل إضافة لاسم الحمار أسماء بعض النباتات ، فمما ورد منها في «الموسوعة في علوم الطبيعة» :

٧٦٤ ـ أُذُن الحِمار ، أُنوشْمَا Onosma echioides (S). Onosma (F). Hairy onosma (E). Sandlotwurz (D). Borrana salvatica, Onosma (I).

نبات عشبي بري معمر من سبط الأنشوصيات وفصيلة الحمحميات . منبته الجرود العالية . أوراقه سنانية زغبية لاطئة . أزهاره قنابية صفراء اللون ، عنقودية التجميع . ينبت عادة في الأماكن الجافة . رائحته كريهة فواحة .

٩٠٩٩ ـ خَسّ الحِمَار Alkanna tinctoriale. Alkanet (E).

هو الكنهان، اطلبه.

١٢٤١١ ـ كنَهـــان، لُبَيْـــد Alkanna orientalis (S)> Alkanna, Alcanne, Alcan, Gremil a fleurs jaunes (F). Yellow bugloss. yellow gromwell (E). Orientalische Perlhirse (D). Al-canna (I).

جنس نبات عشبي بري من فصيلة الحمحميات. أوراقه ضيقة مستطيلةً نصلها خملي البشرة. أزهاره صغيرة القد بيضاء اللون. بزوره مستديرة ، حنطية قاسية كالحجر ، تدر البول وتفيد الهضم وتنشط الإيلاع وتذيب

البلغم. أنواعه عديدة، أعطانها الجرود والبقاع الداخلية.

٢٤١١٢ ـ كنهان صِبَاغِي، شِنْجَار البَرّ، خَسّ الحِمَار، رِجْلُ الحَمَام

Alkanna tinctoria (S). Alkanna Tinctoriale (F).

Al-kanet (E). Alkanne (D). Alcanna spuria (I).

نبات عشبي بري من فصيلة الحمحميات يستخرج منه صباغ أحمر اللون شائع الاستعمال.

* * *

وكذلك مما استعمل إضافة لاسم الحمار أسماء في علم الفلك، فمما ورد منها في «الموسوعة في علوم الطبيعة»:

٨٣٢١ ـ حِمَار جنُوبيّ Ascellus australis.

الحمار الجنوبي نجم نير من كوكبة برج السرطان. ويدعى: حما السرطان.

٨٣٢٢ ـ حِمَار شَمَالي Ascellus borealis.

الحمار الشمالي نجم نير من كوكبة برج السرطان. ويدعى: دلتا السرطان.

* * *

وجاء في «طبقات الفقهاء الشافعية» للإمام تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، والذي هذّبه ورتّبه واستدرك عليه الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، وبيض أصوله ونقّحه الإمام أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المِزِّي، صفحة ٤٩٩ من الجزء الأول.

وعن القاضي حسين رحمهُ الله قالَ: كنتُ عندَ [أبي بكر عبد الله بن أحمد المروزي] القَفَّالِ، فأتاه رجلٌ قرويٌّ وشكا إليه أنَّ حمارَه أخذه بعضُ أصحابِ السلطانِ، فقال له القفالُ: ٱذْهَبْ فَاغْتَسِلْ، وَادْخُلِ المَسْجِدَ، وصَلِّ ركعتين، وَاسْأَلِ اللهَ تعالى أن يردَّ عليك حِمارَكَ؛ فأعاد عليه القُرويُّ كلامَه، فأعاد عليه القَفَّالُ، فَذَهَبَ القرويُّ، فَٱغْتَسَلَ، ودخلَ المَسْجِدَ وصلَّى، وكان القَفّالُ قد بَعَثَ من يردُّ حِمارَه، فلما فَرَغَ من صلاتِهِ رُدَّ الحمارُ، فلما رآه على بابِ المسْجِدِ خرج وقال: الحمدُ للهِ الذي ردَّ عليَّ حِماري؛ فلما انصرفَ سُئِل القَفَّالُ عن ذلك، فقال: أَرَدْتُ أَنْ أَحْفَظَ عَلَيْهِ دِينَهُ كي يَحْمَدَ اللهَ تعالى.

* * *

ومما جاء في « حياة الحيوان » لكمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى الدَّميري (٧٤٢ ـ ٨٠٨هـ = ١٣٤١ ـ ١٤٠٥م) :

قالَ مَسْرُوق : كانَ رَجُلٌ بالبَادِيَةِ لَهُ حِمارٌ وَكَلْبٌ وَدِيكٌ ، وكان الدّيكُ يوقِظُهم للصّلاةِ ، والكلْبُ يَحْرِسُهُم ، والحمار يَنْقلون عليه الماءَ وَيَحْمِلُ لهم خيامَهُم ؛ فجاءَ الثَّعْلَبُ فَأَخَذَ الديكَ ، فَحَزِنُوا له ، وكان الرَّجُلُ صالحاً ، فقال : عَسَىٰ أَنْ يكونَ خيراً ؛ ثُمَّ جاء ذئبٌ فخرقَ بطنَ الحمارِ فَقَتَلَهُ ، فقالَ الرَّجُلُ : عسى أَنْ يكونَ خَيْراً ؛ ثُمَّ أُصيبَ الكَلْبُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فقال : عسى أَن يكونَ خَيْراً ؛ ثُمَّ أَصْبَحُوا ذاتَ يَوْم ، فَنَظَرُوا ، فإذا قَدْ سُبِيَ مَنْ كانَ حَوْلَهُم وبَقوا سالمين ؛ وَإِنَّما أُخِذُوا أولئك بِمَا كانَ عِنْدَهُم مِنْ أصْواتِ الْكِلابِ والحميرِ وَالدِّيَكَةِ ، فكانت الخِيرَةُ في هلاكِ ما كانَ عِنْدَهُمْ من ذلك كما قَدَّرَ اللهُ سُبْحانه وتعالى ، فَمَنْ عَرَفَ خَفِيَّ لُطْفِ اللهِ رَضِيَ بِفِعْلِهِ .

وَفِي كتاب « ابتلاء الأخيار » أنَّ عِيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام لَقِيَ إِبليسَ وهو يسوقُ خَمْسَةَ أَحمرة عَلَيْها أحْمال ، فَسَأَلَهُ عَنِ الأَحْمالِ ، فَقَالَ : تِجارة أَطْلُبُ لها مُشْتَرِين ؛ قَالَ : وَمَا هِيَ التِّجارَةُ ؟ قالَ :

أَحَدُها ٱلْجَوْرُ ؛ قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ ؟ قال : السَّلاطين ، وَالثَّاني : ٱلْكِبْرُ ؛ قَالَ وَمَنْ يَشْتَرِيهِ ؟ قال : الدَّهاقِين[١] ، وَالثَّالِثُ الْحَسَدُ ؛ قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ ؟ قالَ : ٱلْعُلماء ، وَالرَّابعُ الخِيانَةُ ؛ قالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيها ؟ قَالَ : عُمَّالُ التُّجَّارِ ، وَالخامِسُ ٱلْكَيْدُ ؛ قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ ؟ قَالَ : النِّساء .

وَمِمَّا يُحْكَى مِنْ كَيْدِ النِّساءِ ومَكْرِهِنَّ ما رُوِيَ في بَعْضِ التفاسير عن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أَنَّهُ قَالَ : كانَ في بَنِي إِسْرائِيلَ رَجُلٌ ، وكان لَهُ مع اللهِ معامَلَةٌ حَسَنَةٌ ، وكانَ لَه زَوْجَةٌ ، وَكانَ ضَنِيناً بها ، وَكانَتْ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ زَمانِها ، مُفْرطةً في الجمال والحُسْنِ ، وَكَانَ يَقْفُلُ عليها البَابَ ، فَنَظَرَتْ يوماً شابّاً ، فَهَويتْهُ وَهَوِيَها ، فَعَمِلَ له مِفْتَاحاً على بابِ دَارِها ، وكانَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ ليلاً ونهاراً مَتَى شاء ، وَزَوْجُها لَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ ، فَبَقِيا على ذلك زماناً طَويلاً ، فقالَ لَها زَوْجُها يَوْماً ، وَكان أَعْبَدَ بني إسرائيل وأَزْهَدَهُم : إِنَّكِ قَدْ تغيَّرْتِ عليّ ، وَلَم أَعْلَمْ ما سَبَبُهُ ، وَقَدْ تَوَسْوَسَ قَلْبي ؛ وَقد كانَ أَخَذَها

(١) الدهاقين ، جمع دِهْقَان ، معرّب من الفارسية ، وهو زعيم الفلاحين ، والإقطاعي .

بِكْراً ، ثُمَّ قالَ لَها : وَأَشْتَهِي مِنْكِ أَنْ تحلِفي لي أَنَّكِ لَمْ تَعْرِفي رَجُلًا غَيْرِي ، وَكانَ لِبَنِي إِسرائيل جَبَلٌ يُقْسِمونَ بِهِ وَيتحاكمونَ عِنْدَهُ ، وكانَ الجَبَلُ خارِجَ المَدِينَةِ ، وَكانَ عِنْدَهُ نَهرٌ يَجْرِي ، وَكان لا يَحْلِفُ أَحَدٌ عِنْدَهُ كاذِباً إلا هَلَكَ ، فقالَتْ لَهُ : وَيَطِيبُ قَلْبُكَ إذا حَلَفْتُ لَكَ عِندَ الجَبَلِ ؟ قال : نَعَم ؛ قَالَتْ : مَتَىٰ شِئْتَ فَعَلْتُ ؛ فَلَمَّا خَرَجَ العابِدُ لقضاءِ حاجَتِهِ دخل عليها الشَّابُّ ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا جَرَى لَهَا مَعَ زَوْجِها ، وَأَنَّها تُرِيدُ أنْ تَحْلِفَ له عندَ الجَبَلِ ، وقالَتْ : مَا يُمكنُني أَنْ أَحْلِفَ كَاذِبَةً وَلا أَقُولَ لِزَوْجِي مَا أَحْلِفُ ! فَبُهِتَ الشَّابُّ وَتَحَيَّرَ ، وَقَالَ : فَمَا تَصْنَعِين ؟ فَقالَتْ لَهُ : بَكِّرْ غَداً وَٱلْبِسْ ثَوْبَ مُكَارٍ ، وَخُذْ حِماراً ، وَٱجْلسْ عَلى بابِ المدينةِ ، فَإِذا خَرَجْنَا فَأَنا آمُرُهُ يَكتَرِي مِنْكَ الحمارَ ، فَإِذا ٱكْتَراهُ مِنْكَ بادِرْ وَاحْمِلْني وَارْفَعْنِي فوقَ الحِمارِ حتّى أَحْلِفَ له وأنا صادِقَةٌ أَنَّهُ ما مَسَّنِي أَحَدٌ غَيْرُكَ وَغَيْرُ هذا المُكارِي ؛ فَقَالَ : حُبّاً وَكرامةً ؛ فَلَمَّا جاءَ زَوْجُها ، قَالَ لَهَا : قُومي بِنا إلى الجَبَلِ لِتحْلِفي به ، فقالَتْ : ما لي طاقَةٌ بالمَشْي ، فَقالَ : أُخْرُجِي ، فَإِنْ وَجَدْتُ مُكارياً اكْتَرَيْتُ لَكِ ؛ فقامَتْ وَلَمْ تَلْبَس لِباسَها ، فَلَمَّا خَرَجَ العَابِدُ وَزَوْجَتُه رَأتِ الشَّابَّ يَنْتَظِرُها ، فصاحَتْ بِهِ :

يَا مُكارِي ! أتكْرِي حِمارَكَ إِلى الجَبَلِ بِنِصْفِ دِرْهَمٍ ؟ قالَ : نعم ؛ ثُمَّ تَقَدَّمَ وَرَفَعَها على الحمارِ ، فسارُوا حتى وَصَلُوا إلى الجَبَلِ ، فقالَتْ للشَّابِّ : أَنْزِلْنِي عَنِ الحِمار حتى أَصْعَدَ على الجَبَلِ ؛ فَلَمَّا تَقَدَّم الشابُّ إِلَيها أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلى الأَرْضِ ؛ فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُها ، فَشَتَمَتِ الشَّابّ فَقَالَ : وَاللهِ ما لي ذَنْبٌ ؛ ثُمَّ مَدَّتْ يَدَها إِلى الجَبَلِ ، فَأَمْسَكَتْهُ ، وحَلَفَتْ لَهُ أَنَّهُ لم يَمَسَّها أَحَدٌ ولا نَظَر إِنْسَانٌ مِثْلَ نَظَرِكَ إِلَيَّ مُذْ عَرَفْتُكَ غَيْرُكَ وَغَيْرُ هذا المَكارِي ؛ فاضْطَرَبَ الجَبَلُ اضْطِراباً شديداً ، وَزالَ عَنْ مكانِهِ ؛ وَأَنْكَرَتْ بنو إسرائيل ذلكَ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالىٰ : ﴿ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآية : ٤٦] . انتهى .

وَحكاياتُهُنَّ في المَكْرِ والكَيْدِ لا تُحْصَىٰ ، وَحَسْبُكَ أَنَّ اللهَ تعالىٰ اسْتَضْعَفَ كَيْدَ الشَّيْطانِ ، فقال : ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٧٦] واسْتَعْظَمَ كَيْدَ النساءِ ، فقالَ : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية : ٢٨] .

وَفي كتاب « نُزْهَةِ الأبصار في أخبار ملوك الأمصار » وهو كتابٌ عظيمُ المُقْدارِ ، ولا أَعْلَمُ

مُصَنِّفَهُ ؛ أَنَّ بَعْضَ المُلوكِ مَرَّ بِغُلامٍ وهو يَسُوقُ حِماراً غَيْرَ مُنْبَعِثٍ ، وقد عَنَفَ عَلَيْهِ في السَّوْقِ ، فقَالَ : يا غُلام ! ارْفِقْ بِهِ ؛ فَقالَ الغُلامُ : أَيُّها المَلِكُ في الرِّفْقِ به مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ ؛ قالَ : وَكَيْفَ ذلِك ؟ قَالَ : يَطُولُ طَرِيقُهُ ، وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ ، وَفي العُنْفِ بِهِ إِحْسانٌ إِلَيْه ؛ قَالَ : وَكَيفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : يَخِفُّ حَمْلُهُ ، وَيَطُولُ أَكْلُهُ ؛ فَأُعْجِبَ المَلِكُ بِكلامِهِ ، وَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بألفِ دِرْهَمٍ ، فقَالَ : رِزْقٌ مَقْدُورٌ ، وواهِبٌ مشْكورٌ ؛ قالَ المَلِكُ : وَقَدْ أَمَرْتُ بإِثباتِ اسْمِكَ في حَشَمي ؛ قالَ : كُفِيتُ مَؤونةً ، وَرُزِقْتُ مَعونَةً ؛ فَقالَ لَهُ المَلِكُ : عِظْنِي ! فإِنِّي أَراكَ حَكِيماً ؛ فَقالَ : أَيُّهَا المَلِكُ إِذَا اسْتَوَتْ بِكَ السَّلامَةُ فَجَدِّدْ ذِكْر العَطَبِ ، وَإِذَا هَنَّأَتْكَ العَافِيَةُ فَحَدِّثْ نَفْسَكَ بالبلاءِ ، وَإِذا اطْمَأَنَّ بك الأَمْنُ فَاسْتَشْعِرِ الخَوْفَ ، وَإِذا بَلَغْتَ نِهايَةَ العَمَلِ فَاذْكُرِ المَوْتَ ، وَإِذا أَحْبَبْتَ نَفْسَكَ فلا تَجْعَلَنَّ لها في الإساءة نَصيباً ؛ فأُعْجِبُ المَلِكُ بكلامِه ، وَقالَ : لَوْلا أَنَّكَ حَدِيثُ السِّنِّ لاسْتَوْزَرْتُكَ ؛ فَقالَ : لَنْ يَعْدَمَ الفَضْلَ مَنْ رُزِق العَقْلَ ؛ قَالَ : فَهَلْ تَصْلُح لذلك ؟ قالَ : إِنَّما يَكونُ المَدْحُ والذَّمُّ بَعْدَ التَّجْرِبَةِ ، ولا يعرفُ الإنسانُ نَفْسَهُ حتى يَبْلُوهَا ؛ فاسْتَوْزَرَهُ ، فَوَجَدَهُ ذا رأي صائِبٍ ،

وَفَهْمٍ ثاقِبٍ ، وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوْقِعَ التَّوفِيقِ .

وَفي هذا الكتاب دُعاباتٌ ، فمِنْها أَنَّ الرَّشِيدَ خَرَجَ إلى الصَّيْدِ ، فانفَرَدَ عَنْ عسْكرِهِ وَالفَضْلُ بن الرَّبيع خَلْفَهُ ، فإذَا هو بِشَيْخٍ كبيرٍ راكِبٍ على حمارٍ ، فَنظَرَ إِلَيْهِ ، فَإذا هو رَطْبُ العَيْنَينِ ، فَغمَزَ الفَضْلَ عَلَيْهِ ، فقال لَهُ الفَضْلُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قالَ : حَائِطاً لي ؛ قالَ : هَلْ لَكَ أَنْ أَدُلَّكَ على شَيْءٍ تُداوِي بِهِ عَيْنَيْكَ ، فَتَذْهَبُ تلك الرُّطوبَةُ ؟ فقالَ : ما أَحْوَجَني إِلىٰ ذلك ؛ فَقَالَ له : خُذْ عِيدانَ الهَواءِ ، وَغُبارَ الماءِ ، وَوَرَقَ الكَمْأَةِ فَصِرُّهُ فِي قِشْرَةِ جَوْزَةٍ ، وَاكْتَحِلْ بِهِ ، فَإِنَّهُ يذْهَبُ رُطوبَةَ عَيْنَيْكَ ؛ فَاتَّكأَ الشَّيْخُ على قَرَبوسِ سَرْجِهِ وضَرَط ضَرْطةً طَويلَةً ، ثُمَّ قالَ : هذه أُجْرَةٌ لِوَصْفِكَ ، وَإِنْ نَفَعَنا الكحْلُ زِدْناك ؛ فَضَحِكَ الرَّشيدُ حتى كادَ يَسْقُطُ عن دابَّتِه .

وفي كِتاب « نشوار المحاضرة » : قالَ ذو النون بن موسى : كنت غلاماً وَالمُعْتَضِد إذْ ذاك بِكُوَرِ الأَهْوازِ ، فَخَرَجْتُ يَوْماً من قريةٍ يقال لها : سانطف ، أُريدُ عَسْكَر مُكَرَّم ، وَمَعِي حماران ، واحِدٌ راكِبُه والآخَرُ عليه حِمْلٌ مِنَ البِطِّيخ ؛ فَمَرَرْتُ بعَسْكَرِ المعْتَضِد وَأنا لا أعلم مَنْ هُوَ ، فَأَسْرَعَ إِلَيَّ جماعَةٌ

مِنهُمْ ، فَأَخَذَ وَاحِدٌ مِنْهُم مِنَ الحِمْلِ ثلاث بِطِّيخات أو أَرْبَعة ، فَخِفتُ أَنْ يَنْقص عَلَيَّ عَدَدُهُ فأُتَّهَمَ بِهِ ، فَبَكَيْتُ وَصِحْتُ وَالحمار يَسيرُ على المَحَجَّةِ والعَسْكَرُ مُجْتازٌ عليّ ، وَإِذا بِكَبْكَبةٍ عَظِيمةٍ يقدمها رَجُلٌ مُنْفَرِدٌ ، فوَقَفَ وَقال : مَا لكَ يا غُلامُ تَبْكِي وتَصِيح ؟ فعرَّفْتُهُ الخَبَرَ ، فَوَقَفَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىٰ القَوْمِ ، وَقالَ : إيه ! عليَّ بِالرَّجُلِ السَّاعَةَ . قالَ : فجيءَ بِهِ في أَسْرَعِ مِنْ طَبَقِ البَصَرِ ، حتَّىٰ كَأَنَّهُ كانَ وراءَ ظَهْرِهِ ، فقالَ : هُوَ هَذا يَا غلام ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بالمقارِع وَهُوَ واقِفٌ وَأنا راكِبٌ على حِمَارِي وَالعَسْكَرُ واقِفٌ ، وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ وهو يُضْرَبُ : يَا كَلْبُ ! أَمَا كَانَ مَعَكَ ثمنُ هَذا البطِّيخ ؟ أَمَا قَدِرْتَ أَنْ تَمْنَعَ نَفْسَكَ مِنْهُ ؟ أَهُوَ مالُكَ أَوْ مَالُ أَبيك ؟ أَلَيسَ صاحِبُه أَتْعَبَ نَفْسَهُ وَأَجْهَدَها في زَرْعِهِ وَسَقْيِهِ وَأَداءِ خَراجِهِ ؟ وَالمَقارِعُ تَأْخُذُهُ حَتَّىٰ ضُرِبَ مِئَةَ مَقْرَعَةٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لي بأَرْبعةِ دنانيرَ ، وسار ، وَأَخَذَ الجيشُ يَشْتُموني ويقولونَ : ضُرِبَ القائِدُ الفُلانِيُّ بسَبَبِ هذا مِئَة مقرعة ، فَسَأَلْتُ بَعْضَهُم ، فَقَالَ : هذا أمير المؤمنين المُعْتَضِد .

وَفي كتاب « الأذكياء » لابن الجوزيّ ، عن الجاحِظِ ، أَنَّهُ قال : قال ثُمَامةُ بنُ أَشرس : دَخَلْتُ

على صَدِيقٍ لي أعودُهُ وَتَرَكْتُ حماري على البابِ ، ولَمْ يَكُنْ مَعي غلامٌ يَحْفَظُهُ ، فلمَّا خَرَجْتُ إذا فوقَهُ صَبيٌّ يَحْفَظُهُ ، فَقُلْتُ : أَرَكِبْتَ حِمَارِي بِغَيْرِ إِذْنِي ؟ فقال : خِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ فَحَفِظْتُهُ لكَ ، قُلْتُ : لو ذَهَبَ لكانَ أَعْجَبَ إِليَّ مِنْ بَقائِهِ ؛ فَقَالَ : إن كَانَ هَذَا رَأْيُكَ في الحمارِ ، فَقَدِّرْ أَنَّهُ ذَهَبَ وَهَبْهُ لي وَٱرْبَحْ شُكْرِي ؛ فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ .

وَفي تاريخ ٱبْنِ خَلِّكان في تَرْجَمَةِ الحاكم العُبَيْدِيّ : إِنَّ الحاكِمَ بأمْرِ الله كان له حِمارٌ أَشْهَبُ يُدَّعَى بقَمَرٍ ، يَرْكَبُهُ ، وكان يحبُّ الانفرادَ والركوبَ وحْدَهُ ، فخرج راكباً حمارَهُ ليلةَ الاثنين سابع عشر شوّال سنة إحدى عشرة وأربع مئة إلى ظاهِرِ مِصْرَ ، وطافَ لَيْلَتَهُ كُلَّها ، وَأَصْبَحَ مُتَوَجِّهاً إِلى شرقيِّ حلوان ومعه راكبان ، فأَعَادَ أَحَدَهُما ، ثم أَعادَ الآخر ، وبقي الناس يخرجون يلتمسون رجوعَهُ ومَعَهُم دواب المَوْكِب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ، ثم خرج ثاني القعدة جماعَةٌ من الموالي والأتراك ، فأمعنوا في طَلَبِهِ ، وفي الدخول في الجَبَلِ ، فرأوا حمارَهُ الأشْهَب الذي كان راكباً عَلَيْهِ وهو على قرنة الجبل وقد ضُربَتْ يَداه ورِجْلاه بسَيْفٍ وَعَلَيْهِ سَرْجُهُ

ولجامُهُ ، فَتَبِعُوا الأثر ، فإذا أَثَرُ حمارٍ وأَثَرُ راجلٍ خَلْفَهُ وراجِلٍ قُدَّامَهُ ، فقَصُّوا الأَثَرَ إلى البِرْكَةِ التي في شَرْقَيّ حلوان ، فنَزَلَ فيها رَجُلٌ ، فَوَجَدَ فيها ثيابَهُ ، وهي سبع جباب ، ووُجِدَتْ مَزْرورة لم تُحَلّ أَزْرارُها ، وَفيها آثارُ السَّكاكين ، فَحُمِلَتْ إلى القَصْرِ ، ولم يَشُكُّوا في قَتْلِهِ ، غَيْرَ أَنَّ جماعَةً من المُغالِين في حُبِّهم له السَّخِيفي العَقْلِ يَدَّعون حياتَهُ ، وَأَنَّهُ سَيَظْهَرُ ، وَيَحْلفون بغيبَةِ الحاكِمِ . وَيُقالُ : إنّ أُخْتَهُ دَسَّتْ عَلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ ، وَكانَ الحاكِمُ جَواداً بالمالِ ، سَفَّاكاً للدِّماءِ ، وكانَتْ سِيرتُهُ عَجَباً ، يَخْتَرِعُ كُلَّ يَوْمٍ حُكْماً يحملُ النَّاسَ عَلَيْهِ ، فمن ذلك أَنَّهُ أَمَرَ النَّاسَ سنة خمس وتسعين وثلاث مئة بِكَتْبِ سَبِّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم في حيطان المساجِد والقَيَاسِر والشَّوارِع ، وكَتَبَ إلى سائِرِ الديار المِصْرِيّة يأمرهم بالسَّبِّ ، ثم أمر بقَطْع ذلك سنة سبع وتسعين ، وأَمَرَ بِضَرْبِ من يَسبّ الصحابَةَ وتأديبه ؛ وَأمَر بقَتْلِ الكِلابِ فلم يُرَ كَلْبٌ في الأَسْواقِ وَالأَزِقَّةِ إلا قُتِلَ ، وَنَهى عن بَيْع الفُقَّاع والملوخيا ، ثم نهى عن بيع الزَّبيبِ قَليلِهِ وكَثيرِهِ ، وجمع جُمْلَةً كثيرةً ، وأُحْرِقَتْ ، وَأنفقوا على إحراقها خمس مئة دينار ، ثم نَهى عن بَيْع العِنَبِ أَصْلًا ، وأَلْزَمَ اليهودَ والنَّصارى أن

يَتَمَيَّزوا في لباسِهم عن المسلمين في الحمّامات وخارِجِها ، ثم أَفردَ حمّاماً لليهود وحمّاماً للنَّصارى ، وأَلْزَمَهُمْ أن لا يركبوا شيئاً من المراكِبِ المُحلاّةِ، وأن تكون ركبهم من الخَشَبِ ، وأن لا يَسْتَخْدِموا أحداً من المسلمين ، ولا يَرْكَبوا حماراً لِمَكارِي مُسْلِمٍ ولا سفينةً نواتِيُّها مسلمون ، وأَمَرَ بهدم القُمامَةِ في سنة ثمان وأربع مئة وجميع الكنائس بالدِّيار المِصْريَّةِ ، ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لَها من الأحباس لجماعَةٍ من المسلمين ، وأمر أن لَا يتكَلَّم أَحَدٌ في صناعة النجوم ، وأن يُنْفَى المُنَجِّمون من البلاد ، وكذلك أصحاب الغناء ، وَمَنَعَ النساءَ من الخروجِ إلى الطرقات ليلاً ونهاراً ، ومَنَعَ الأساكِفَةَ من عَمَلِ الأَخفاف للنِّساءِ ، ولم تزل النساء ممنوعات من الخروج إلى أيام وَلَدِه الظاهر مدّة سبع سنين ، ثم أمَرَ ببِناءِ ما كان هُدِمَ من الكنائِس وَرَدِّ ما كان قد أُخِذَ من أَحْباسِها . وحلوان مدينَةٌ كثيرةُ النُّزَهِ فوقَ مِصْرَ بخَمْسَةِ أميال، كان يَسْكُنهَا عبدالعزيز ابن مروان ، وبها تُوفِّيَ ، وبها وُلِدَ ولدُهُ عمر بن عبد العزيز . انتهى .

قلت : وفي قوله : ليلة الاثنين سابع عشر ، وقوله : إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور نظر ظاهِرٌ ؛ والله أعلم .

وفي «رسالة القشيريّ» في باب كرامات الأولياء : سَمِعْتُ أبا حاتم السّجِسْتانيّ ، يقولُ : سَمِعْتُ أبا نصر السَّرَّاج يقول : سَمِعْتُ الحسين بن أحمد الرَّازِيّ ، يقولُ : سمعت أبا سُلَيْمان الخَوّاص ، يَقولُ : كُنْتُ راكباً حماراً يوماً ، وَكان الذُّبابُ يُؤْذِيهِ ، فَيُطَأْطِىءُ رأسَهُ ، وكُنْتُ أَضْرِبُ رأسَهُ بخَشَبَةٍ في يَدِي ، فَرَفَعَ الحمارُ رأسَهُ إليّ ، وَقالَ : اضرب ، فَإِنَّكَ هَكَذا عَلَىٰ رَأْسِكَ تُضْرَبُ ؛ قالَ الحُسَيْنُ : فَقُلْتُ لأبي سُلَيْمان : لَكَ وَقَعَ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ كَمَا تَسْمَعُني .

تذنيب : رَوَىٰ البَيْهقِي في «الشُّعَبِ» ، عن ٱبْنِ مسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ ، أَنَّهُ قالَ : كانَتِ الأَنْبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام يَرْكَبُونَ الحُمُرَ ، وَيَلْبَسونَ الصُّوفَ ، وَيَحْلِبُون الشَّاةَ .

وكانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ حِمارٌ اسْمُهُ عُفَيْر ، يَعْنِي : بِضَمِّ العين المهملة ، وضبطه القاضي عِياض بالغَيْن المعجمة ، وقَدِ اتَّفَقُوا على تغليطِه . أَهْداهُ له المُقَوْقِسُ ، وَكانَ فروة بن عَمْرو الجُذَامِيّ أَهْدَىٰ له حِماراً يُقالُ لَهُ : يَعْفور . مَأْخوذان ، من العَفْرَةِ ، وهو لون التُّراب . فَنَفَقَ يَعْفُور في مُنْصَرَفِ النبيِّ ﷺ

من حَجَّةِ الوَداع . وَذَكر السُّهَيْليّ أَنَّ يَعْفُوراً طَرَحَ نَفْسَهُ في بئرٍ يَوْمَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ . وَذَكَرَ ابنُ عساكر في « تاريخِهِ » بسَنَدِهِ إلى أَبي مَنْصورٍ ، قالَ : لَمَّا فَتَح النبيّ ﷺ خَيْبَراً أَصابَ حماراً أَسْوَدَ ، فَكَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ الحمارَ ، فَقَالَ لَهُ : ما اسْمُكَ ؟ قال : يَزيدُ بنُ شِهابٍ ، أَخْرَجَ اللهُ من نَسْلِ جَدِّي سِتّين حماراً لا يركبها إِلَّا نَبِيٌّ ، وقد كُنْتُ أَتَوَقَّعُك لِتَرْكَبَني ، ولم يَبْقَ من نسل جَدِّي غَيْرِي ، ولا مِنَ الأَنْبياءِ غَيْرك ، وقد كُنْتُ قَبْلَكَ عِنْدَ رَجُلٍ يهوديٍّ وَكُنْتُ أَتعَثَّرُ بِهِ عَمْداً ، كانَ يُجيعُ بَطْنِي ، وَيَرْكَبُ ظَهْري ، فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « فَأَنْتَ يَعْفُورٌ ، يَا يَعْفُورُ !تَشْتَهِي الإِنَاثَ ؟ » قالَ : لا ، فكانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْكَبُهُ في حَاجَتِهِ ، وَكَانَ يَبْعَثُهُ خَلْفَ مَنْ شَاءَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَيَأْتِي الْبَابَ ، فَيَقْرَعُهُ بِرَأْسِهِ ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَيْهِ صاحِبُ الدَّارِ أَوْمَأَ إِلَيْهِ ، فَيَعْلَمُ أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، فَيَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ جاءَ إِلىٰ بِئْرٍ كانَتْ لأبي الهَيْثَم بن التَّيِّهان ، فَتَرَدَّىٰ فيها جَزَعاً على رَسُولِ الله ﷺ ، فكانَتْ قَبْرَهُ . قالَ الإمام الحافِظ أَبُو مُوسى : هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدّاً إِسناداً وَمَتْناً ، لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَرْوِيَهُ إِلَّا مَعَ كلامي عَلَيْهِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ السُّهَيْليّ في

« التعريف وَالإِعْلام » في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية : ٨] .

وفي «كاملِ ابن عَدِيّ» في ترجمة أحمد بن بشير، وفي « شعب الإيمان » للبَيْهَقيّ ، عن الأعمش ، عن سَلَمة بن كُهَيْل ، عن عطاء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « تَعَبَّدَ رَجُلٌ في صَوْمَعَةٍ ، فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ ، وَأَعْشَبَتِ الأَرْضُ ، فَرَأَىٰ حِماراً لَهُ يَرْعَىٰ ، فقَالَ : يَا رَبِّ ، لَوْ كَانَ لَكَ حِمَارٌ لَرَعَيْتُهُ مَعَ حِمَارِي ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيّاً مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ ، فَأَرادَ أَنْ يَدعُوَ عَلَيْهِ ، فَأَوْحَىٰ ٱللهُ إِلَيْهِ : إِنَّمَا أُجَازِي عِبَادِي عَلَىٰ قَدْرِ عُقُوْلِهِمْ » . وَهُو كَذَلِكَ في « الحِلْيَةِ » لأَبِي نُعَيْم ، في تَرْجَمَةِ زَيْد بن أسلم .

وَرَوَىٰ ٱبْنُ أَبِي شَيْبَةَ في « مُصَنَّفِهِ » ، وَالإمام أَحْمد في «الزُّهْدِ» عَنْ سُلَيْمان بن المغيرةِ، عن ثابِتٍ، قالَ : قيلَ لِعِيسَىٰ ٱبْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السَّلام : يَا رَسُولَ الله ! لَوِ اتَّخَذْتَ لَكَ حِماراً تَرْكَبُهُ لِحَاجَتِك ؟ فَقَالَ : أَنا أَكْرَمُ عَلىٰ الله مِنْ أَنْ يَجْعَلَ لي شَيْئاً يَشْغَلُني عَنْهُ .

* * *

ومن الذين ذكروا الحمار في كتبهم ورثوه ووصفوه أحمد فارس الشدياق رحمه الله ، فإنه ذكر أولًا كيف كانت حياته مع الحمار عندما عمل بائعاً للبضائع على ظهر حمار ، فوصف الحمار على أساليب الأدباء العرب وعلى أساليب الفرنجة ؛ في الفصل السابع من الكتاب الأول من كتابه : « **الساق على الساق** » ؛ ورثا حماره عند نفاقه في الكتاب نفسه في الفصل السابع عشر من الكتاب الثاني . وهاهما الفصلان :

الفصل السابع من الكتاب الأول
في حمار نَهَّاق وسفر وإخفاق

ثم لَبثَ الفارياقُ يتعاطى حِرْفتَهُ الأُولىٰ ، وملَّ منها مَلَل العليل من الفراش ، وكان له صديق صدوق يراقب أَحوالَه ، فاجتَمَعَ به مرةً وخاضا في حديث أفضىٰ إلى ذكر المعاش ، والتَّظاهُرِ بين النَّاس بأحسن الرياش[١] ؛ فقَرَّ رأيُ كلٍّ منهما على أن الإنسان في عصرهما لا يُعدُّ إنساناً بفضله ومزيَّتِهِ ، بل ببزَّتِه وزينَتِه ؛ وأنَّ الناس المولودين من الخَزِّ والحرير والقطن والكَتَّان المعلَّقين

---

(١) « الرياش » : اللباس الفاخر .

في أوْتاد حوانيت التجّار أعظمُ قَدْراً من الناس الماشِين العارِين عنها . وأنَّ المرءَ إذا كان ضيِّقَ الصَّدْر والرأسِ بحيث يكون واسع السَّراويلات واللباس ، كان هو النَّبِهُ[١] الآفِقُ[٢] المشارُ إليه بالبَنان[٣] ، المحمود بكلِّ لسان ؛ فأجْمَعا رأيَهُما على أنَّ يستَبْضِعا بِضاعةً ويقصدا ترويجَها في بعض البلاد استطلاعاً لحالِ أهلها ، وتفرّجاً من كُرَبِ بالِهما ؛ فاكْتَرَيا حِماراً لحَمْلِ البضاعة ، وهو لا يستطيع حَمْل جثَّتِهِ من الهُزال والضَّوَىٰ[٤] فضلًا عن عِلاوته[٥] ؛ ولم يَكُنْ قد بَقِيَ فيه شيءٌ شديدٌ سوى نُهاقه[٦] وزُعاقه[٧] ؛ فالأوَّلُ : للاستعلاف ، والثاني : لِمَنْ يَنْخَسُه[٨] أو يلقي عليه الإِكَاف[٩] ؛ ثم سارا وهما

---

(١) « النَبِه » : الفَطِن .

(٢) « الآفِق » : الكريم والعالم ، والبالغ الغاية في كل وجميع الفضائل .

(٣) « البَنان » : الأصابع .

(٤) « الضَّوَى » : دِقَّة العظم ، وقلّة الجسم خِلقةً ، أو الهزال .

(٥) « العِلاوة » : ما وضع بين العِدْلَيْن .

(٦) « النُّهاق » : صوت الحمار .

(٧) « الزُّعاق » : الصياح .

(٨) « النَّخْس » : غرز مؤخر أو جَنْب الدابة بعود ونحوه .

(٩) « الإِكاف » : البَرْذَعة .

يُفَصِّلان ثوبَ النجاح على قامَةِ الآمال ، ويقدِّران بساط الفَوْز على نُدْحَة[١] الآجال ؛ فما بلغا طِيَّتَهما[٢] إلا والحمارُ على شفا جُرُفٍ هارٍ من رَمَقه ، والفارياقُ أيضاً زاهِقُ الرُّوح من تعبه وقَلَقِه ؛ نادِمٌ على تركِ القلم الضئيل ، مع ما كان يَنْفُثُ به من الرِّزْق القليل ؛ ويومَئذٍ عَرَفَ عاقبةَ الجَشَع ، وتَبِعَةَ الرَّثَع[٣] ؛ وظَهَرَ له سَفاه رَأْيِه في الشَّرَاهَةِ إلى ما يوجبُ نَصَبَ الأبدان ، وبَلبال الجَنَان ؛ غيرَ أنَّ اللبيبَ مَنِ استخرجَ منْ كلِّ مَضرَّةٍ منفعةً ، ومِن كلِّ مفسدةٍ مصلحةً ؛ حتّى إنّ في فَقْد الصحَّةِ لنفعاً لِمَن رشَدَ ، وخيراً لمَنْ قَصَدَ ؛ إذِ العليلُ وهو ممدود على وِسادِهِ ، تقصر نفسُهُ عن التمادِي في فسادِهِ ؛ وفي شهواته المُنْكَرة ، وأهوائه الْمُوبِقَة ؛ فتقْوَى بصيرَتُهُ والمرضُ ناهِكُه ، ويملك سدادَه والألم مالِكُه ، ويُرضي اللهَ والناسَ بما هو سالِكُه .

وهكذا كانَتْ حالُ الفارياق ، بعد مقاساتِه تلك المشاقّ ؛ فإنَّه لمّا أحسَّ بضَنْكِ[٤] السَّفرِ ، ولَقِيَ منه

---

(١) « النُدْحة » : السَّعَة .

(٢) « الطيّة » : الهدف من قطع البلاد والسفر .

(٣) « الرَّثَع » : الشَّرَه والحِرْص والطَّمَع .

(٤) « الضَّنْك » : الضِّيق في كلِّ شيء .

مالَقِيَ من الضَّرَرِ ؛ تبيَّن له أنَّ شَقَّ القلمِ أوسَعُ من حقائب البيَّاعة ، وأنَّ سوادَ المِدادِ أبْهى من ألوان البِضاعَة ؛ وأنَّ في ترويج السِّلْعَة[١] ، لمَعرَّةً دونها معرّة الغُدَّة[٢] والسِّلْعَة[٣] ؛ فجزم بأنَّه عند الإياب إلى وطَنِه ، يرضى بلِينِ العَيْش وخَشِنِه ؛ ولا يبالي إنْ لَمْ يكُنْ ذا شارة رائعة ، أو طَلالة[٤] رافِعَة ، أو معيشة واسعة ؛ بحيث لا يجوبُ أمصاراً ، ولا يتْلو حماراً .

أمّا وصْفُ الحمارِ على أسلوبِنا معاشر العرب ، فإنَّه كان زَبُوناً[٥] بَلِيداً ، حَروناً[٦] عَنِيداً ، تارِزاً[٧] قَدِيداً[٨] ؛ لا يكاد يَخْطو إلّا بالهَرَاوَة ، وإذا رأى نقطةَ ماءٍ في الأرْضِ ظنَّها بحراً ذا طُفَاوَة[٩] ؛ فأجفلَ[١٠] منها

---

(١) « السِّلْعَة » : المتاع .
(٢) « الغُدَّة » : كلُّ عُقْدَة في الجسد أطاف بها شحم .
(٣) « السِّلْعَة » : الغُدَّة ، أو زيادة في البَدَنِ ، أو خَرَّاج في العنق .
(٤) « طَلالة » : الشاخص من كلّ شيء ، وخاصة الدار .
(٥) « الزَّبون » : الدَّفوع .
(٦) « الحَرون » : الذي إذا استُدِرَّ جَرْيُهُ وقَفَ .
(٧) « التارز » : اليابس لا روح فيه ، والمَيْت .
(٨) « القَديد » : استقام على وجهٍ واحدٍ .
(٩) « الطفاوة » : ما علا الماء من زَبَدٍ .
(١٠) « الجفل » : الإسراع ، الذهاب في الأرض .

إجْفال النَّعَام ، ووَجَلَ كما يُوجَلُ من الْحِمَام[١] .

وأمّا على الطريقة الإفرنجية ، فإنَّه كانَ حماراً وَلَدَ حمارٍ ، وأمُّه أتانٌ من جيلٍ كلّهم حمير ، وكان لـونُـهُ يضـرب إلـى السـوادِ ، ومـسُّ شَعْـرِه كمـسِّ القَتـادِ[٢] ؛ مصلَّـمُ الأُذنَيْـن[٣] ولا نَشَـاط ، أعْسَـمُ الرِّجْلَيْن[٤] بادي الإمعاط[٥] ؛ أَدْرَم[٦] أفْوَه[٧] ، أَدْلَـم[٨] أقْره[٩] ؛ يُفَرْكِحُ[١٠] في بَسِّه[١١] ، ويَرفسُ[١٢] عند

---

(١) « الحِمَام » : المَنيّة .

(٢) « القَتَاد » : شجر صلب له شوكة كالإبر .

(٣) « الصلم » : القطع ، وقطع الأذن والأنف من أصلهما .

(٤) « الأعسم » : العَسَم ، يُبْسٌ في مفصل الرسغ تَعْوَجُّ منه اليد والقدم .

(٥) « الإمعـاط » أي : أوبـاره متطـايـرة ، أو أن شعـره قليـل ، فالأَمْعط : من لا شَعَرَ على جسده .

(٦) « الأدرم » : البعير الذي ذهبت أسنانه ، ودنا وقوعها .

(٧) « الأفوه » : واسع الفم ، أو أن تخرج الأسنان من الشفتين مع طولهما .

(٨) « الأدلم » : الشديد السواد .

(٩) « الأقره » : أسود اليدين .

(١٠) « الفركحة » : تباعد ما بين الأَليتين .

(١١) « البَسّ » : السَّوْق اللَّيِّن .

(١٢) « الرفس » : الصدمة بالرجل في الصَّدْر .

نَخْسِه[١] ؛ ويَكْرُفُ[٢] ويتمَرَّغ[٣] ، ويَشغُّ[٤] ويَبْدَغ[٥] ؛ لا تحيك فيه العصا ، ولا يعمل فيه الزَّجْرُ إذا عَصى ؛ ولا يتحـرَّك إلا إذا أحـسّ بـالعَلَـف وإن يكـن زؤانـاً ، ولا تظهر فيه الحيوانية إلا إذا رأى أتاناً ؛ فيريك حينئذٍ سُموهاً[٦] واستناناً[٧] ، ونشاطاً وصَمَيَاناً[٨] ؛ حتى كثيراً ما كان يقلبُ حِمْلَه ، ويفسدُ عِدْلَه ؛ وفيه خَلَّةٌ أخرى ، وهي : إنَّهُ كانَ دائم الإحْدَاثِ[٩] على قِلَّةِ إعمال ضِرْسِهِ ! مواصل الغَفْق[١٠] في النَّجْوةِ والخفض زيادة على نَخْسِهِ ؛ فإنَّ منشأه كان في بلاد يكثُرُ فيها

---

(١) « النَّخْس » : غَرْز مؤَخِّر الدابّة أو جنبها بعود ونحوه .

(٢) « الكرف » : أن يشُمَّ الحِمارُ بولَ الأتانِ ، ثم يرفع رأسَه ، ويقلبُ جحفلَتَه ، أي : شفته .

(٣) « التمرُّغ » : رش الحيوان لعابَهُ من فيه .

(٤) « الشَّغّ » : تفريقُ البعيرِ بوله .

(٥) « البدغ » : بَدِغ بالعَذِرة ، تلطَّخ .

(٦) « السموه » : الجري دون معرفة الإعياء .

(٧) « الاستنان » : التكادم ، وهو العَضّ بأدنى الفم .

(٨) « الصميان » : التقلّب والوثْب والسرعة .

(٩) « الإحداث » : المقصود التبول والتبرّز .

(١٠) « الغَفْق » : كالعفق ، عفق وغَفَق الحمارُ الأتان : أتاها مرّةً بعد مرّةٍ . والمقصود هنا : مواصل الضراط .

الكرنْبُ والفِجْلُ والسَّلْجَمُ ، واللِّفْتُ والقُنَّبِيطُ كبعض بلاد العجم ؛ فلهذا اعتادَ على إخراجِ هذه الرائحة من صِغَرِه ، وزادَتْ فيه بازديادِ عُمْرِهِ ؛ فكان لا بدَّ للماشي خلفه من سدِّ أنْفِه ، والإكثار من أُفِّه ؛ وفي كلا الوصفَيْن فإنَّ رِفْقَةَ هذا البهيم ، لم تكُنْ أقل أذى من السفر الأليم .

وإنه بعد جَوَلان عدَّة قُرى ، ليس فيها من مأوى ولا قِرى ؛ وبعد مجادلاتٍ مع الشَّارين طويلة ، ومحاولات ومصاولات وَبيلة ؛ قَنَعَ الفارياقُ وشريكُهُ من الغنيمة بالإياب ، ورَضِيا باللفَّاء[1] والعَوْدِ إلى المآب ؛ وعَلِمَا أنَّ البئرَ الفارغَةَ لا تَمْتلىءُ من النَّدى ، وأنَّ التعبَ في تجارتهما يذهب سُدَى ؛ فتسبَّبا في بَيْع البضاعة بقيمَتِها ، كَيْلا يَشْمَتُ بهما مَنْ ينظرُهما راجعين بماهِيَّتها ؛ وباتا تلك الليلة خالِيي البال ، من القيل والقال ؛ فإنَّ مِنَ الناس مَنْ لا يعجبُهُ شراء شيء إلّا بعد تَقْلِيبِهِ ، وبعد تحميقِ بائعِهِ وتكذيبه ؛ فلا بُدَّ للبائِعِ مِنْ أن يكون عن مثل هؤلاء متصامّاً متغافلًا ، متعامياً متساهلًا ؛ وتلك خَلَّةٌ لم تكُنْ في الفارياق ولا في صاحبِهِ ، فإنَّ كلًّا

---

(١) « اللَّفَاء » : التراب ، والشيء القليل ودون الحقّ .

منهما كان يحاول استمالة الكَوْن إلى جانبه؛ ثم إنَّهما رجَعَا بثَمَنِ البضاعة وبالحمار وسلّما المال لصاحبه ، فعرض عليهما سلعةً أخرى فأَبَيا . وتواعدا أن يَجْتَمِعا مرةً أخرى للشَّركة في مصلحة أهمّ ، وآثرا أن تكون في البيع والشراء ، وقد جَرَتِ العادةُ بين الناس بأَنَّهُ إذا تعاطَى أحدٌ عَمَلًا ولم ينجح بِهِ أوَّل مرّة ، لَجَّ بِهِ الشَرَهُ إلى معاطاته مرة أخرى ؛ إذ ليس أحد يَرْضَى لنفْسِهِ نحسَ الطِالِعِ وشُؤم الجَدّ . وإنَّما ينسبُ حُرْفَه فيما احتَرَفَ به إلى بعض عوارض وطوارىء حَدَثَتْ لَهُ . فيقول في نَفْسِه : لعلّ هذه العوارض لا تَقَع هذه المرّة . وعلَّةُ ذلك كلّه اعتمادُ الإنسان على رشد نفسه ، وثِقَتُهُ بسَعْيِه والركونُ إلى حَدْسِهِ ؛ وقد تهوَّرَ في ذلك كثيرٌ من الخَلْقِ ، وأكثَرُهُم جَنَى على نَفْسِه في التهافُتِ على الرِّزْقِ .

* * *

الفصل السابع عشر من الكتاب الثاني
في رثاءِ حِمارٍ

ـ أهلًا بِكَ يا فارِياق ! أيْنَ أنْتَ ؟ وَفِيم كُنْتَ هذه المُدَّة الطويلة؟ .

- في نظم الأبيات السرِيّة .

- ولكن هذا معلومٌ عِنْدِي، ولم أسألك إلّا عن أمر حديثٍ.

- قد فُجِعْتُ بالأمْسِ بحمارٍ لي ، وسأَلْتُ عنه الجيرانَ ، فلم يَقُلْ أحدٌ منهم أنَّهُ سَرَقَهُ . فاكتريتُ مُنادِياً بدِرْهمٍ ، فجَعَل ينادي في الأسواق : ألا قَدْ فَرَّ اليومَ حِمارُ الفارياق ، وخَلَّى قَيْدَهُ في الوَتَدِ ، فهل منكم مَنْ رآه ؟ فلم يجبْهُ أحدٌ إلّا بقوله : ما أكثر الحمير الآبقة اليوم من بيوت مواليها ! فلمّا عادَ إليّ بهذه البُشْرَى ، بَلَغَ مِنِّي الغيظُ كلَّ مَبْلَغٍ . وآلَيْتُ أنْ لا أنْظُرَ بَعْدَهَا في وَجْهِ حمارٍ ، سَواءً كان حقيقياً أو مَجَازياً . فقد قالَ بعضُ أئمَّةِ اللُّغَةِ : إنَّ من خصائص لغتِنا هذه الشريفة دون غيرها أن يقال للرجل الجاهل : حمار ! ثم أخَذْتُ أُرثِيهِ بهذه الأبيات ، وهي :

رَاحَ الْحِمَارُ وَخَلّىٰ القَيْدَ فِي الوَتَدِ
وَمَا رَأىٰ أثَرَهُ في النَّاسِ مِنْ أَحَدِ

فَهَـلْ أنَـا رَاكِـبٌ مِـنْ بَعْـدِهِ وَتَـداً
أَمْ مُجْزِئِي قَيْدُه لَوْ كَانَ مِنْ مَسَدِ[١]

---

(١) «المسد» : حَبْلٌ من ليف أو ليفِ المُقْلِ ، أو من أيِّ شيء =

أَمْ كَيْفَ أَدْخُلُ داراً كَانَ لِي سَكَناً
فِيهَا وَأُنْـزِلَ عِنْـدِي مُنْزَلَ الـوَلَـدِ
سَرْهَدْتُهُ[1] بِيَدِي كَالطِّفْلِ مِنْ شَفَقٍ
كَالطِّفْلِ مِنْ شَفَقٍ سَرْهَدْتُهُ بِيَدِي
وَجِئْتُـــهُ بِشَعِيـــر لا يُخَـــالِطُـــهُ
مَاسٌ وَلا عَسْجَدٌ خَوْفاً مِنَ الدَّرَدِ[2]
وَكَـــانَ يُـــوقِظُنِـــي مِنْـــهُ النُّهَـــاقُ إِذَا
ٱسْتَثْقَلْتُ نَوْماً بِصَوْتٍ مُطْرِبٍ غَرِدِ
كَمْ حَادَ بِي فِي طَرِيقٍ بَلَّ جَانِبَهَا
أَهْلُ الْجَمَالِ بِمَاءِ الوَرْدِ وَهُوَ نَدِي
وَكَمْ جَرَى فَارِهاً[3] إِذْ لاحَ عَنْ بُعْدِ
زَفَافُ خَوْدٍ[4] إِلَيْهَا بَالِغَ الأَمَدِ
وَإِذْ تَبَيَّـــنَ نَعْشـــا لِلْجَنَـــازَةِ لَـــمْ
يَمْرُرْ بِهِ مَعَ أَلِيمِ النَّخْسِ فِي الكَتَدِ[5]

= كان ، أو المضفور المحكم الفَتْل .

(١) « سَرَهَد » : أحْسَنَ الغذاء .

(٢) « الدَّرَد » : ذهاب الأسنان .

(٣) « الفره » : الأشر ، والبَطَر ، والملاحة ، والفتوّة .

(٤) « الخَوْد » : الحسنة الخَلْق ، الشابّة ، أو الناعمة .

(٥) « الكتد » : مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس ، أو الكاهل ، =

مَـا ضَـلَّ يَـوْمـاً عَـنِ اسْتِقْـرَاءِ مَعْلَفِـهِ
أكَـانَ فِـي رَوْضَـةٍ غَنَّـا أمْ جَـرَدِ[١]
قَـدْ رَابَنِـي حِـذْقُـهُ حَتَّـى ظَنَنْـتُ بِـهِ
مَسْخِيَّةً[٢] مِثْلَ بَعْضِ الخَلْقِ عَنْ أحَدِ
وَمَـا شَكَـا قَـطُّ مِـنْ وَخْـزٍ وَلا ضَعُفَـتْ
رِجْلاهُ عَنْ جَوْبِ[٣] وَغْثٍ[٤] طَالَ أوْ جَدَدِ
شُلَّـتْ يَـدَا مَـنْ بِـهِ وَلَّـىٰ وَغَـادَرَنـي
أَمْشِي وَأنْشَبُ[٥] فِي أوْحالِ ذَا الْبَلَدِ
أَعَـالِـمٌ أنَّنِـي مِـنْ بَعْـدِهِ جَـزِعٌ
وَأنَّ فُـرْقَتَـهُ نَـارٌ عَلَـىٰ كَبِـدِي
وَأَنَّ صَـوْتَ المُنَـادِي الْيَـوْمَ يَـزْعِـقُ أنِ
ٱلْبِسْ إكَافَكَ[٦] فِي جِنْحِ الدُّجَىٰ وَعُدِ

= أو ما بين الكاهل إلى الظهر .

(١) « الجَرَد » : فضاء لا نبات فيه .

(٢) « المسخية » : تحوّلُ الصورة إلى أخرى أقبح .

(٣) « جوب » : قطع .

(٤) « الوَغْث » : المكانُ السَّهْلُ الدَّهِسُ ، تغيبُ فيه الأقدامُ ، والطريقُ العَسِرُ .

(٥) « أنشب » : عَلِقَ ولم يَنْفُذْ .

(٦) « الإكاف » : البَرْذَعَة .

لا يَغْـرُرَنَّـكَ رَغْـدٌ أنْـتَ وَاجِـدُهُ
عِنْدَ الْحَرَامِيِّ خَصْمِي فِيكَ مِنْ حَسَدِ
فَـإِنَّمَـا ذَا لِحِيْـنٍ أَنْـتَ تَعْلَمُـهُ
مَا دَامَ شَهْراً عَلىٰ طِرْفٍ ولا عَتَدِ
يُفْدِيكَ كُلُّ حِمَارٍ نَدَّ مِنْ بَطَرٍ[١]
أوْ ضَجَّ من لَغَبٍ[٢] أوْ خَارَ[٣] مِنْ جَهَدِ
أوْ حَارَ مِنْ شَبَقٍ[٤] قَلّابُ جَحْفَلَةٍ[٥]
كَرَّافُ[٦] بَوْلٍ قديمٍ جَفَّ كَالقِدَدِ[٧]
مصَنْبَعُ[٨] الرَّأْسِ مَمْشُوقُ القَوَائِمِ لَمْ
يَحْـرُنْ إذَا سُمْتُـهُ خَسْفـاً وَلَـمْ يَحِـدِ

---

(١) « البطر » : النشاط، والأشر ، وقلّة احتمال النعمة ، والطغيان بالنعمة .
(٢) « اللَّغَب » : أعْيَا أشدّ الإعْياء .
(٣) « الخوَر » : الضَعْف .
(٤) « الشَّبق » : الشهوة للضِّراب ، واشتداد الغُلْمَة ، والهيمان مما سبق .
(٥) « الجحفلة » : شفة الخيل والبغال والحمير .
(٦) «كرَّاف بول» : شمّ بول الأتان ، ثمَّ رفع رأسه ، وقلب جحفلته .
(٧) «القِدَد» : القديد ، واللحم المقدّد ، أي : المشقوق طولًا والمجَفَّفِ .
(٨) « مصنبع » : إلى الطول ما هو .

أَلِيَّـةً[١] أنَّـهُ بِـالطُّـرُقِ أَعْـرَفُ مِـنْ
مَـوْلاهُ إنْ لَـمْ يَعُقْـهُ القَيْـدُ ذُو العِقَـدِ
يَـا لَيْـتَ لِـي خَصْلَـةً مِـنْ ذَيْلِـهِ أَثَـراً
أرْنُو إِلَيْهَا كَمَا يُرْنَى إلىٰ الخُرُدِ[٢]

قالَ : فقلتُ له : لقد ضاعَ شعرُكَ في الحمار العادي ، كما ضاعَ الدرهمُ في المنادي .

قال : أمَّا الدرهمُ فقد ضاعَ حَقّاً ، وأمَّا الحمارُ فلا .

قلت : كيفَ ذلك ؟ والدارُ منه بَلْقَعُ[٣] .

قال : مِنْ عادَتي أنِّي إذا فقدْتُ شيئاً وذكرْتُه في الشِّعْر ، خُيِّلَ لي أنِّي عُوِّضْتُ عنه ، فإنْ لمْ أذْكُرْهُ بقيتُ مُتحسِّراً على فَقْدِه .

قلتُ : أَوَ يقومُ النَّثْرُ مقامَ النَّظْم ؟

قال : رُبَّما يقومُ عند بعضِ النَّاس . فقد بَلَغَنِي أنَّ كثيراً من المؤلِّفين كانوا يحاوِلون إدراكَ أوْطارِ حَرَمَهُم

---

(١) « أليَّة » : اليمين والقسم .
(٢) « الخُرُد » : جمع خَرُود ، وهي : البِكْرُ التي لم تُمْسَسْ .
(٣) « البلقع » : الأرض القفر .

منها قلَّةُ ذاتِ اليَدِ ، فألَّفوا فيها كُتُباً ، واستَغْنوا بها عنها .

قلت : مَنْ قال ذلك ؟

قال : هُمْ قائِلوه .

قلت : هذا مَحْضُ كَذِبٍ ، فإنِّي أَلَّفْتُ في النِّساء كذا وكذا رسالةً ، وما خَطَرَ ببالي قطُّ أنِّي عُوِّضْتُ عن واحدةٍ مِمَّنْ وصَفْتُ .

قال : وَلِمَ أَلَّفْتَها إذاً ؟

قلت : لَمْ يَكُنْ لي من شُغُلٍ ولا حَرَكةٍ ، ووجدتُ الزمان عليّ طويلًا ، ولا سيَّما الليالي مِنْ دونِ مباشرةِ شيءٍ ما ، فلَفَّقْتُ ما كان يخطرُ ببالي .

قال : وهَلّا تَفْرَحُ الآنَ بتأْلِيفِكَ إذَا قَرَأْتَهُ أو إذا سَمِعْتَ أنَّ الناسَ يَقْرَأونه ؟

قلت : بلْ أضْحكُ من سُخْفِ عَقْلي وقتئذٍ ! فإنِّي قد عرَّضْتُ عِرْضِي لأَلْسُنِ القادِحين ، فَضْلًا عن كَوْني أضَعْتُ أوْقاتي عَبَثاً فيما لم يُجْدِني نَفْعاً . وقد بَلَغَنِي أنَّ كثيراً من المتزوِّجين سَاءَهُم ما قُلْتُهُ في النساء وذِكْرِ مكايدِهنَّ ، فاستظهروا عليَّ بِجَماعَةٍ من العلماءِ عابُوا عليَّ تَبْويبَ كُتُبي وَخَطّأُوني في عِبَارَتِها . وكنتُ أيضاً

حكيْتُ كلاماً عن بعض النِّساء بلَفْظِهِ ، فقالوا : لا يَنْبَغِي أنْ يُحْكىٰ الكلامُ في الكُتُبِ ؛ وغير ذلك مما نَدَّمَنِي كثيراً .

قال : قَدْ سمِعْتُ أنَّ الناسَ لا يزالون يُعادون المؤلِّفَ حالَ حياتِهِ ، فإذا ماتَ حَرَصُوا علىٰ كلمةٍ يَأْثُرُونَها عَنْهُ ، كما قال الشاعر :

تَرَىٰ الفتىٰ يُنْكِرُ فَضْلَ الْفَتَىٰ
مَا دَامَ حَيّاً فَإذا مَا ذَهَبْ
لَجَّ بِهِ الحِرْصُ عَلىٰ نُكْتَةٍ
يَكْتُبُهَا عَنْه بِمَاءِ الذَّهَبْ

قلتُ : وما نَفْعُ هذا الحِرْصِ لِمَنْ مات ؟

قال : لا نَفْعَ مِنْه ، غير أنِّي أرى أنَّ في النَّظْمِ لَلَذَّةً عظِيمَةً . ولا بدّ وأن يكون النثر أيضاً مثله ، فإنهما كليهما يخرجان من مخرج واحد ، أفلا تقول بصحَّةِ ذلك ؟

قلتُ : إنِّي أقولُ باللذَّةِ في التأليف من جهةِ أنَّ المؤلِّفَ يَعْرِفُ شيئاً جَهلَهُ غيرُهُ . ولا شكّ أنَّ في معرفة الحقائق لذةً ، غير أنّه يقابلها من الألم ما يَرْجَحُها ، وذلك أنَّ المؤلِّفَ إذا عَرَفَ مثلاً حقيقةً ، وأراد أن يعرِّفَ

غيرَه إيَّاها ، وجَدَ أكثرَ الناس قد صَمُّوا عن سماعِها . ومَثَلُ ذلك مَثَلُ طبيبٍ نصوحٍ رأى أهلَ بلَدِهِ يستحمُّون بالماء البارد في حالِ كونِهم مَحْمومِين ، فنَصَحَ لهم أنْ لا يفعلوا ذلك ، فأبَوْا وقالوا : إنَّ هذه البرودة تزيلُ الحرارةَ . فهو من جهةٍ أنَّه عارِفٌ بالحقيقة مسرورٌ ، ومن جهة أنَّه يرى غيرَهُ في ضلالٍ عنها محزونٌ . وسرورُهُ لنفَسِهِ لا يوازِنُ حزنَهِ على غَيْرِهِ . ألا تَرَى أنَّ أهلَ العِلْم كلَّهم ضِعافٌ ضَاوونَ قليلو الكلام والنومِ والأكل والضَّحِك !؟ وأنَّ الجهَّال سِمانٌ تَارُّون[١] أصحاءٌ كثيرُو الأَكْلِ والنومِ وغيرِهِ ممّا جُعِلَ لتَقْويم الطبيعة .

قال : فما بال الأطبّاء سمانٌ أيضاً ؟ وهم بمنزلة العلماء في كونِهِم يعْلَمونَ مِنَ المنافِعِ ما يجهلُهُ غيرُهم ؟

قلت : إنّ الطَّبيبَ لا يرى الناسَ حين يأكُلونَ ويشْرَبون ويُباعِلونَ[٢] ، وإنَّما يراهم حين يَمْرضون ، فلا تخزنُهُ أفْعالُهُم ؛ فأمّا العالِمُ ، فإنَّه في كلِّ وقْتٍ ومكانٍ يرى مِنَ العامَّة ما يدلُّ على ضلالِهم وجهلِهِم ، فلا يمكنُهُ والحالةُ هذه إلّا أنْ يتأسَّفَ على ما هُمْ فيه من

---

(١) « التارّ » : الممتلىء الجسم .

(٢) « المباعلة » : المجامعة .

الغَبَاوة والغَفْلَةِ .

قال : أفتقولُ إذاً بالْجَهْلِ ؟ !

قلت : هنيئاً لِمَنْ رَضِيَ به .

قال : وما قولُكَ في الشعر ؟

قلت : إنْ كانَ هو لمصلحةٍ ، أي : لشَيْءٍ يعودُ إلى القيام بأَوَدِكَ ، فنِعْمَ هُو ؛ وإنْ يَكُنْ عن مجرّدِ هَوَسٍ ومَيْلٍ إلى التجنيس(١) والترْصِيع(٢) أيَّانَ رأيْتَ امرأةً جميلةً أو وردةً أو روضةً ، كما هو دأْبُ أكثر الشعراء ، يتكلَّفونَ للنَّظْمِ في كلٍّ ما لاح لهم ، أو كَرِثائِك الحمار الآن ، فترْكُهُ أولى .

قال : ولكن أحسنُ الشعرِ ما جاء عن هَوَسٍ ، أي : عن السَّلِيقَةِ لا بالتكلُّفِ . فإني حين أمْدَحُ السَّرِيَّ أجِدُ في ضَمٍّ لفظةٍ إلى أُخْرى ما يجدُه المُعاني لضمٍّ نقيضين مختلفَيْن ، وليس كذلك ما نظمْتُهُ في الحِمار ، فإنّي نظمتُ فيه هذه المرثية في ساعةٍ من الزَّمَنِ .

---

(١) « التجنيس » : أن لا تختلف الكلمتان إلا في حرف متقارب .

(٢) « الترصيع » : السَّجْع الذي في إحدى القَرِينتين أو أكثر مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتوافق على حرف الآخر . والمراد من القرينتين ، هما : المتوافقان في الوزن والتقفية .

قلت : ولكنَّ الناسَ لا ينظرون إلّا إلى الظاهر ، فقصيدَتُكَ في الحمارِ يسمونها : حمارِيّة . وأبياتك في السَّرِيّ : سَرِيّة .

قال : إنْ كان الأمْرُ كما ذكرتَ ، فَلِمَ رَغِبْتَ عن التأليف ؟ ولكن لا في النساء ، فإن ذلكَ أمرٌ مستَفِيضٌ .

قلت : أمّا أوّلًا فلأنَّ المؤلِّفَ يوقِعَ نفْسَهُ في كلاليب ألسِنَةِ الناس ، فيمزِّقون عِرْضَه وجلْدَهُ كما ذكرتُ لكَ آنفاً . والثاني ، فإنَّ حقيقةَ اسم المؤلِّف غير محمود ، فهو عند من يَعلَمُ حقيقةَ معناه بمعنى الملفّق ، وأكثر الناس يضحكون من هذا الحَرْفِ ، فيحسبونَ أنَّه من التأليف بين شَخْصَيْن . وإنَّما يقولون لِمَن تعاطَىٰ ذلك : شَيْخٌ ! وهو أيضاً مكْرُوهٌ عند بعض الناس ، وخصوصاً عند النساء ؛ وأحسنُ الألقاب هنا فيما أرى عند النصارىٰ : قِسِّيسٌ ، وعند المسلمين : بَيك . أمّا الْقِسِّيسُ ، فلأَنَّ كلَّ الناس تَلْثُمُ يدَهُ وتتبرّك بذلك . وإن المرأةَ مِنَ القِبْطِ لَتَغْسِلُ رجلَيْ القِسِّيس بيدَيْها بماء الزهر ، ثم تُوعِي ماءَهما في زجاجة . وأنّه مَتى جاعَ حمل أمْعاءَهُ إلى دار أحد معارِفه ، فاستَقْبَلَتْهُ زوجتُهُ

بالبَشاشَةِ والإكرام ، فزَعَبَها أيَّ زَعْب[١] . وإذا شاء أنْ يَبْقَى في بيتِهِ لعارِضٍ من العوارِضِ بَعَثَ غلامَهُ بعلامَةٍ إلى أحد البيوتِ ، فجاءَهُ منها بغَداءٍ يَنْظِمُ فيه شعراءُ عصْرِنا قصائدَ ؛ فأمّا البَيْك ، فإنَّهُ وإنْ يَكُنْ مقامُه بين الناس كريماً ، إلا أنَّه لا يمكنُهُ أنْ يبلُغَ من البيوت ما يبلُغُهُ القِسِّيس ، إذ لا يتأَتَّى له أن يمشي وحده ، فلا بُدَّ وأنْ يمشيَ معه اثنان عن اليمين والشمال ، وهما وإن أظهرا له الخضوعَ والاحترامَ فَفِي قلوبِهِما منه حَزَازاتٍ تَبْعَثُهما على مراقَبَتِهِ والتعنُّتِ[٢] عليه ، اللّهُمَّ إلّا إذا تَزَيّا بزيّ خادِمٍ له ، وحينئذٍ فظاهرُ اللباس يَجْبَىءُ[٣] عنه العينَ .

قال : هيهات أن أصيرَ قِسّيساً! هيهات أن أصير بَيْكاً! أمّا حِرْفةُ القِسِّيس ، فإنَّها لا تَصْلُحُ لي ، لأنِّي لا أُحِبُّ الرَّكاكَةَ؛ وأمَّا صفة البَيْك ، فإني لا أصْلُحُ لها ، فإنَّ القدرَةَ الأَزليَّة لم تَرْتَضِ لي منذ الأزل بالبَوْكِيّة لِلبَيْكِيّة ؛ وما بَقِيَ أمامي ، إلا الشَّيْخِيّة ، قد توكَّلْتُ على الله .

قلتُ : إنِّي مفارِقُكَ على أنْ تخبرَني بما سَيَحدُثُ

(١) « الزعب » : الملء .

(٢) « التعنّت » : التشدّد .

(٣) « الجبأ » : الرّدْع .

لك في شَيْخِيَّتِكَ .

قال : سأفْعَلُ ذلك إن شاءَ اللهُ .

إلى هنا ينتهي النقل من « الساق على الساق » لأحمد فارس الشدياق رحمه الله .

* * *

وقد تطرق الأدباء العرب كثيراً للحمير في كتبهم ، وممن عرف بهذا الاهتمام الأديب المصري توفيق الحكيم ، حيث كتب « حماري قال لي » مقالات ، عام ١٩٣٨ ، و« حمار الحكيم » رواية ، عام ١٩٤٠ ، وآخر كتبه عن الحمير هو « الحمير » عام ١٩٧٥ ، حيث جمع فيه عدة مسرحياتٍ عن حماره الحكيم ، كان نشر قسماً منه في بعض الصحف . ناهيك عن ما تبعثر في الكتب من أخبار وحكايات ؛ بل ما رسمه عن الحمير الرسامون الكاريكاتيريون في الصحف اليومية وغيرها .

* * *

وجاء في « مذكرات البارودي » لفخري البارودي الدمشقي المطبوع سنة ١٩٥١م ، الصفحة : ٥١ من الجزء الأول وما بعد :

وسام .. للحمار !

كما كان الأغنياء يتنافسون على الرتب ، كانوا يتنافسون على الأوسمة العثمانية ، ويدفعون ثمنها غالياً ، وأذكر بالمناسبة حديث الأوسمة حكاية وقعت يوم زار أمبراطور ألمانية غليوم الثاني دمشق في سنة ١٨٩٨م ، فاستقبلته المدينة استقبالاً عظيماً .

وفي أثناء الاستقبال لاحظت الأمبراطورة حماراً أبيض ، فاستلفت نظرها ، وطلبت إلى الوالي أن يأتيها به ، لكي تأخذه معها ذكرى ، فراح الوالي يبحث عن صاحب الحمار ، فعلم أنه يخص أبا الخير آغا تللو ، وكان الآغا من وجوه محلته ، ويفاخر دائماً بأن له حبيبين : الحمار وحفيده حسني ! استدعى الوالي أبا الخير ، وطلب إليه إهداء الحمار إلى الأمبراطورة فاعتذر . فعرض عليه شراءه منه ، فأصر على الرفض ، ولما اشتد الوالي في الإلحاح ، أجابه أبو الخير :

يا أفندينا ! إن لدي ستة رؤوس من الخيل الجياد ، إن شئت قدمتها كلها إلى الأمبراطورة هدية مني ، أما الحمار فلا !

استغرب الوالي هذا الجواب ، وسأله : لماذا ؟

قال : سيدي .. إذا أخذوا الحمار إلى بلادهم ستكتب جرائد الدنيا عنه ، ويصبح الحمار الشامي موضع النكتة وربما السخرية ، فيقول الناس : إن امبراطورة ألمانية لم تجد في دمشق ما يعجبها غير الحمار ؛ لذلك لن أقدمه إليها ولن أبيعه !

ونقل الوالي الخبر إلى الأمبراطور والأمبراطورة ، فضحكا كثيراً ، وأعجبا بالجواب ، وأصدر الأمبراطور أمره بمنح أبي الخير وساماً ، فسماه « وسام حمار » واشتهر أمره زمناً في دمشق .

* * *

وقد أفردت مجلة « المضحك المبكي » التي كانت تصدر في دمشق زاوية خاصة تحت اسم : حكمة حمار ، تتجدّد في كل عدد منها غالباً وخاصة في الأعداد الأخيرة منها ؛ ومن هذه الحكم :

ـ مئة ألف حمار فوق بعضهم ما بيعملوا عاقل واحد .

ـ وكل حمار للحمار نسيب ! . .

ـ ثبت أن الإنسان يعمل لخدمة الحمير ، ألم يخترع الطائرات والسيارات ليخفف الأحمال عن ظهورنا ؟؟ . .

ـ نحن الحمير معترفين بحمرنتنا . . . لكن المصيبة

في الحمير هلي مفتكرين حالهم فهمانين . .

ـ ميزتنا نحن الحمير أننا لا ندّعي الفهم كما يعمل غيرنا . . .

ـ صحيح نحن حمير . . . ولكن يا ما ناس عم يحسدونا بها الأيام ! .

ـ الحمد لله هلي متعنا نحن الحمير بنعمة الصبر ! . .

ـ الحمرنة مفيدة في بعض الأوقات ! . .

ـ ما حدا استفاد من الاختراعات غيرنا نحن الحمير ، اخترعوا السيارات مثلاً ليوفروا عن ظهورنا ويريحونا !!

ـ حمار محظوظ أحسن بألف مرة من عاقل يعاكسه الحظ . . .

ـ ميزتنا نحن الحمير أننا ما منغار ، لأن هلي ما بيغار حمار !! .

ـ في حمير أوادم . . وفي حمير أرذال ! .

ـ قد ما صاروا رفقاتي بيعتبروني بفهم . . بظل حمار ابن حمار . .

ـ نشكر الله هلي خلقني حمار . . أنا بألف نعمة !!
ـ مو بس الحمير هلي أدنابهم طوال !! . .
ـ ما في أمل نترقى . . بدنا نظل حمير أولاد حمير . .
ـ لك أخي شو بدي ساوي . . بحكي بحكي وما حدا بيفهم علي . . وبيقلو عني حمار . .
ـ نحن الحمير منشوف أنو ما في حدا بيفهم أكثر منا !!

* * *

أقوال في الحمير وردت أيضاً في « المضحك المبكي » الدمشقية :
ـ كل حمار يظن أنه جدير بالوقوف إلى جانب الجياد .

مثل برازيلي

ـ غير مستغرب أن تحسب الحمير أن الإنسان اخترع القطار والسيارات لراحتها وليست لراحته .

بلزاك

ـ لا يوجد في الأرض مكان لا يستطيع الوصول إليه الحمار المحمّل ذهباً .

فيليب المقدوني

ـ من كان حماراً فظن نفسه وَعْلًا لا يلبث أن يلحظ خطأه حين يقفز فوق الخندق .

مثل إيطالي

ـ لا يلجم الحمار من ذيله .

مثل عربي

ـ يندر أن تجد من يعتقد أنه يماثل الحمار في عقليته . . ويندر أن تجد من لا يعتقد أن معظم الناس حمير .

ڤيرلسون

* * *

ومما ورد في الصحافة أيضاً عن الحمير ، صدور عدد خاص عن الحمير في مجلة « الكشكول » وهي مجلة (إن صحّ التعبير) تصدر ضمن مجلة « المضحك المبكي » الدمشقية ، صدر هذا العدد ضمن العدد رقم ١١٣٩ ، الأحد ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٥ ، السنة السادسة والثلاثون . وهي مجلة فكاهية ذات مغازي سياسية ، تُكتب بالفصحى الممزوجة بالعامية الدمشقية ؛ وجاء في التعريف بها بعد ذكر العنوان :

الكشكول

مجلة مستقلة تماماً ، تربطها بالمضحك المبكي وحدة اتحادية

رئيس التحرير المسؤول : عيسى بن هشام

عدد خاص عن الحمير

أَما ما ضَمَّت من مواد ، فالتالي :

الافتتاحية

لما كان للحمير من منزلة في أكثر المجتمعات . .

ولما كان للحمير من شأن في النقل والتحميل . . .

ولما كان الله قد جعل من ظهور الحمير مكاناً فسيحاً للركوب عليها . .

ولما كان الحمير يعملون ويشتغلون ويجدون حتى ضرب المثل في كثرة شغلهم ، فيقال مثلًا : فلان حمار شغل . . . ولما كان الله قد أعطاهم ميزةً كبرى تساعدهم على تحمل الحياة ، ألا وهي الصبر .

ولما كان أحد الخلفاء الأمويين وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم قد لقب بالحمار لصبره في الحروب وشجاعته فيها . . .

ولما كان الحمير يتحملون كل ذلك وهم ، على رأي الناس ، هالتمّ ساكت . . .

لذلك كله رأت « الكشكول » أن لا تغبطهم حقهم . . .

فقررت أن تصدر هذا العدد الخاص من الكشكول عن الحمير .

محاكمة حمار ابن حمَار

عقدت أمس محكمةُ الكشكول جلسةً خاصةً لمحاكمة أحد الحمير بتهمة رفس أحد المواطنين (جوزاً) في الشارع العام . .

وقد تألفَّت هيئة المحكمة من الأسد ، زعيم الغابة ، رئيساً ، والذئب والقرد عضوَيْن ، وقام الثعلب بأعمال النيابة العامة ، واستلمت الببَّغاء كتابَةَ محْضَرِ الجلسة . . .

وقد حضر هذه الجلسة جمهورٌ كبيرٌ من الحيوانات المختلفة . . .

الرئيس (ضارباً بالمطرقة على الطاولة) : افتتحت الجلسة . . .

وهنا ساد صمتٌ مطبقٌ في القاعة ، حتى صار يسمع صوت الإبرة إذا وقعت على الأرض . . .

الرئيس : نادوا على المتهم . . .

المباشر الغزال (منادياً) : يا حمار . . يا حماررر . . . يا حماررر . . . ولك يا حماررر . . . يا حيوان !!!.

وهنا دخل المتهم الحمار إلى قاعة المحكمة ، وجلس في قفص الاتهام ، رافعاً رأسه ، شامخاً بأنفه . . .

الرئيس : قوم وقِّف . . .

وهنا ينتصب المتهم بقامته المديدة واقفاً . . .

الرئيس : شو اسمك ؟؟.

المتهم : الحمار ابن الحمار !!!

الرئيس : شو بتشتغل ؟؟

المتهم : أنا باشتغل أشغال عامة . . كل شيء . . . باحمل على ظهري أوزان وأغراض ثقيلة . . . بنقل حوائج وعفش . . بجر طنابر الزبالة . . . بنقل على ظهري تموين البلد من المزروعات والخضار والفواكه

من القرى المجاورة . . . شو ما شغلوني بشتغل ، فين ما حطوني بشتغل . . . بعرف بكل شيء . . حتى دايماً بيقولوا عني : حمار شغل . . .

الرئيس (مقاطعاً) : خراس . . . لا تطول حكي . . .

المتهم : . . .

الرئيس : احكي . . . شوباك سكتت ؟؟

المتهم : سيدي . . . ما قلتلي خراس ؟؟

الرئيس : جاوب . . .

المتهم : . . .

الرئيس : أنت متهم بأنك رفست أحد المواطنين رفسة (جوز) في الشارع العام . . كيف بتسمح لنفسك تعمل هيك عمل ، وتوجه مثل هالإهانة لبني آدم ، وترتكب مثل هالوحشنة ؟؟

المتهم : سيدي . . أنا ما عملت شيء مع بني آدم أكثر من هلي هو عم يعملو مع نفسه . . . وياما بيضربوا بعضهم جواز وبوكسات ورفسات وكفوف وفلقات . .

الرئيس : أنت ما لازم تنزل عالشوارع أبداً . . .

المتهم (والعرق يتصبب منه) : سيدي ! بالشوارع في متلي كثير بيضربوا الناس جواز ، وبيعرقلولهم أعمالهم ، وبيحركشوهم وبينعروهم وبيدفشوهم . . . فين ما رحت بتشوف متلي . . . فين ما جيت بتشوف متلي . . . ليش ما شفتوني إلا أنا ؟؟

الرئيس : هادا مو شغلك . . . قللي ليش رفست هالزلمة جوز ؟؟

المتهم (وهو يخفض رأسه وينظر إلى الأرض) : لأني حمار . . . سيدي . .

الرئيس : شفت . . هلأ صرت بتفهم . . . عاش الفهم . . تسقط الحمرنة . . .

هيئة المحكمة وجمهور النظارة معاً : عاش . . عاش . . تسقط . . تسقط . . .

المتهم (يهز رأسه موافقاً منافقاً) .

الرئيس : ليش نزلت عالطريق ؟؟ أنت ما بتعرف أنك ممنوع تنزل عالطرقات بموجب القانون .

المتهم : سيدي . . هادا صحيح . . وبذكر وقت سمعنا هيك شي . أنا وأخواني ، قالنا عقلنا بأننا سنرتاح هلأ من الشغل ، لأن معلمنا راح يشتري سيارة وينقل

عليها شغلو . . . وحاج لسه عم يركب على ظهرنا ومطوطح رجليه ، وعم يحمل عليه كل هالأغراض .

الرئيس : لكان ليش لساك عم تشتغل ؟؟

المتهم : سيدي . . هادا معلمي . . هو السبب .

الرئيس : حاج تهز وتحرك أذنيك . . دوختنا . . .

المتهم : ما بقدر سيدي . . . أنا حمار . . .

الرئيس : طيب . .

وهنا رفع الرئيس الجلسة للاستراحة مدة ربع ساعة . . . .

* * *

وفي الوقت المحدد ، دخلت هيئة المحكمة إلى القاعة ، فوقف الحضور احتراماً . . وتابع الرئيس الجلسة .

الرئيس : ما قلتللي . . ليش لساك عم تشتغل بالطرقات مع أنك ممنوع ؟؟ وعم توسخها كمان بالزبل . . .

المتهم : سيدي . . أنا وقت عم أمر بالطريق عم يشوفوني الشرطة . . وما حدا عم يحاكيني شيء ولا عم

يعملوا ضبط ولا مخالفة لمعلمي . . . وصرت أنا وسيارة النقل البيك آب عم نتنافس . . . حتى صار معلمي عم يشغلني قبل الظهر وبعد الظهر وماعم يخليني حك رأسي . . . فشو بتريدني أعمل ؟؟ وبعدين . . في كثير ناس عم يوسخوا الشوارع كمان بالزبالة .

الرئيس : طيب . . وأنت عم تسحب كتير مصاري من هالشغلة ؟؟

المتهم : سم الموت يا سيدي . . . كل شيء عم ياخدو معلمي . . وما عم يعطيني غير شوية برسيم وشوية علف .

الرئيس : . . . أما حمار صحيح . . طيب وليش ما عم تتركو لمعلمك ؟؟

المتهم : سيدي . . لأن هلي بتعرفوا أحسن من هلي بتتعرف عليه . . وإذا تركتو فمنين بدي لاقي شغل بعدين . . وأنا حمار . . ما معي لا شهادة ولا بعرف أقرأ ولا أكتب . . .

الرئيس : في شغل كتير بتلاقيه . . . لا تخاف . .

المتهم (وقد أطرق برأسه) . . . وسكت . .

الرئيس : على كل حال . . بدل من أن ترفس الناس

بالشوارع ، روح لاقيلك شي شغلة تسحب منها مصاري حتى تصير ناس . . . ما بتعرف أنو المصاري هي هللي بتساويك عالم . . بتساويك فهمان . . أنت يا حمار . . ما بتعرف شو قال عنك فولتير ؟؟

المتهم : لا سيدي . . مين هادا فولتير ؟؟ بعمري ما سمعت عنه !!

الرئيس : فولتير قال عنك أنو ما في مكان في العالم لا يصل إليه الحمار المحمّل ذهباً مهما بعد هذا المكان ومهما وجدت في طريقه من صعوبات وعثرات . . . حمار !!

الحمار : أي والله شيء عظيم !!!

الرئيس : في عندك شي بدك تحكيه قبل إصدار الحكم ؟؟

المتهم : لا يا سيدي . . بس ترأفوا بحالتي . . .

الرئيس : طيب ؛ ترفع الجلسة لإصدار الحكم . . .

* * *

وبعد أن اختلت هيئة المحكمة عشر دقائق ، عادت

فتابعت الجلسة .

الرئيس : ليقف الحمار المتهم لسماع الحكم . .

فوقف الحمار وأذناه لا تهدآن . . والرئيس (يتلو الحكم) : حيث إِنك حمار . وبما أن أباك حمار . .

وبما أنك رفست بني الإنسان ، وهذه لا تعتبر جناية بالنسبة لما يفعله هو ـ المدعي ـ مع نفسه . . .

وبما أنك عم تتعب كثيراً من الشغل ، قبل الظهر وبعد الظهر ، وما عم يطلعلك شيء . . .

وبما أنك اعترفت بحمرنتك . . . ولما كان وبما أن . . .

تقرر الحكم عليك بالبراءة من هذه التهمة ، على أن لا تعيدها في المرة الثانية ، وإطلاق سراحك فوراً إذا لم تكن موقوفاً بتهمة أخرى . .

عضو	عضو	الرئيس
القرد	الذئب	الأسد

* * *

قصة العدد

حمار . . وشايف حالوا ! !

في مطلع القرن الحالي كان للحمير دولة وسلطان . وكان الشخص الذي يقتني حماراً قبرصياً أبيض يُعدّ من الذوات . .

ويروى أن أحد الأفندية الذوات حبلت حمارتُه البيضاء ، وبعد اكتمال عدتها الاثني عشريّة ولدت حمارين توأمين ، بدت عليهما علائم النبوغ والجمال ، فسهر صاحبهما على تربيتهما وتهذيبهما ، وعلَّمَهما القراءة والكتابة والرقص والغناء ، فأطبقت شهرتُهُمَا الآفاق . .

وبعد مدة اشترى حداد جحشاً مِنْهُما ، ولكثرة ولع الحداد به فإنه لم يكن يركبه ، بل يربطه كلَّ يوم أمام مشغله للتفرُّج عليه والتفاخر به ، ولذا كان يقدم له أفخر العليق وأنظف الماء . . .

أما الجحش الآخر ، فقد اشترته البلدية ، ووضعته لجر طنبر زبالة ، فكان نصيبه الضرب بسبب وبدون سبب شأن بقية زملائه الحمير . .

وهكذا سارت حاله على هذا المنوال ، إلى أن صدف مرور الجحش التعس في سوق الحدادين ، فوقع بصره على شقيقه التوأم ، فأقبل نحوه ، فبدأ وجههما يفيض بِشْراً ، وتعانقا من بعد طول الفراق ، فسأل حمار البلدية أخاه مستَفْسِراً عن أحواله ، فأجابه الآخر :

ـ أنا كما ترى ، أكل ومرعى وقلة صنعة ، فصاحبي يغار علي ويحبني حبّاً جماً ، ويسهر على رفاهيتي وأناقتي ، وأنت ماذا تعمل ؟؟

فأجابه بكبرياء :

أنا حمار بلدية .

* * *

سوء تفاهم

الفيل . . والحمار ! !

الصحفي التائه المعروف الأستاذ أحمد الفيل صحفي قديم ، عرف بسرعة النكتة في كل مناسبة ، وقد حدثت معه بالذات مؤخراً نكتة ، وهي أن الأستاذ قد شد بالأمس الرحيل إلى شركة نفط العراق بالصحراء (المحطة الثانية) متأبطاً كتابه ليبيعه هناك ، وبعدما قدم

نفسه لمخفر الأمن العام ، سمح له بدخول الشركة ، وحل عليها ضيفاً مدة يومين . . .

وقبل أن يغادر الشركة زار دائرة الأمن العام ، وقد صدف أن سبقه حمار إلى الحديقة ، فشاهده ضابط الأمن العام ، فصاح : أوقفوا هذا الحمار !!!

فظن الجندي أنه يعني (الفيل) ما غيرو ، لذلك أوقفه مدة إلى أن عاد الضابط ، فسأل : ماذا يعمل الأستاذ في هذا المكان ؟؟

فأجابه الجندي : نفذنا أمركم سيدي . .

فصاح الضابط : يخرب بيتك ، نبهتك عن الحمار لكيلا يأكل زهور الحديقة ، شو حكايتك ما بتفرق بين (الفيل) والحمار . . بكرا بيروح يشرشحنا . . .

وهات يا ضحك !!!

* * *

حمرنات

١ ـ سأل ابن أباه :

ـ بابا . . شو يعني جحش ؟؟

فأجاب الأب :

ـ الجحش هو ابن الحمار . . .

فقال الابن :

هلأ فهمت ليش الناس بيصرخولي يا جحش !!!

٢ ـ بينما كان صديقان يتنزهان ، شاهدا فتاة جميلة حسناء تركب جواداً أصيلاً مطهماً . . .

فشطَّ ريق الأول ، وقال :

ـ يا ريتني حصان . .

فقال له صديقه :

ـ بسيطة . . اسألها بلكي بتركب حمير !!!

حمير

١ ـ هلي ما بيغار . . حمار !!

٢ ـ هلي بيشتغل كتير . . حمار !!

٣ ـ هلي بيترك مرتو تطلع لوحدها . . حمار !!

٤ ـ هلي بيمشي ضوغري . . حمار !!

٥ ـ هلي ما عم يفهم شوعم يصير . . حمار !!

٦ ـ هلي ما عم يعرف أنو في أصابع عم تلعب . . بهالعالم . . حمار !!

٧ ـ هلي بيخسر كل مالو بالقمار حمار !!

٨ ـ هلي بيديّن مصاري . . . حمار !!!

٩ ـ هلي بيصدق أنو الدول الكبرى عم تقدم مساعدات للدول الصغرى على سواد عيونها وفي سبيل رفع مستوى شعبها . . حمار !!

١٠ ـ هلي بيترك حدا يركب على ظهرو . . حمار !!

١١ ـ هلي بيعمل حالو فهمان . . . حمار !!

١٢ ـ هلي يثق بامرأة . . حمار !!

* * *

رسالة مسوكرة من حمار . . إلى أخيه الإنسان

وقعت في يد مندوب الكشكول هذه الرسالة التي بعثها حمار إلى أخيه الإنسان ، وبعد إجراء التحقيقات ، وجدها أنها قد بعثت فعلاً ، وأنه من الواجب نشرها في هذا العدد الممتاز . . وهذه هي بالحرف الواحد :

حضرة السيد الإنسان المحترم .

تحية صادقة ، وبعد ؛ فقد دعاني إلى كتابه هذه الرسالة لك نظرتك لي واحتقارك لأمثالي من زملائي ، لذلك فقد جئت إليك طالباً تغيير هذه النظرة للأسباب التالية :

١ ـ إذ كنت مفتكرني حمار لأنو أذنيي طويلتان ، فأنت لسانك طويل !!

٢ ـ إذا ، أنا الحمار ، وقعت في جورة مرة ، فإني لا أعود أقترب منها في المرات القادمة . . . أما أنت ، يا إنسان ، فإنك تقع في نفس الجورة ألف مرة وما بتحيد ولا تبتعد عنها أبداً . . .

٣ ـ إذا كنتُ ، أنا الحمار ، باكل الشعير ، فأنت بتشرب البيرة المعمولة والمصنوعة من الشعير !!

٤ ـ إذا كنتَ ، أنت الإنسان ، منافِق ، بتلف وبتدور وبتكولك وبتمدح هلي إلك مصلحة معه ، فأنا ، الحمار ، ما بمشي إلا ضوغري . . .

٥ ـ إذا كنتَ ، أنت الإنسان ، بتقلب فكرك عشرين مرة في النهار وبتتردد في عملك ، ومين ما حاكاك كلمة بيدرلك فكرك متل ما بدو ؛ فأنا الحمار مخلوق عنيد جداً ، وما حدا بيزحزحني عن فكري شوي ، وهلي بحطو برأسي ما في مخلوق بيقدر يحركو . . .

٦ ـ إذا كنتُ ، أنا الحمار ، بيركبني معلمي ، فأنت ، الإنسان ، بيركبك معلمك وغيره كمان وبيطوطح رجليه .

٧ ـ أنتَ ، أيها الإنسان ، في منك حمير مدّعين وعاملين حالهم بشر ، بينما أنا الحمار ، عرفان حالي أني حمار وماني عم أدعي بالفهم . . .

٨ ـ نحن الحمير ، في عندنا كتير من جماعتنا بين بني آدم ، ولكن ما في ولا واحد من جماعتكم ، بني الإنسان ، بيننا . .

٩ ـ نحن الحمير كلنا على نفس السوية في الحقوق والواجبات والفهم ، فلا طبقية عندنا . . بينما عندكم في تفاوت في المساواة وفي طبقات مختلفة . . .

١٠ ـ أنا ، الحمار ، معروف بدون هوية . . أما أنت ، الإنسان ، فما حدا بيعرفك بدون هوية . . .

١١ ـ أنا الحمار ، أتنقل بين الدول العربية بدون جوازات سفر وبدون أذونات ومعاملات ، أما أنت ، الإنسان ، فإنك لا تستطيع أن تتحرك دون جواز سفر وإذن ومعاملات .

١٢ ـ إذا كنتُ ، أنا الحمار ، لي فم كبير ، فأنت ، أيها الإنسان ، فلك حلق كبير للبلع . . .

١٣ ـ إذا كنتُ ، أنا الحمار ، أشهق وأنهق ، فأنت ، أيها الإنسان تتشدق وتدعي وتبيض . . .

١٤ ـ إذا كنتُ ، أنا الحمار ، أنام في الإسطبل ، فأنت ، أيها الإنسان ، تنام وراء المكتب .

١٥ ـ إذا كنتُ ، أنا الحمار رأسي يابس ، فإنك أنت ، أيها الإنسان ، قلبك يابس . .

١٦ ـ وإذا كنتُ ، أنا الحمار ، أرفس برجلي ، فأنت تضرب بيدك بوكسات وفلقات وكفوف . . .

١٧ ـ وإذا كنتُ ، أنا الحمار ، أحمل على ظهري الأحمال الكبيرة ، فأنت ، أيها الإنسان ، تحمل الهموم الكبيرة التي هي أثقل بكثير من أحمالي . . .

١٨ ـ وإذا كنتُ ، أنا الحمار ، مقيّد باللجام ، فأنت ، أيها الإنسان مقيد بغير اللجام . . .

١٩ ـ إذا كنتُ ، أنا الحمار ، أتعلّق بمخلاة ، فأنت ، أيها الإنسان ، تتعلق بامرأة . . . أية امرأة . .

٢٠ ـ وإذا كنتُ ، أنا الحمار ، أنام على الأقذار ، فأنت ، أيها الإنسان ، تنام على الضيم . . .

لهذه الأسباب العشرين ، أريد أن أقول لك كلمتين : دخلك على شو بتظل شايف حالك علي ورافع منخارك ، ودايماً عم تركبني وتطوطح رجليك ؟!!

* * *

هذه الرسالة طبق الأصل .

* * *

دعوى مستعجلة

تلقى ديوان محكمة الكشكول دعوى مستعجلة هذا نصها :

المدعي : حمار . .

المدعىٰ عليه : المؤسسة العامة للسينما .

تفصيل الدعوى : هو أن المدعى عليها قد قررت أن تجعل من الجواد العربي شعاراً لها ، وبما أنني ، أنا الحمار ، لا أشكو من شيء ، وبما أنني لا أفترق عن الجواد في شيء ، وبما أنني ، أنا الحمار ، قد اتخذني حزب من أكبر الأحزاب في أمريكا ، وهو الحزب الديموقراطي ، شعاراً له ، لذلك ، وبناء عليه وعليه بناء ، أرجو جلب المدعى عليه إلى محكمتكم الموقرة والحكم عليه بإجراء المقتضى أو تضمينه كل عطل وضرر يصيبني . .

انتهت مجلة الكشكول

* * *

وفي نهاية التسعينات بدأت مجلة «الشهر» تنشر

ضمن عددها ومن خلال عدة صفحات مجلة فكاهية باسم «المضحك المبكي»، ضمّت في أعدادها الأخيرة زاوية باسم حكمة حمار، تسير على هدى مجلة «المضحك المبكي» الآنفة الذكر.

ومن الحِكَم الحمارية التي نَشرتها:

ـ نحن ـ معشر الحمير ـ محظوظون، فعلى الأقلِّ لا نقعُ في الحفرة الواحدة مرَّتَيْن، بينما يقَعُ بَعْضُ القادَةِ العرب في حفرة المفاوضات المرة تلو المرة. .

ـ نَحْمَدُ الله. . نحن ـ معشر الحمير ـ أننا عشْنا إلى هذا الزمان الذي باتَتْ فيه الفضائيات تُجْرِي حوارات معنا مهما كان كلامنا سخيفاً. . .

ـ الفارقُ بَيْنَ الحمارِ القُبْرُصِي والحمار العربي أَنَّ الأَوَّل أضْخَم وأقوَى. . أما الثاني «الحمار العربي» فهو أَذْكى. . بِدَلِيل أَنَّهُ يَشْغلُ مناصبَ هامَّةً في بلاد العربان!!

ـ لا تخافوا من شارون الإسرائيلي. . بل خافوا من شارون المختبىء تحت جلود بعض العرب. . الأول معروف والثاني سرّي. . إلى أَجَلٍ مُعَيَّن. . .

ـ لو كان للحمار لسان. . لنطق وقال: يلعن هذا الزمان.

ـ لا يفلّ الحديد إلّا الحديد.. ولا يُسْقِطُ الحُكَّامَ الظُلَّام إلّا العَبيد.. والحمارُ يقولُ: الشمس ستُشْرِقُ من جديد.

ـ رأس الحكمة مخافة اللهِ والمخابرات والمسْؤولين ورجال الشرطة والعَسَس.. وَاسْألوا حَمِيرَ الدُّنيا إِذا لم تصدقوا حكمتي!.

* * *

ومن الذين ضمّ أدبهم جزءاً لا بأس به عن الحمير، الذين كتبوا عن الأمثال الشعبية والفولكلور؛ ومثال على ذلك ما ورد في مؤلفات سلام الراسي من قصص وحكايات جمعها من ألسنة الناس وقيّدها في كتبه عن الحمير. ومثالًا عليها نذكر ما ورد في بعضٍ منها.

فمن كتاب «لئلا تضيع» لسلام الراسي، مؤسسة نوفل، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥:

اشْترِ حماراً يَصِيرْ عندك حماران

من القصص المنسوبة إلى العلّامة الدكتور فان ديك، أن رجلًا أراد أن يعلِّمَ ابنه في الجامعة الأمريكية في بيروت ـ الكلية السورية الإنجيلية في ذلك الوقت ـ فطلبَتْ منه إدراة الكلية رَسْماً مَدْرَسِياً مقداره خمس

ليرات عثمانية .

وكان الرجل يعرفُ فان ديك أو يَسْمَعُ بفضله ، فقَصَدَهُ طالباً منه أن يتوسَّط له من أجل تخفيض قيمة الرسم ، قائلًا : إنه لا يَقْدِرُ أن يدفع المبلغ المطلوب .

فقال فان ديك : إن الرَّسْمَ ليس باهظاً .

فصاح الرجل : ولكنني أستطيع ، يا سيدي ، أن أشتري بهذا المبلغ أحسن حمار في هذه البلاد .

فقال فان ديك بكل هدوء : عندئذٍ يصير عندك حماران .

ومن القصص المنسوبة كذلك إلى الدكتور فان ديك : إن خادِمَهُ تذمَّرَ يوماً من كثرة الأشغال المطلوب منه تحضيرها ، بمناسبة إحدى الحفلات ، وأخذ يعدها : طاولات وماولات ، كراسي ومراسي ، صحون ومحون . فقاطعه فان ديك قائلًا : كفىٰ ! إني سأعْفيك من نصف هذه الأشغال ، أحضر أنت الطاولات والكراسي والصحون ، وأنا أتولى بنفسي إحضار الماولات والمراسي والمحون .

وكنت قد سمعت من المعلم مخايل البستاني ، أن

الدكتور فان ديك هو أوّل من استعمل الشمسيّة في بلادنا ، وهو الذي أطلق عليها هذا الاسم ، فقد حملها يوماً إلى قرية عبيّة ، وكان الطقس حاراً ، فرفعها فوق رأسه ، وعندما وصل إلى مكان ظليلي طواها ، فصارت عصا يتوكّأُ عليها . فدهش الحاضرون لهذا الاختراع العجيب الغريب ، وسألوه عن اسمه ، فقال فان ديك على البداهة : شمسيّة !

هذا ولا نعلم الآن ، متى دخلت الشمسية إلى مصر ، حيث أطلقوا عليها اسم « مظلّة » ، وكلّ ما نعلمه الآن هو أن الخديوي عبّاس في مطلع القرن الحالي ، كان يتنزّه يوماً وبرفقته شاعر بلاطه ، أمير الشعراء أحمد شوقي ، وكان الحر شديداً ، فتضايق أمير الشعراء من حدة الشمس ، وما كان من الخديوي إلا أن أهدى إليه مظلته ، فقال شوقي بالمناسبة :

مَولاي عَبّاس أهْدَانِي مظلّته
يظلّل اللهُ عباساً ويَرْعَاهُ
مالي وللشَّمْسِ أَخْشَاهَا وَأَرْهَبُهَا
مَنْ كَانَ فِي ظِلِّهِ فَالشَّمْسُ تَخْشَاهُ

مع العلم أن الدكتور فان ديك جاء إلى بلادنا سنة

١٨٤٠م، وأقام فيها طبيباً ومعلّماً ومؤلّفاً ومترجماً طيلة أيام حياته ، وقد مدحه الشيخ ناصيف اليازجي بقصيدة ، منها هذه الأبيات :

فَتــىً يَلْهُــو العَلِيــلُ إذا أتَــاه
بِــه عَمّــا أُصِيــبَ فَمَــا أَطَـاقـا
فَيُوشِكُ أَنْ يَخَافَ فِراقَ سُقْمٍ
مخــافَــةً أَنْ يَـذُوقَ لَـه فِـرَاقـا
فَــإنْ رَقَّ الطَّبيــبُ وَرَاقَ معنــىً
رَقَّتْ حَالُ الهَوَىٰ وَرَقَىٰ وَرَاقا

عندما يكون الحمار « حماراً »

لعشرين سنة خلت ، كان أكثر أهالي جبل عامل يشربون من مياه البُرَكِ ، ويسقون مواشيهم منها ، وكانت كل بركة عبارة عن بحيرة اصطناعية صغيرة بجانب كل قرية تتجمع فيها مياه الأمطار والسواقي لتأمين مياه الشرب لأهالي القرية ومواشيهم حتى مطلع الشتاء المقبل .

ومن المشاهد المألوفة التي كان يشاهدها المار بجانب أية بركة من تلك البرك ، عدد من صبايا القرية يملأن جرارهن برفق ، فيما جلست على حافة البركة

إحدى النساء تغسل الثياب ، وأخرى تجلي الصحون ، وبضعة أطفال يلعبون بالوحل ، وعدد من الحمير تقف وعلى ظهورها قناتل[١] وجرار ، بالإضافة إلى بعض المواشي وقد تجاوزت حدود البركة قليلًا لتشرب من مياهها ، وتتصرف فيها على سجيَّتها ، ولم يكن في ذلك أي حرج ، إذ لم يكن بالإمكان أفضل مما كان .

في ذلك الوقت انضم شاب من إحدى قرى الجنوب إلى جمعية الرفق بالحيوان ، وأخذ يطوف في قرى المنطقة داعياً إلى تحسين معاملة الحيوانات ، كتخفيف أعباء الحمير وتقليل ساعات عمل الثيران وما أشبه ذلك .

وكان إذا حظي بكلب يتسكّع من ضربة حجر على رجله تناوله بها أحد صبيان القرية ، قام صديقنا هذا بأخذ صورة الكلب الأعرج ، ونظّم عنه تقريراً رفعه بالتسلسل إلى مقر جمعية الرفق بالحيوان في بلاد الأميركان . ثمّ وسّع منطقة عمله شطر جبل عامل ، فزار إحْدى قراه في أحد الأيام ، وتوجّه إلى بركة القرية حيث كان من المفروض أن يجد عدداً من الأهالي .

وفيما أخذ يُحدِّث الحاضرين عن مبادىء دعوته ،

---

(١) كلمة عامية من أصل فرنسي ، تعني : مستوعبات .

« فَنْعص » أحد الحمير ، لسبب مُثيرٍ ، وأخذ بالنهيق والشهيق ، فاحتدمت الحمير بالحمير ، ودار اللبيط والخبيط ، ووقعت أشياء أخرى منافية على نفس الوزن والقافية « بلا قافية » ، فأسفرت المعركة عن تحطيم بعض الجرار والأباريق .

عندئذ هب بعض المتضررين إلى مطالبة صاحب الحمار بدفع قيمة الأضرار ، فقال : إن حماره غير مسؤول ، لأنه سمع الأستاذ يتحدث عن حقوق الحمير ، فثارت حميّته وحدث ما حدث ، وعلى الأستاذ أن يتحمل كامل المسؤولية .

فأطبق أهالي القرية عندئذٍ ، على صديقنا المذكور ، الذي جاء يفسد بينهم وبين حميرهم ـ على حد قولهم ـ فأرغموه على دفع ثمن الجرار والأباريق ، بعد التحقيق .

وحَدَثَ أن صاحب الحمار كان شاعراً شعبياً ، فأرخ واقِعةَ الحال بقصيدَةٍ زجلِيَّة لم يحفظ منها ناقل الرواية إلينا ، سوى البيتين التاليين :

شَنْهَـــقَ حِمَـــاري وَثَـــار

مِـــنْ كَلْمتِيـــن زغـــار

صَـــــدَّق حَكِـــــي الأستـــــاذ
مُـــأَكَّــد حمـــاري « حمـــار »

كرامة الحمار قبل كرامة صاحبه

حظيتْ يوماً دوريةٌ من رجال الدرك في منطقة النَّبَطيَّة بِرَجُل يفلح على ثورٍ وحمارٍ ، فنظَّمَتْ بحَقِّهِ « ضبط مخالفة » ، لأنَّ الحراثة على الحمار لا تجوزُ شَرْعاً ، وهي مخالِفَةٌ لقانون الرفق بالحيوان .

وتولّى النظر بهذه القضية القاضي المنفرد في محكمة النبطية ، فعين جلسةً ، واسْتَدْعَى الرجلَ لمحاكمته حسب الأصول .

وعندما دخل الرَّجُلُ إلى المحكمة ، سأله القاضي عن سبب إقدامه على ارتكاب المخالفة المنسوبة إليه ، وهي الحراثة على حمارٍ ، خلافاً للعرْفِ والقانون ، فقال بصوت متهدّج ونبرات متقطعة : إنَّهُ رَجلٌ فقيرٌ جدّاً ، وسيء الحظ ، وليس عنده إلا ثور واحد ، لأنَّ ثورَهُ الآخر مات مؤخَّراً ، وهو لا يملك أية دراهم لشراء ثور جديد ، وقال : إنَّهُ رَبُّ عائِلةٍ كبيرةٍ ، وهو مسؤول عن معيشتها ، لذلك اضْطَرَّ إلى رَبْطِ حمارِهِ إلى جانب

ثَوْرِهِ - وهما رَفيقا عَمَلٍ - للحراثة عليهما مَعاً ، ولم يلاحِظْ أنَّ الحمارَ تذمَّرَ أو اسْتَنْكَرَ هذا العمل ، باعْتِبارِهِ أرْفَعُ قَدْراً من الثَّوْرِ وأنْبَلُ منه حَسَباً ونَسَباً .

فتأثَّرَ القاضي بكلامِ الرَّجُل ، ووجَدَ نفسه في حيرةٍ بين حرفيَّةِ القانون وقوَّة الواقع : رجلٌ فقيرٌ لم تَفْعَلِ الدولة شيئاً من أجله ، ولم تحاوِلْ أنْ تحافظ على حَقِّه أو على كرامته ، بل إنها تريدُ أن تحافِظَ على حَقِّ وكرامة حمارِه ، والحمار هو حماره ، بل هو رفيقُ مَصِيرِهِ ، فإذا حَكَمتِ المحكمةُ على الرجل بالجزاء النقدي ، لأنَّهُ أهانَ كرامَةَ حماره ، فهذا يعني أن الرجل سيقتطع ، لا جزءاً من ثمن طعام أولاده فحسْب ، بل من ثمن طعام حماره أيضاً ، ليؤمّن قيمة الغرامة .

إذن ، باسم الشعب اللبناني ، حَكمتِ المحكمة ببَراءَةِ هذا الرجل ، حتى لا يقال : إنَّ المحكمة تحافظ على كرامة الحمار أكثر من كرامة صاحبه .

وذاع خَبَرُ هذه المحاكمة وهذا الحكم الغريب ، وتناقلَتْه الألسنُ ، وعلَّقَتْ عليه الصحفُ ما طاب لها التعليق ، فنشرتْ إحدى المجلّات صورةً كاريكاتورية لحمارٍ يقف على رجْلَيْهِ ، ويضَعُ يديه على قوس

المحكمَةِ مطالباً بحقوقِهِ المشروعة . وأشيع يومئذٍ أن القاضي المذكور استقال بسبب مضاعفات هذه الدعوىٰ .

* * *

ومن كتاب « شِيح بْرِيح »[١] :

الحمَار خِلِص

على ألسنة العامّة في لبنان اصطلاح كلام يستعملونه عند الوصول إلى نهاية لم تكن منتظرة ، فيقال : « الحمار خِلِص » أي : إنَّهُ انتهى .

وقد تبرَّع لنا الصديق جوزف بيُّوض بقصَّةِ هذا القول الشائع ، قال :

يُحكىٰ أن رجلًا مَدَنِيّاً التقى رجلًا قرويّاً يجرّ حماراً ، فأراد أن يختبر ركوبَ الحمار ، كتذكارٍ ، لمناسبة زيارته إلى تلك الديار ، وعرض على القروي استئجار الحمار ليركب عليه مشواراً لقاء إجرة معينة .

فوافق القرويُّ ، وساعد المدنيَّ على اعتلاء ظهر الحمار ، وأشار عليه أن يركِّزَ نظرَهُ بين أيدي الحمار ،

---

(١) « شيح بريح » سلام الراسي ، مؤسسة نوفل ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

حفظاً لتوازنه وخوفاً عليه من السقوط .

وبما أنَّ المدني كان من أساتذة الرياضيات ، وله خبرة في معرفة المسافات وتقدير القياسات ، لذلك ، وبحكْمِ مهْنَتِهِ ، استطاعَ أن يقدّر المسافة بين عينيه وأُذني الحمار بمترٍ واحدٍ تقريباً .

وحدث أن انقطعت « الحياصَةُ » التي تشدُّ البَرْدَعَةَ إلى ظَهْرِ الحمار ، وكانت الطريق تتَّجِهُ نزولًا ، فبدأتِ البَرْدَعَةُ تنْحَدِرُ صوبَ رقبة الحمار ، فتتقلّص المسافة ، تدريجياً ، بين عينَي الرجل المَدنيّ وأُذني الحمار .

وراحَ الرجل يُعيدُ تقديرَ المسافة ، قال : إنها صارت تسعين سنتيمتراً ، ثم ثمانين ، ثم ستّين ، ثم أربعين ، وهلمّ جرّاً حتى أوْشَكَتِ البردَعَةُ أنْ تصل إلى أذني الحمار .

وكان القروي يمشي قُدَّام الحمارِ ، فلم يلتفتْ ولم يلاحظْ ما كان يحدث وراءَه .

وعندما بلغت البردعة أذني الحمار تضايق ونكّس رأسه ، « فقشط » الرجل أمامَ الحمار ، فالتفتَ القروي وسأله :

ـ « ليش نزلت ؟ بعدو المشوار ما خِلِص ! » .

قال الرجل : « لكن الحمار خِلِص ! » .

فجرت عبارَتُه مجرىٰ الأمثال .

تعَلَّم البَيطره بحَمير النَّوَر

في بعض الأحيان ، أصيرُ أنا نفسي ، شاهِداً من شُهودِ حكاياتي ، وشهيداً على مسرح دعاباتي ، ويصير جوري على نفسي مثل جوري على بعض الناس ، « ومَن ساواكَ بنفسه ما ظلمك » .

* * *

مع تقادم الأيام ، صار لي تلاميذ وأنصار ، يسمعونَ أقوالي ، ويحفظون حكَمي وأمثالي ، فاطمأنّ قلبي .

وكان من بين هؤلاء شابٌّ أديبٌ نجيبٌ « تلميذي الحبيب » ، وصرتُ أُشْرِكُه في جميع أموري حتى لا تفوته شاردة أو واردة من مرْوِياتي ، فإذا دنا أجَلي ، أكمل تلميذي هذا عملي ، فلا تضيع أتعابي سدىً .

وحدث أن أوصيت على بدلة جديدة ، عند خيّاط لم يُتقن خياطتها ، فحَمَلْتُها إليه طالباً إصلاحها ، ورحت أتجادل معه في شأنها .

وكان « تلميذي الحبيب » معي ، فانتصر لي ، ووقف في وجه الخياط ، وصاح به :

ـ « أنت خياط ؟ . . . أنت معلّم ؟ . . . أم إنك ـ كما قال المثل ـ تريد أن تتعلم البيطرة بحمير النَوَر ! » .

ففطنت عندئذٍ إلى واقعة حالٍ يرويها الدكتور شاكر الخوري ، في كتاب «مجمع المسرّات» . عزَّيْتُ نفسي بها .

يقول الدكتور شاكر الخوري : إنَّ أحدَ أصدقائه الشهابيين كان عنده ابن أصابه عارض صحّي ، فانْعَقَدَ لسانُهُ وكفَّ نهائياً عن الكلام، فحضر الدكتور شاكر ، وأعطى الولدَ دواءً استسلم بعده إلى نَوْمٍ عميق ، ثم ما لَبِثَ أن نهضَ فجأةً ، ونادى أباه .

ففرح أبوه والذين كانوا عنده ، لأنَّ عقْدَةَ لسانِ الولد انفكّت ورجع يتكلم ، فقال الولد :

ـ « يا أبي ، رأيتك في المنام كديشاً ، وأنا أرْكَبُ عليك ، فلمّا وصلنا إلى النهر سقَطْتَ بي . . . » .

فانتهره أبوه وطرده من حضرته ، فقال الذين كانوا عنده : « دعه حتى يخلّصك من الماء ! » .

تشتري أحسَنْ حمار ، وَلا تصِير « ابن كار » !

في أيّام حداثتي ، كان أبناء الجنوب ، إذا تحدّثوا عن رجل وضيع ، صار رفيع القدر ، قالوا : صار الزبّال

« طبّال » ، والحمار « مهندس » .

ولم أكُنْ ، ذلك الوقت ، أعرف كيف صار الزبّال طبّالًا ، إلا أنني كنت أعرف كيف صار الحمار مهندساً ، وعند أهل مرجعيون الخبر اليقين .

في العهد العثماني ، كانت طريق العربات ، من صيدا إلى مرجعيون ، تصل حتى جسر « الخردلي » على نهر الليطاني فقط .

ثم قرَّرت الدولة العلية شقَّ الطريق من جسر الخردلي إلى مرجعيون ، عبر أماكن وَعِرَة وشديدة الانحدار ، فوقع الاختيارُ على حمارٍ ، واسعِ الحيلة ، كثيرِ الاختبار ، جازوا به من مرجعيون ، وأطلقوه عند جسر الخردلي ، وتبعوه ، ووضعوا علامات تلو علامات ، حتى مرجعيون[1] .

ثم بُوشر بشقِّ الطريق وتعبيدها ، وفقاً لهندسة

---

(١) يقول الأستاذ ألفرد أبو سمرا ، صاحب « القلم الصريح » المرجعيونية ، أن « بشارة الدب » مهندس ولاية بيروت ، في القرن الماضي هو الذي استعان بالحمار ، لشق الطريق للعربات التي كانت تجرها الدواب ، ولذلك كان لا بد من الاستعانة بحمار من أهل الاختبار .

الحمار وتصميمه ، وما زالَتْ طريق مرجعيون ، حتى الآن ، هي الطريق التي وضع الحمار تصاميمها ، نَقْطَعُها صعوداً وهبوطاً مترحمّين ـ لا مسترحمين ـ وقد آلينا على أنفسنا الحفاظ عليها تخليداً لذكر الحمار ، ليبقى اسمه بين المضلِحِين .

هذه هي حكاية هندسة طريق مرجعيون ، كما كان يرويها شيوخ قريتي ، لكن يبدو أن لهذه الحكاية ذَنَباً جميلاً ما زال يقبض عليه ويحتفظ به شيخ ثقة من رجال ذلك الزمان ، ولا مناص من إعادة تركيب ذنب الحكاية في مكانه ، لئلا يضيع .

يقول « أبو سعد الدير عطاني » أنَّ الفرنسيين ، في عهد الانتداب ، قرروا تقويم الطريق ، هذه ، فأوفدوا أحد كبار المهندسين ، الذي باشر عمله قرب جسر الخردلي ، بأخذ الشّقْلات والمقاسات ، بواسطة بعض الأجهزة والآلات ، وبمساعدة عدد من العمال والمساعدين .

لكن ما لبث بعض الفلاحين ، من سكان القرى المجاورة ، أن لاحظوا وجود حركة غريبة مريبة قرب الجسر ، وجاءوا مستطلعين مستفسرين .

فقال المهندس : جئنا نضع دراسة فنيّة حديثة لشقّ طريق جديدة إلى مرجعيون ، حسب أصول الهندسة .

قالوا : ولكننا في هذه البلاد نستخدم حماراً خبيراً قديراً لهذه المهمة ! .

فابتسم المهندس ، وقال : وإذا تعذّر وجود حمار خبير قدير ! .

قالوا : عندئذٍ ، لا بُدَّ من تكليف مهندس خبير قدير بهذه المهمة .

فلَمْلَمَ المهندسُ حينئذٍ أوراقه وأوتاده ، ورجع من حيث أتى ، وقدّم تقريراً بواقع الحال .

ويُضيف الأخ أبو سعد أن طريق مرجعيون ، بقيت ، لهذا السبب ، كما هندسها ذلك الحمار الخبير القدير .

* * *

قلت : إني عرفت ، منذ حداثتي كيف صار الحمار مهندساً ، أما كيف صار الزبال طبالًا ، فخبره عند الأخ « أبو الجود » ، قال :

في ذلك الزمان ، كان متعهدو تنظيف الشوارع في

مدينة بيروت يجمعون الزبالة وينقلونها على الدواب ، إلى أمكنة معينة على الشاطىء .

وكان على الزبّال ، ذلك الزمان ، أن يقتني حماراً ، كانت أجرته في النهار عشرة قروش ، وأجرة صاحبه خمسة ، أي : نصف أجرة الحمار . وكنت إذا سألت زبالًا عن أحواله ، أجاب : ما زال الحمار بخير ، أنا وعائلتي بخير .

ويُحكىٰ أن زبّالًا مات حماره، فولول وصاح: «واحماراه!» وجلس قرب الحمار يعدِّدُ خصاله ويذكر أفضاله .

وجاء جماعة من المعزّين وقفوا حول صاحب الحمار صامتين ، ثم تقدم رَجُلٌ ، وقال : يجب أن تشكر الله ، لأن « الفقيد » حمار لا حصان ، لأن الحصان إذا مات خسرت ثمنه ، لأن جلده لا يصلح لشيء ، أما الحمار فإنك تسلخه وتشدّ جلده طبلًا ، فتبيعه بثلاث أرباع ثمن الحمار .

فانتبه الرجل ، وشمّر عن ساعديه ، وسلخ الحمار ، وشدّ جلده طبلًا علّقه في رقبته ، ومشىٰ يقرع عليه في أزقة المدينة ، لعله يجد مَن يشتريه .

فالتمَّ صبيان الحيّ على صوت الطبل ، وخطر للرجل أن يجمع منهم ما تيسّر معهم ، فوجد في المساء أنه جمع من قرع الطبل أكثر مما كان يقبضه من نقل الزّبْل .

وحدث عرس في المدينة ، فحَمَل طبْلَهُ وجاء ، وصال وجال ، فنقدوه عشرين قرشاً . ثم رجع رجُلٌ من الحَجِّ ، فمشى بطبله أمام المستقبلين ، وقبض خمسين قرشاً حلالًا زلالًا .

أخيراً قرَّر الرجل أن يعتزل كارَ الزبالة ، ليتفرّغ « للفن » . وعرف قيمَةَ نَفْسِه ، وأسِفَ لما فاتَ من عمره في عشرة الحمير ومَن هم أحمر من الحمير ، فطلَّقَ زوجته ، لينسىٰ تعاسته ، وتزوَّجَ امرأةً تليق بمقامِه ، وعمل لِنَفْسِهِ أُبَّهَةً . وصار من أصحاب الجاه في المدينة .

وفي أحد الأيام ، أراد زَبَّالٌ آخر أن يحتفل بزواج ابنه ، فدعا ـ زميله السابق ـ الطبَّال ، وقال : أنت صديقنا ومجبور فينا . فحضر الرجل بطَبْلِه ، وقام بالواجب ، فشكره الزبّال ، وعرض عليه إكرامية ، فقال : إجرتي مقطوعة ، خمس ليرات ! .

فوَجَم الزبَّال، وقال: ألا تخاف الله؟ أنسيت أني أعيش من تعب حماري؟ ألا تذكر أنك كنت زميلي وصديقي في يوم من الأيام؟ ألا تعلم أنني أستطيع بخمس ليرات أن أشتري أحسن حمار في المدينة؟

أجاب الطبال: تشتري أحسن حمار، لكنك لا تصير «ابن كار»!

يقول الراوي ـ على ذمتِهِ ـ أن كثيرين من الزبَّالين، بعد هذه الحادثة، باعوا حميرهم وشدوا طبولًا وصاروا فنانين «ابناء كار».

وقد نشأت أزمة الزبالة في شوارع بيروت، مذ صار عدد الزبّالين أقلّ من عدد الفنانين[١] في المدينة.

* * *

عندي جاري «ابن كار»، ورث كار السكافة عن أبيه، عن جده الذي كان أول مَن شدّ مداساً بشريطة في رأس بيروت.

كنت أمر يومياً أمام باب دكان هذا الجار، ابن الكار، فأراه جالساً على سُدَّتِه، وراء السندان، كأنه

---

(١) ليلاحظ أن الفنّان من أسماء الحمار.

سلطان ، فردة الحذاء في يُسراه ، والشاكوش في يُمناه ، وكمشة مسامير في فمه ، يتناولها واحداً واحداً ، وبين كل مسمار جملة أحاديث وأخبار ، قلت : لا بد أن تكون عند هذا الجار العرمرم حكمة أتعلمها منه ، فلا يضيع يومي سدىً .

ودخلت وجلست على صفيحة تنك فارغة ، راحت تقرقع تحتي ، كلما « تحلفصتُ » فوقها . ومع ذلك شكرتُ الله ، لأني وجدتُ ما أُلقي طرفي عليه .

وتذكَّرْتُ أنَّ أمين الريحاني قال عن إسكندر الرياشي ، إنه كان يقرأ مئة سطر ليكتب سطراً واحداً ، فقلت : ليت أمين الريحاني يعرف أنني أجالس ، في النهار الواحد ، عتالاً وزبالاً وطبّالاً وبائع بطيخ وخمسة سائقي تاكسي وإسكافياً عرمرماً وثمانية متبطّلين وعشر عجائز طرْش ودركياً متقاعداً ورجل دين وثلاثة من المجاهدين ، إضافة إلى بعض الدعاة الثقات من أصحاب النظريات ، وأنّني أتعشىٰ ثلاثة دواوين من الشعر ، ثم أتحلّى بأغنية « ويلي ويلي » من راديو بيت الجيران . أفعل كل ذلك ، لعلي بالتالي ، أستفيد حكمةً أو مثلاً أو حكايةً أكتبها لئلا تضيع .

أعودُ إلى صديقنا الإسكافي الذي كان يمدّ حديثاً متسلسلاً ، منذ الصباح ، على رجُلين « مقنبزين » في الزاوية ، وما زال يتابع حديثه بين كل مسمار ومسمار ، دون أن ينبس الرجلان ببنت شفة ، قلت : لعلهما « يتلطّيان » في الزاوية حتى لا تراهما زوجتاهما إذا عبرت إحداهما في الزاروب .

ثم انتبه أخونا الإسكافي إلى دخولي ، وقال : أمر ، يا خواجه ! .

قلت : عفواً ، أنا أريد أن أتعلّم شيئاً جديداً ، وجئت إليك الآن .

فعاجلني : يا أخ ! هذا كار السكافة ، موهبة مش اكتساب ، فإذا تعلمت السكافة على كَبَر ، ولم تكن من أصحاب المواهب ، فلا يمكن أن تصير « ابن كار » .

فقبلت نصيحتَهُ ، وخرجتُ .

التِكرار ، بيصيِّر الفيلسُوف حمَار

وراح نهارٌ وجاء مساءٌ .

فاستوى أبو زيدون في مجلسه ، ومَدّ حديثاً عن فجور الدعاية وعن طغيان الإعلان ، على الإنسان ، في

هذا الزمان ، فروى لابنه ، كيف صار الإنسان عبداً مستضعفاً أمام هجوم الدعاية عليه ، أينما كان ، في مكتبه وفي منزله وفي معبده وفي مدرسته ، وعلى الجدران وفي كل مكان ، ولا سيما بعد تطوّر وانتشار وسائل الإعلام ، وتسخيرها لتضليل الإنسان ، في غالب الأحيان ، وزجّ البشرية في جاهلية جديدة ، وضرب له مثلًا ، قال :

ـ يُحكىٰ أن أحد ملوك الزمان ، كان عنده جحش كِرّ ، ربّاه في قصره وبين أولاده ، وصار يحبّه ويتوسّم أمارات النجابة في وجهه ، حتى إنّهُ أمر وزيره ، في أحد الأيام ، أن يتولّى تعليم الحمار . . . فقد يصير فيلسوف زمانه .

فنزل الوزيرُ عند إرادة الملك ، مخافة أن يثير غضبه ، إلا أنَّه طلب إمهاله خمس سنوات ، يعيد الحمار بعدها إليه وشهادته في رقبته .

ثم حدث ، بعد ذلك ، أنِ اختلىٰ المَلِكُ بزَوْجَتِهِ ، في إحدىٰ الليالي ، وراح يحادثها في مختلف شؤون المملكة ، فروىٰ لها قصة الحمار الذي تعهّد الوزير بتعليمه إلى أن يصير فيلسوفاً .

فقالت الملكة : سامحك الله ! أيها الملك العليم الحكيم ، أخطأت هذه المرّة ، على غير جاري عادتك ، إذ ليس من المصلحة العامة أن يصير الحمار فيلسوفاً ، بل على العكس ، يجب أن يصير الفيلسوف حماراً ، لأنَّ تكثير عدد الحمير ، أسلم عاقبةً وأقلّ ضرراً من تكثير عدد الفلاسفة في هذه الأيام .

فوقَعتْ نصيحَةُ الملكة ، موقع الرضىٰ في عين الملك ، وأمر وزيره في اليوم التالي ، أن يُعيد إليه الحمار حماراً ، وأن يتولّى ، من الآن وصاعداً ، تعليم أحد فلاسفة الزمان ، أصول « علم الحمرنة » إلى أن يصير حماراً .

ونزل الوزير مرةً ثانيةً عند إرادة الملك ، ووضع يده على أحد كبار الفلاسفة ، واحتجزه في مكان حصين ، ومنع عنه جميع المقابلات والاتصالات ، وراح يفكِّر في وسيلة يجعل بواسطتها الفيلسوف حماراً .

في ذلك الوقت ، كان أحد تجار المدينة قد أصيب بلوثة في عقله نتيجة إصابته بخسارة في ماله ، وراح يهذي طوال يومه : « سبعة مع سبعة ، عشرين » ، وهلمّ جرّاً .

فقبض الوزير على التاجر المجنون واحتجزه مع الفيلسوف ، ليرى ماذا يكون من أمره .

فراح التاجر يقول للفيلسوف : « سبعة مع سبعة ، عشرين . سبعة مع سبعة ، عشرين . سبعة مع سبعة عشرين » ، بدون انقطاع ، وعلى نمطٍ واحدٍ ووتيرةٍ واحدةٍ ، ويكرِّرُ عبارَتَهُ ويوجِّهُهَا إلى الفيلسوف ، بلا كَلَلٍ أو مَلَلٍ ، من الصباح حتى منتصف الليل ، حتى فقد الفيلسوفُ أعصابَهُ وراح يصرخ ويستغيث .

وعندما حضر الوزيرُ ، صرخ الفيلسوف : والله وبالله وتالله وبشرفي وشرف جميع الأنبياء والفلاسفة والملوك والوزراء والتجار والمجانين ؛ أني فهمت وتعلَّمْت وآمنت وصدّقت ، برضاي واختياري ، وبدون إكراه أو إغراء ، وبلا تحفّظ ، وحسب الأصول المرعيّة أن « سبعة مع سبعة ، عشرين » ولا يصح إلا أن تكون كذلك ، مهما تغيّرت الظروف والأحوال .

فهزّ الوزير رأسه وقال : صدق مَن قال : إن التكرار بيصيّر الفيلسوف حمار !

* * *

جَحْش القاضِي مَا بيآذي

وراح نهارٌ وجاء مساءٌ .

واستوى أبو زيدون في مجلسه ومدّ حديثاً عن جماعة « ماشي الحال » ، فنعتهم بالأنذال ، وضرب لابنه مثلاً ، قال :

ـ كان لأحد القضاة جحش كِرّ ، يُطلقه علىٰ سجيّته ، فيسرح ويمرح في البساتين والكروم والحقول ، ويعيث فيها فساداً .

وبدأ التذمُّر ، وكثر الهمس والغمز ، ثم عمّ الاستياء ، وراح الناس يتشاكون همومهم في ما بينهم ، ولا يتجاسر أحد منهم على إعلان الاحتجاج ، فالقاضي هو القاضي ، والجحش هو جحش القاضي ، والمثل يقول : « كلب المير مير »[1] ، ولا حول ولا قوّة . . .

وعندما بلغت الحالة حدّاً لا يطاق ، تنادىٰ جماعة من أصحاب الأملاك ، وقالوا : إلى متى هذا السكوت ، عن تصرّفات الجحش ؟ يجب أن نعرض الأمر على القاضي ، مهما كانت النتيجة .

---

(١) أي : كلب الأمير أمير .

وشكّلُوا وفداً من كبار القوم ، وطلبوا مقابلة القاضي ، ومثلوا بين يديه .

وكان من جملة أعضاء الوفد شيخ تعوّد مقابلة الحكّام ، وتمرّس بولوج أبوابِ الكلام ، فَحَيَّا وقال :

إنّ المثول في حضرتكم ، أيها السيد الكريم ، شرف عظيم ، ونحن إنَّما جئنا الآن ، نطلب رضاكم ونسأل خاطركم ونعرض لديكم موضوعاً يهمّنا ويهمّكم .

وتريّث الشيخ قليلًا ، على أمل أن يتناول حبل الكلام أحد أعضاء الوفد ، وعندما أحجموا ، تابع كلامه ، فقال :

بما أنَّكم ، يا فضيلة القاضي ، مسؤولون عن أمن البلاد وراحة العباد ، لذلك سيعرض لكم الآن هؤلاء الرفاق ، ما جئنا من أجله .

وتوقّف الشيخ قليلًا ، ليفسح في المجال ، لمن أراد الكلام . وعندما صمتوا جميعاً ، أضاف :

إنَّنا جئنا نلفت نظر فضيلتكم إلى موضوع الجحش ، لأن الجحش لا يجوز أن يبقى على هذه الحالة .

والتفت الشيخ إلى مَن كانَ حوله ، وقال :

تفضّلوا يا إخوان وقدّموا لفضيلته ما اتفقنا عليه بشأن الجحش .

فوجموا جميعاً .

فاستطرد الشيخ :

وقد لاحظنا ، يا فضيلة القاضي ، أنَّ جحشكم الميمون ، يقوم بألعاب بهلوانيّة جريئة ، ويتمطّى بحركات بريئة تُبهج النواظر وتشرح الخواطر ، ولا سيّما متى نعص وشهق ونهق وشرد بين الكروم والبساتين ، فتجري وراءَه الأنظار . . . وتقلق الأفكار . . .

وسكت الشيخ قليلًا ، لعل أحد الحاضرين يتجرأ على متابعة الكلام .

فقال القاضي : ولماذا تقلق الأفكار ؟

فاستدرَك الشيخ ، عندئذٍ ، وقال :

خوفاً من أن يُصيب الجحشَ أيُّ مكروه، لاسمح الله .

وأضاف :

والذي اتَّفَقَتْ عليه كَلِمَتُنَا ، بالتالي ، هو أن جحشكم المذكور ـ خلافاً لسائر أبناء الحمير ـ لا يصدر عنه أي أذى ، مهما كرّ وفَرّ بين الحدائق والبيادر ، حتى قال الناس : « جحش الآضي (القاضي) ما بيآذي » .

ولذلك جئنا الآن نقترح على فضيلتكم أن تجلبوا جحشاً آخر ، يكون رفيقاً مؤنساً لجحشكم هذا ، فيعمّ بذلك سرورنا ، ويزداد حبورنا ، قد قرّرنا أن نتبرّع لكم بثمن الجحش الجديد .

وفكَّ الرجل كَمَرَهُ ، وتناول منه ما تيسّر ووضعه في طربوشه ، وحمله وطاف به على أعضاء الوفد ، فدفع كل واحد منهم ما كان معه من النقود .

وعندما خرجوا ، سألوا الشيخ : وماذا نقول الآن لزوجاتنا وأولادنا ؟

قال : قولوا لهم : « جحش الآضي (القاضي) ما بيآذي ! » .

فجرت عبارته قولًا مأثوراً .

حطّط عن جَحشتك

« الحاج قعدان » ، يقعد « مدقور الخاطر » على مصطبته ، في هذه الأيام ، لأنه ما كاد يدعس في السبعين من عمره حتى فقد بصره ، فصار نصف رجل ، لأن الإنسان : « نصفه قَشْع ، ونصفه سَمْع » ـ كما يقول المثل ـ وعندما سألْتُهُ عن حاله ، أجاب :

من كثرة ما حوَّشت أفكار ، وسمعت أخبار شقعتها

جميعها في رأسي أكثر من اللزوم ، نفخت جراب عقلي وطفشت « مية الزرقا » على عيوني .

فقلت : وهذا ما أصابني بالذات . . . حاولت تقوية بصيرتي على حساب بصري ، حتى كدت أفقد نظري .

فهتف الحاج قعدان : إذن، أنا وأنت من مقلع واحد!

ثم استطرد: الله يجيرنا من عِشرة «عميان القلوب» ، وأنا وأنت بألف خير ! .

أمس أردت أن أعرف أين « يدقر » عقل الحاج قعدان ، في هذه الأيام ، لأنني قَلّما عرفت رجلًا تجاوز الستين من عمره ، إلا كان عقله داقراً عند موضوع معين ، يحور ويدور حوله ، ويرجع مرجوعه إليه .

وأنا واحد من أصحاب العقول الدواقر ، في هذه الأيام ـ مثل الناس ولا باس ـ وموضوعي يعرفه الذين يعرفونني .

وعندما دخلت على الحاج قعدان ، كان يصغي إلى خطاب في الراديو ، فمدّ يده وأخمد نفس الخطيب ، وقال : يا أنا بلا عقل ، يما[1] كل الناس بلا عقل !

---

(١) أي : يا إما ، يعني : أو إمّا . حيث « يا » بالفارسية تعني : « أو » ، وهكذا يستعملها العامة .

وبدا لي أن الرجل صار يُنكر ويستنكر كل ما يسمعه من أقوال وأخبار ، في هذه الأيام ، حتى دقر عقله عند هذه المشكلة ، وهي إما أن يكون جميع الناس فقدوا عقولهم ، وإما أن يكون هو المجنون الأوحد في هذا الزمان ، ولا يوجد عنده رأي وسط بين هذين الاحتمالين .

وأضاف الحاج قعدان : لو كان في الإمكان ، أن يرى الإنسان عقله في المرآة ، كما يرى وجهه ، لانتحر أكثر الناس من بشاعة عقولهم .

أما جاري أبو شهوان ، فشأنه شأن الحاج قعدان . طَرِشت أذناه مؤخراً ، فصار كذلك ، نصف رجل ، لكنه ، مثل بعض فلاسفة هذا الزمان ـ الذين يحاولون « قولبة » أقدامهم على قياسات أحذيتهم ـ يَشْكُرُ اللهَ على نعمة الطَرَش ، قال :

متى امتلأ عقل الرجل بالأسرار والأخبار ، واختمرت في رأسه التجارب والأفكار ، وكان الله راضياً عنه ، أنعم عليه بنعمة الطَرَش ، فيكفيه شر الإصغاء إلى أقوال الأدعياء والسخفاء . . . هكذا يستطيع الرجل أن ينصرف إلى التفكير بما ينفعه في دنياه وفي أخراه .

ومكثْتُ جالساً لا أتكلم في مجلس الأخ أبو شهوان ، وأطلت مكوثي عنده لأفسح له في الكلام ، فأفهم أين دقر عقله فيْ محنته ، مع تقادم أيام شيخوخته ، قال :

الرجل في بلادنا « كلما زاد عمره قلّ قدره » . والسبب أنه لا يعود يعرف حدّه فيقف عنده ، بل يتمادى في انتقاد تصرفات أولاده وأحفاده ، ويسرف في تقديم النصائح الرخيصة إليهم ، فيزهدون فيه ، ويأنفون من مجالسته .

ويأخذ أبو شهوان مَجّة لها ضجة من فنجان القهوة ، ويضيف : الختيار ، يا جار ، يجب أن « يُحطّط عن جحشته » .

فسألته مُؤَمِّناً : وكيف يكون ذلك ؟

قال :

يُحكى أن رجلًا في أحد أحياء المدينة ، كان على خلاف دائم مع زوجته ، ينسب إليها جميع المساوىء والعيوب ، حتى ذاع أمر خلافه معها في أنحاء المدينة .

ثم ماتت الزوجة ، فجأةً ، وكان أصبح كهلًا يضرس من الحصرم ولا يطيق صبراً حتى يستوي

العنب ، فشعر بوحشة ، رغم كل ما كان بينه وبين زوجته ، ثم اغتمّ غماً شديداً ، وصار ضميره يؤنبه على كل ما كان يبدر منه نحوها .

قال أخيراً : من أجل راحة ضميري ، سأصرف بقية حياتي متجوّلًا من مكان إلى مكان ، أتبرع بنصائحي إلى الرجال أن يحسنوا معاملة زوجاتهم ، حتى تطول أيامهن معهم ، فلا يصيبهم ما أصابني بموت زوجتي .

وهبط إلى سوق المدينة ، واشترى جحشةً رَهوانِيّة وبَرْدَعة لائقة مع خِرْج يضع فيه حاجات السفر ، استعداداً لبدء جولته الميمونة على رجال المدينة .

لكن يبدو أن أكثر رجال المدينة كانوا على خلاف مع زوجاتهم ، وكلٌّ منهم يظن أن زوجته أسوء امرأة على وجه الأرض ، ويتمنّىٰ لو وجد سبيلًا إلى التخلّص منها .

وحدث أنِ اجتمعَ عَدَدٌ كبير من رجال المدينة ، وتداولوا نكباتهم مع زوجاتهم ، فنعى كل واحد منهم سوء حَظّه مع زوجته . . . وفطنوا أخيراً إلى صديقنا الذي ماتَتْ زوجته ، قالوا : ما أسعده رجلًا ، رضي الله عليه ، فخلصه من شؤم زوجته . لكن لا بد أنه ابتكر

حيلة بارعة قضى بواسطتها عليها ، فارتاح منها . . . قوموا ، إذن ! نذهب إليه ونلتمس منه أن يعلّمنا ، كيف نتخلّص من زوجاتنا .

وذهبوا . . . فوجَدُوا الرَّجُلَ يشدُّ البَرْدَعَة على ظهر جَحْشَتِهِ ، ويضع الخرج فوقها ، فسلَّمُوا عليه ، وسألوه ، أولًا ، أين يقصد ، قال : سأطوف على رجال المدينة أسدي إليهم نصائحي أن يحسنوا معاملة زوجاتهم ، حتى تطول أيامهن . . .

فصاحوا به : لا ! لا ! « حطّط عن جحشتك ! » لسنا في حاجة إلى نصائحك .

وصارت العبارة قولًا مأثوراً .

* * *

في تلك العشيّة ، كنتُ أبحث عن خمورٍ جديدة أضعها في دناني العتيقة ، وكان في نيّتي أن أتمّم جولتي على سائر زملائي ، من أصحاب العقول الدواقر ، فأرشف عن شفاههم بعض معتّقات أفكارهم ، بيد أنّني ارتويت من سلافة جاري أبو شهوان ، وقرَّرْتُ أن أحطّط عن جحشتي .

* * *

ومِنْ كتاب « حكي قرايا وحكي سرايا » لسلام الراسي :

الدنيَا حَكّ جْحاش

سنة ١٩٤١ اجتازت القوّات الإنكليزية حدود لبنان ، فلسطين ، واجتاحت بعض المناطق الجنوبية ، وجعلت قرية إبل السقي مركزاً لقيادتها .

وطلب القائد الإنكليزي أن يجتمع بوجهاء القرية ، فلّبوا طلبه . قال القائد ما معناه : إن الإنكليز خاضوا الحرب حباً بالسلام ، وعلى الشعوب المحبة للسلام أن تتعاون مع الإنكليز ، لما فيه خير الجميع .

فتنطّح أحد وجهاء القرية ، وقال : كلامك عالراس والعين ، يا حضرة القائد ، نحنا مستعدين نتعاون معكم ما زال في منفعة متبادلة ، والمثل بيقول : الدنيا حك جحاش ، حِكّلّي وبحكّلّك !

فاستهجن الحاضرون ، ولم يتورّع بعضُهُم عن الضحك ، وكنت أَتولّى الترجمة ، فشعرتُ بحَرَجٍ شديدٍ ، خشية أن يثير ضحكهم مزاج القائد الغريب ، واستدركت ، وقلت : إننا قرويون ، وقد اكتسبنا من

عِشرةِ الحيوانات بعض الحِكَم ، وبنينا عليها بعض الأمثال ، فالحمار ، مثلًا يستطيع أن يحك جميع أَعضاء جسمه ، ما عدا ظهره ، لذلك كلما التقى حماران عاريان تولَّى الواحد منهما ، بحكم غريزته ، حك ظهر الآخر بأسنانه ، لذلك نقول ، في معرض كلامنا عن تبادل المنفعة : الدنيا حَك جحاش ، حِكّلّي وبحكّلّك .

فانشرح خاطر القائد الإنكليزي ، وقال : هذا كلام جميل جداً ، وأجمل ما فيه أننا في بلادنا نستعمل هذا المثل ، فنقول : حِك لي ظهري ، وأنا أحكُ لك ظهرك . إلا أننا لا نعرف أساس هذا المثل .

وأردف القائد قائلًا : سأكتب ، الآن ، في يومياتي ، أن على الإنكليز أن يبحثوا في لبنان ، عن بعض جذور حضارتهم المنسيّة .

فقلت في نفسي : لا حول ولا قوة . . . كانت تنقصنا هذه المصيبة ، في هذه البلاد ، وهي أن نتعرض في وقت قريب ، لغزوة استعمارية للتنقيب عن حسابات منسية في دفاتر أجدادنا القروية .

* * *

هذه القصة وقعت منذ زمن بعيد ، لم يكن أدب

العامة يومئذ من اهتماماتي . وعندما بدأت أبحث بعدئذ عن جذور حضارتنا الشعبية ، فطنت إلى جواب القائد الإنكليزي ، وقلت : لا بدّ أن تكون هنالك مأثورات وحِكَم وأمثال مشتركة بين بعض شعوب الأرض ، ولا سيما حيث تفاعلت حضارات الشعوب بعضها مع البعض الآخر .

لا تشتري حمارَة وأمّها بالحارَة !

أبو خليل طشطش ، فقير إلى رحمته تعالى ، لكنه غني جداً بمأثورات الكلام .

سمعت رجلًا يشكو إليه أمره ، قال : إنه قلَّما عاد إلى بيته ووجد زوجته فيه ، وعندما تعود ، تقول : إنها كانت عند أمها .

فقاطعه أبو خليل : نسيت شو قال المثل : « لا تشتري حمارة ، وأمها بالحارة ، بس تفلت الواحدة بتروح لعند الثانية » .

إما أن يموت الحمار
وإما أن يموت الملك

يُحكى أن أحد ملوك الزمان ، كان عنده جحش كرّ ابن أتان ، ربّاه في قصره مَرْبى الدلال ، وكان يطلقه بين

جلّاسه ، فيدخل إلى الديوان أمام الوزراء والسفراء والأعيان وينهق ويتمطى بدون استئذان ، فينشرح خاطر الملك ، ويُشرق وجهه بالرضا والاستحسان .

وكان بعض كبار الحاضرين ، من السادة المتملّقين ، يبادرون إلى القول :

ـ خزاة العين عن هالجحش ! مش ناقصو إلا يحكي !

ـ يا عمي! جحش الملك ملك الجحاش ، وكل شي على بابو بيشبه صحابو .

ـ لازم مولانا الملك يحطّ معلم خاص يعلم الجحش يقرا ويكتب ، يمكن يصير فيلسوف زمانو .

فوجدت هذه النصيحة قبولًا في نفس الملك ، وأمر بإحضار أحد كبار فلاسفة ذلك الزمان وطلب منه أن يعلّم الجحش القراءة والكتابة .

قال الفيلسوف : هذا غير ممكن ، لأن أفلاطون كبير فلاسفة الدنيا يقول : « الإنسان حيوان ناطق » ، أما الجحش فهو حيوان غير ناطق .

فغضب الملك وأمر بشنق الفيلسوف ، ثم استدعى

أمير شعراء المملكة ، وطلب منه أن يعلم الجحش القراءة والكتابة .

قال الشاعر : هذا غير ممكن ، لأن الشاعر العربي يقول :

تَعَلَّمْ يَا فَتَى فَالجَهْلَ عَارُ
وَلَيْسَ بِجَاهِلٍ إلّا اَلْحِمَارُ

فأمر الملك كذلك ، بشنق أمير الشعراء ، واستدعى أحَدَ كبار رجال الدين وطلب منه تعليم الجحش القراءة والكتابة .

فقال رجل الدين : هذا غير ممكن ، لأن سبحانه تعالى خلق الإنسان على صورته ومثاله ، ولم يخلق الجحش على صورته ومثاله .

فأمَرَ المَلِكُ بَشَنْقِ رجل الدين ، ووقع اختياره ، أخيراً ، على معلم من إحدى المدارس الحكومية ، فاستدعاه وطلب منه أن يعلم الجحش القراءة والكتابة .

قال المعلم : عفواً يا مولاي ! فأنا نفسي لا أقرأ ولا أكتب !

قال الملك : وكيف جزت الامتحان أمام اللجنة الفاحصة ؟

قال المعلم : ولكنني كنت أحد أعضاء اللجنة الفاحصة !

أخيراً أمر الملك أن يُنادى في المدينة أن جلالته خصص مكافأة كبرى لمن يستطيع تعليم الجحش ، فانبرى لهذه الغاية رجل شيخ عجنته الأيام وخبزته التجارب ، ودخل وجثا ، وقبّل الأرض أمام الملك ، ثم التفت صوب الحمار وحيَّاه بجد ووقار .

فانْبَلَجَ ثغرُ الملك عن ابتسامة عريضة ، وهتف : إذن أنت تفهم لغة الحمير ! .

قال الرجل : أجل يا مولاي ! وها هوذا الحمار يردّ التحية إليّ بمثلها ، وذلك برمْشَةٍ من جفنه وعَطْفَةٍ من أذنه ، فليطمئن بال سيدي الملك ، إنَّما لا خفاكم الأمر ، أن القضية تأخذ بعض الوقت ، وتستوجب بعض المصاريف لتأمين الأغذية والأشربة التي تشحذ ذهن الحمار وتساعده على الحفظ والاستظهار ، والجوز والصنوبر والزنجبيل وشراب البيلسان والعسل والزبيب والخولجان وغير ذلك ، وأملي بالله ، إذا سلَّمْتَني هذا الحمار الآن ، أن أعود به إليك بعد خمس سنوات وشهادَتُهُ في رقبته .

فأمر الملك بفتح اعتماد خاص لهذه الغاية وضعه تحت تصرُّف الرجل، وسلّمه الحمار، فجرّه وخرج به .

وكان بعض أصدقاء الرجل قد تجمَّعوا خارجاً ، وقلقت أفكارُهُم عليه ، فإذا به يخرج والجحش وراءه ، ويخبرهم بما حصل .

قالوا : ولكنك رجل مجنون ، ماذا تفعل بعد خمس سنوات ؟

قال : بعد خمس سنوات ، إمّا أن يموت الحمار ، وإما أن يموت الملك ، أو أموت أنا ! .

* * *

وأخذ الحمار حيزاً هاماً في مختلف أنواع ومظاهر الآداب الحديثة ، حتى أنه ظهرت سلسلة أفلام كرتونية للصغار عن « مذكرات حمار »، وكذلك هناك سلسلة من الأفلام الكرتونية العربية تحكي مغامرات حمار اسمه زعتور .

وفي الأدب العالمي أدباء كتبوا عن الحمير ، مثل الكونتيسة دوسيغور La Contesse De SEGUR في كتابها : « مذكرات حمار » .

وقد ترجمه للعربية الأستاذ حسين الجمل تحت عنوان : « خواطر حمار ، وهي مذكرات فلسفية وأخلاقية على لسان حمار » أَعَدْتُ طبعه ، وصدر عن الجفان والجابي للطباعة والنشر ، ليماسول ، قبرص .

وكذلك الكاتب التركي عزيز نيسين في كتابه : « الحمار الميت » الذي ترجمه للعربية : عبد القادر عبد اللي ، وطبع في دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر ، اللاذقية ، سورية ، عام ١٩٨٩م .

وله كذلك مجموعة قصص قصيرة تحت عنوان « آه منا نحن الحمير » ، لم أراها مترجمة إلى اللغة العربية .

* * *

وفي الختام لا تفوتنا الإشارة أن قسماً كبيراً من « نوادر جحا » يشاركه فيها حماره[١] .

* * *

وهكذا نكون قمنا بجولة حاولنا الاطلاع من خلالها على أهم ما ورد في الأدب العربي عن الحمير .

* * *

---

(١) راجع طبعتنا لِـ« نوادر جحا الكبرى » نشر الجفان والجابي للطباعة والنشر ، ليماسول ، قبرص .

الخــــاتـمـة

وبَعْدُ؛ عزيزي القارىء ، فهذه إرشاداتٌ إلى بعض أماكن أخبار الحمير في الأدب العربي ، فإنك تجد أنه تمت الإشارة أحياناً إلى اسم شاعر كالشَّمَّاخ مَثلًا ، وأَنَّهُ من أَوْصَفِ النَّاسِ للحميرِ ، ولم أُورِدْ لَهُ بَيت شعرٍ واحـد ! لأنـي قَصَـدْتُ مـن الكتـابِ أَن يَكـونَ واسِـعَ الإِشارة ، قليل العبارة؛ حتى تَسْهُلَ قراءَتُهُ ، ويحصلَ الإمتاعُ المقصودُ من جَمْعِهِ .

وقَبْلَ أَن أَخْتِمَ ، أتوقَّعُ من قارئي العزيز إنْ أراد أَن يكتب لي مقترحاً أو مُصحِّحاً أَو مُشيراً؛ أن لا يَبْخَلَ عليَّ باقتراحاتِهِ أو تَصْحيحاتِهِ أو إشاراتِهِ .

وفي الختام ، أرجو أن أَكونَ قَدَّمْتُ للقارىء العربي صفحاتٍ ممتعةً ، سَرَّتْهُ وأَمْلَحَتْهُ وأَحْمَضَتْهُ ، قاصِداً أن يُثِيبَنِي اللهُ سُبْحانه وتعالى على نِيَّتِي ، من المُتْعةِ البَريئةِ ، والنُّكْتَـةِ الظـريفـة ، وآخـرُ دَعـوانـا أنِ الحمـد لله رب العالمين .

دمشق في ٧/ ٢/ ٢٠٠٢

بسّام عبد الوهّاب الجابي

الفهرس

من مؤلفات سلام الراسي

كتب صدرت
عن الجفان والجابي للطباعة والنشر ودار ابن حزم
بعناية
بسّام عبد الوهّاب الجابي

نوادِرُ جُحَا الكُبْرى

ترجمه من التركية

حكمت شريف الطرابلسي

يتناول هذا الكتاب أخبار جُحَا ونوادره ، وتُعَدُّ هذه الطبعة أكثر الطبعات جَمْعاً للنوادر ، حَيْثُ إِنَّها تَرْجَمةٌ لأشْمَل الطبعات التُّرْكِيَّةِ وأكْثَرِها قِصصاً ، وأكْمَلِها . ثم أَلْحَقَ مُتَرْجِمُهُ ما عَثَرَ عليه في كُتُبِ العَرَب والتُّرْكِ من أخبار جُحا وأطوارِهِ وقِصَصِهِ ونوادِرِه ؛ لم تردْ في الأصل المُتَرْجَم .

كتاب البخلاء

تأليف

أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي

الخطيب البغدادي محدّثٌ كَبيرٌ ، ومؤرِّخٌ عظيمٌ ، هو صاحِبُ « تاريخ بغداد » . جمع كُلَّ الأخبارِ التي لها علاقَةٌ بالبُخْل والبخلاء ، ونَسَّقَها وضَمَّها في أبواب ، ابتداءً بالأحاديث النبوية ، ثم بالأخبار الأدبية والروايات التاريخية . فقد ضَمَّ الأدبَ النبويَّ ، والنادِرَةَ الأدبيَّةَ ، والطرفة التاريخية ، والأَشْعارَ المُمْتِعةَ ، والحوادِثَ الرَّائعَة .

وصَفَ البُخلاء والباخِلين ، وأَوْرَدَ أقوال مادِحيهم وَذامِّيهم ، وأخبارَ المشْهُورِين منهم ، ونوادِرَ كلامِهِم وأشْعارِهِم ، ونوادر ما قِيلَ فيهم وبأَمْثالِهِم .

كتاب الظِّراف والمتَماجِنين

تأليف

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

يجمعُ هذا الكتاب نوعين من الأخبار :

- أخبار الظَّرْف والظُّرفاء .

- أخبار المجون والمتماجنين .

وهو كتاب فَكِهٌ يدخل السرور إلى نفسِ قارئِهِ ، حيثُ يَجِدُ فيه بلاغَةَ اللِّسانِ ، وعُذوبَةَ المَنْطِق ، وملاحَةَ الفُكاهة والمُزاحِ .

المُرَاحُ في المُزَاح

تأليف

أبي البركات بدر الدين محمد بن محمد الغَزِّي

جمع مؤلِّفُه فِيهِ أَخبَار المُزَاح خاصة ، مبتدأً بما ورد من تعريفٍ به ، ثم ما ورد في الحديث النبوي ، وأخبار الصحابة رضوان الله عليهم وأخبار من تبعهم؛ من أخبار فَكِهَةٍ ، وأحداثٍ ممتعة؛ تضحك المطلع عليها وتُسِرُّهُ؛ وتُشِيعُ في أوصاله الضحك والمتعة .

قَرَاقُوش

يقول ناشِرُهُ :

قَراقُوش من أَهمِّ الشخصيات الساخرة ، بل التي يُسْخَر منها ، وتُتَّخَذُ للطَّنْزِ ؛ في الأدب العربي .

حاولتُ في هذا الكتاب أَنْ أَجْمَعَ أَغلبَ ما كُتِبَ عن قراقوش ، إِنْصافاً لِرَجُلٍ أَسْلَمَ فَحَسُنَ إسلامُه وجاهَدَ في سبيل الله؛ وتبياناً للإِجْحاف والإساءَةِ اللَّتَيْن لَحِقَتَا به ، وإِحْماضاً للقُرّاء بالقصص التي حاول البعض أن يُلْصِقَها به؛ وذلك من خلال نشر نصوص ترجمته في النصوص العربية أو ترجمة النصوص الغربية ، وكذلك من خلال نَشْرِ نَصِّ الأسعد ابن المَمَّاتي : « الفاشوش في حكم قراقوش » ونصوص أخرى .

التطفيل

وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم

تأليف

أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي

الطُّفَيْلِيُّ هو الداخِلُ على القوم من غَيْر أن يُدْعَىٰ .

جمع المؤلِّف رحمه الله في كتابه كُلَّ ما ورد عن الطفيليين منذ الجاهلية إلى عصره؛ من حكايات وأخبار ونوادر وأشعار .

وهو كتاب أدب وملح ، ومتعة وإحماض؛ يدخل السرور إلى نفوس قرّائه ، والبهجة والحبور .

خواطر حمار

وهي مذكرات فلسفية وأخلاقية على لسان حمار

تأليف

الكونتيسة دوسيغور

La Contesse De SEGUR

ترجمة

حسين الجمل

في هذه المذكرات يحدّثنا الحمار كديشون عن أَيَّامهِ ومُعاناتِهِ مع مالكيه وأطفالهم ، وأطفال أقربائهم .

كما يُحدِّثنا عن مشاعره وآراءه ونظراته في ما يَدُورُ من حوله من الأحداث اليومية .

كتابٌ يفيض بالحكمة البالغة ، والفُكاهَةِ السائغة ، والموعظة الحسنة؛ في الأسلوب الشائق ، والأدب الجميل .

غِذاءُ الأَرْوَاح بالمُحادَثَةِ والمُزاج

تأليف

زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي

جَمَعَ هذا الكتابُ أخبار المُزاح والمُتمازِحِين ، وأضافَ إِلَيْها بعضاً من أخبار الحمقى والمغفلين والثُّقلاء والبخلاء ، فأَتَىٰ كِتاباً يضمُّ بين دُفَّتَيْهِ المداعبَةَ والمُباسَطَةَ اللَّطيفة ، هادِفاً إِشاعة البَسْمة والسُّرورِ بين قارئيه ومراجعيه . وحوىٰ « حكايات تُزيلُ الهُمومَ ، عن قَلْبِ المَغْمومِ؛ وتحسُنُ بها المعاشَرةُ ، وتلذُّ بها المُسامَرة » .

أخبار الأذكياء

تأليف

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجَوْزِي

جَمَعَ فيه مؤلِّفه أَخْبَارَ الأذكياء من مُخْتَلَفِ فئاتِ المجتمع ، بل تطرّق إلى سلوك الحيوان التي تَدُلُّ على ذكاء! .

يجد فيه القارىءُ مُتْعةَ مغرفَةِ سلوك الأذكياء لِحَلّ المُعْضِلات ، فيَتَلَقَّحُ بذلك ذهنُهُ وعَقْلُهُ لينال مَرْتَبَتَهُم .

قال مؤلِّفُهُ رحمه الله تعالى : ثَبَتَ أَنَّ رُؤْيَةَ العاقِلِ ومخالَطتَهُ تُفيدُ ذا اللبِّ؛ فَسَماعُ أخبارِهِ تقومُ مقامَ رُؤْيَتِهِ .

ويَنْقُلُ عن الخَليفةِ العَبّاسي المَأْمُونِ قولَهُ : لا شَيْءَ أَطْيَبُ من النَّظَرِ في عُقُولِ الرِّجالِ .

روضة العزبان وتنبيه الغفلان

(كتاب يبحث فيما يعانيه المتزوّج وينعم به الأعزب)

تأليف

جرجس بن حنّا كبة

كتاب تَغْلُبُ عَلَيْهِ اللُّغَةُ العامِّيَّةُ الشامية ، بأسلوب الحَكَواتِي؛ قُصِدَ منه مواساةُ الأَزْواج المَغْلوبِين على أَمْرِهِم ، المَظْلومِين من زَوْجاتهم وأَوْلادِهِم .

قُصِدَ من نَشْرِهِ الإخماضُ والتَّملُّح ، لا الدعوة إلى التبتّلِ والعُزُوفِ عن الزواج ، بل هو من بابِ أَنَّ شرَّ البَلِيَّةِ ما يُضْحِكُ .

فيه وصف لعاداتٍ وتقاليد كان أهلُ بلادِ الشام يقومون بها عند الزّواج؛ من خطبةٍ ووَلِيمَةٍ واحتفالٍ وغيرِ ذلك .

وفيه ذكر لأمثالٍ كانت رائجة في القرن التاسع عشر ، وأَغْلَبُها ما زال مستَعْملاً .

كما تَضَمَّن الكثير من الألفاظِ العامِّية الأَعجمية والمُعَرَّبة مع شَرْحها .

الطّبعَة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

Printers - publishers

JAFFAN TRADERS P.O.Box: 54170 - 3721 Limassol - CYPRUS
Fax: 357 - 5 - 591160 Phone: (05) 583345
http://www.jaffan.com/ - E-mail: hj@jaffan.com

دار ابن حزم للطّباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

أخبار الحمير

في الأدب العربي